شاعرة إيران

پروين اعتصامى

صوت المرأة الشرقية

الدكتور بديع محمد جمعة

١٩٧٧

إهـــداء

الى كل فتاة شرقية تعتبر الحرية واجبات ، قبل أن تكون حقوقا ٠

والى من تكون حليتها فضيلة وخلقا ، قبل أن تكون زمردا وعقيقا ٠

دكتور بديع جمعة

تمهيد

آية المـرأة الأديبة فى الشرق ورمز الشرق فى تفكيره
أظهرت فتنة الأنوثة فى معنى يحار الرجال فى تفسيره
حرتُ فى فكرك الخصيب وما جاء به للعقول فى تصويره
وقفت دونه فلاسفة العالم حيرى تصغى إلى تقريره[1]

* * *

صدق الشاعر حينما وصف الشاعرة پروين اعتصامى (١٩٠٦ — ١٩٤١) بأنها رمز لكل شرق ، فإذا كانت إيران وطنا أقامت فيه پروين ، فإن الشرق كله كان مسرحاً لفكرها الشامل ، وخيالها الرحب ، ولهذا جاء ديوانها معبراً عن أحاسيس كل شرق ، وصورة صادقة للسان حال الشرق وأمانيه .

ولكون پروين امرأة وشاعرة ، فإن شعرها يعتبر مصدراً هاماً لدراسة الحركة النسائية فى الشرق كله ، وذلك من خلال ما قالته عن نساء إيران ، ولا شك أن پروين تصدت لقضية المرأة الشرقية ، وما كانت ترزح تحته من قيود وأغلال ، بكل إخلاص وحماس وصدق ، ولكنها لم تكن متطرفة فى دعوتها لتحرير المرأة ، إذ شعرت بأن الحرية تعنى المزيد من الواجبات ،

---

(١) محمد جمال الهاشمى : مجلة الثقافة ، العدد : ١٣٠ ، القاهرة : ١٩٤٢ م .

قبل أن تكون حقوقاً تكتسب ، وهذا ما أكسبها احترام كل من الرجال والنساء .

ولم تكتف پروين — في شعرها — بالدفاع عن المرأة ، بل تناولت بالنقد جميع مشاكل مجتمعها الإيرانى ، ومجتمعات الشرق كله ، وتعدت النقد إلى المطالبة بالإصلاح الاجتماعى فى كل جوانبه ، على أمل أن يستعيد الشرق مكانته ، وتأخذ دوله دورها الطليعى بين دول العالم المتقدم .

ومما لا شك فيه أن شعر پروين قريب إلى قلب كل شرقى تتاح له الفرصة لكى يطالع ديوانها باللغة الفارسية ، وذلك لأن يجد نفسه فى كل كلمة قالتها پروين ، وكأنها تتحدث عنه ، وتتحدث إليه ، فيعطيها عقله وقلبه .

من هذا المنطلق ، أقبلتُ على قراءة شعر پروين ، فأعجبت به . ثم توطدت صلتى بالشاعرة ، عندما وقع الاختيار على أن تكون شخصيتها وشعرها موضع بحثى « للدكتوراه » ، وفى هذا المجال أذكر بالاعزاز والتقدير أستاذى الكبير الدكتور عبد النعيم محمد حسنين الذى أشرف على الرسالة حتى خرجت إلى النور بفضل حسن إرشاده ، وجميل فضله ، كما أتذكر بالخير الأستاذ الدكتور طه ندا ، والأستاذ الدكتور أحمد السادانى لمشاركتهما فى مناقشة الرسالة ، وإسداء النصح لى ، مما أفادنى فى إعداد البحث للطباعة ، وأسأل الله أن يجزيهم عنى كل خير وتوفيق .

وأخيراً ، أبتهل إلى الله عز وجل أن أوفق فى تقديم هذه الشاعرة الرقيقة الإحساس ، الشرقية الاتجاه إلى القارىء العـــــربى ، وأن أوفق فى التعريف بعلم من أعلام الأدب الفارسى الحديث ، تشجيعاً للقارىء العربى لكى يتعرف على كنوز الأدب فى إيران ، وما أكثر هذه الكنوز ، ولكى يتعرف كذلك على أعلام الأدب الفارسى ، وما أكثرهم عبر جميع العصور ، وما أجدرهم بأن يفاخر بهم الشرق كله ، لا إيران وحدها .

والله ولى التوفيق ؟

مصر الجديدة فى ١٠/٢/١٩٧٧

بديع محمد جمعة

تقديم

المرأة فى إيران الحديثة

كانت الفترة التى عاشتها پروين اعتصامى (١٩٠٦ — ١٩٤١ م) ذات أهمية خاصة فى تطور الحركة النسائية فى ايران والشرق ، فعلى الرغم من قصر هذه الفترة إلا أنها شهدت تغييرا جذريا فى حياة المرأة الايرانية والشرقية ؛ حيث ودعت فى هذه الفترة عالم الضياع والنسيان ، وبدأت صفحة جديدة تمثلت فى خروج المرأة إلى الحياة العامة ، تقف بجانب الرجل لشد أزره وتساعده فى كل الأعمال ، وذلك بعد أن حصلت على حقوقها السياسية والاجتماعية . وبعد أن أسدلت الحجاب عن وجهها .

ويمكن تقسيم هذه الفترة الى ثلاث مراحل .

أولا مرحلة الضياع والنسيان :

يقول صاحب كتاب انقلاب مشروطيت : « إذا كان الرجال قد حرموا كآدميين من بعض الحقوق نتيجة للاستبداد ، فإن النساء فى ايران قد حرمن من مزايا وامتيازات الحيوان ، فإناث الحيوان تتمتع بما تتمتع به ذكور الحيوان ، فترعى كلها معا بحرية فى الجبل والصحراء ، ولكن نساء ايران قد حرمن من مشاركة ومصاحبة الرجال ومعظمهن كن حبيسات الدار حتى أنهن كن يحرمن من رؤية أقربائهن . . كما كن محرومات من جميع الامتيازات الاجتماعية فى ذلك العصر . . ولما كانت نساء ايران هن الضعيفات فى المجتمع فهن أكثر من حاق بهن الظلم ، حتى أن ما أصابهن من عنت ليفوق كل

تصور ، ودواما كان يُنظر إلى المرأة بعيون التحقير . . كما أنها لم تشارك على الإطلاق فى الحياة الاجتماعية ، وقد حرمت من الحقوق العامة ، وعدمت الرعاية والمساواة ، كما أغفلت فى التربية والتعليم . . »[1] .

هكذا كانت المرأة تعيش فى إيران خلال السنوات الأولى من القرن فى ضياع ونسيان كعضو أشل فى مجتمعها ، عاشت دون أن تشارك فى أى نشاط ، ودون أن تتمتع بأية حقوق . .

وبالنسبة لما كانت ترتديه المرأة فى هذه الفترة فقد كانت ترتدى ملاءة من قماش أسود تسمى (چادر) وهذه تغطى الجسم جميعه ، كما كانت تُسحب فوق الرأس وتُتخذ كالبرقع تغطى الوجه ماعدا العينين[2] . .

وقد أطلق البعض على هذه العباءة تعبير (الكفن الأسود)[3]

ثانيا : مرحلة التمرد والمطالبة بالحقوق :

شعرت المرأة الإيرانية بوطأة الظلم وبقسوة الإجحاف ، فبدأت تتمرد على ظلم الرجال ، ولكن هذا التمرد لم يأخذ صفة الثورة بطبيعة الحال ، وإنما بدأ هذا التمرد فى صورة مقالات وقصائد كتبتها الرائدات الإيرانيات ، وقد صورن فى هذه المقالات وتلك القصائد مقدار ماحاق بهن من عنت ومشقة ، مطالبات بضرورة المساواة ، وإعطاء المرأة حقها فى الحياة الحرة الكريمة ،

---

(١) مهدى ملكزاده تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ج ١ ص ١٠٢ . تهران ١٣٢٨ ش

(٢) دونالد ولبر ، ايران ماضيها وحاضرهاص ٢٢٥ ، ترجمة د . عبد النعيم حسنين . القاهرة ١٩٥٨

(٣) عبد الله رازى همدانى ، تاريخ ايران از ازمنه باستانى تاسال ١٣١٦ ش : ص ٨٩٦ . تهران ١٣١٧ ش .

داعيات بنات جنسهن إلى التمسك بزمام التعليم فهو المخرج الوحيد لهن من هذه المنزلة التى فرضت عليهن ، والمتصفح لكتب النثر والشعر وكذلك الصحف فى تلك الفترة سيجد الكثير من الإنتاج الأدبى الذى يصور هذا الظلم ويعبر عن هذا الإجحاف . وسأكتفى بذكر بضعة أبيات لشاعرات معاصرات لپروين نادين بتحرير المرأة : .

قالت السيدة بدرى تندرى المتخلصة باسم (فانى) قطعة بعنوان : « حرية النساء » منها ماترجمته :[(١)] :

— لم اتسمت حرية النساء بالنقص فى هذا الوطن ، وقد رفعت أوربا كرة حرية النساء من الميدان ؟ .

---

(١) وأصلها بالفاسية :

درايـنكشور چرا ناقص بودى آزادى نسوان
اروپا گوى آزادى زنان بردندازميدان
شوداز نور خورشيد تمـــدن بهره ورگيتى
چرادر ظلمت قرن توحش باقى است إيران
بود عضو فلج زن تايـكى از راه نادانى
بـكار خويشتن تاچند ماندابن چنين حيران
اگر علم وادب آموختن برمرد وزن فرض است
نـگرهد ازچه درايران حقوق مرد وزن يـكسان
بنى آدم بمعنى گربود أعضاى يك پيـكر
چرامردان بخود بالنـــداو تحقير زن اينسان
أساس ضعف اين كشورزجهل مادران باشد
كجا طفل هنرور پروراند مادر نادان
سودگر عمر باقيمانده را اوجان ودل (فانى)
دهى ازدست يكسر در ره آزادى نسوان
(على أكبر مشير سليمى زنان سخنور ، ج ٢ ، ص : ٢٦) .

— لقد أضيئت الدنيا بنور شمس المدنية ، ولـكن لم بقيت إيران وسط ظلمة قرون الهمجية ؟.

— المرأة عضو فعال فإلام تظل بسبب الجهل فى حيرة من أمرها ؟

— إذا كان تعلم العلم والأدب فريضة على الرجل والمرأة ، فلم لم تتساو حقوق المرأة والرجل فى إيران ؟

— وإذا كان بنو آدم أعضاء جنس واحد ، فلم يتفاخر الرجال بتحقيرهم للنساء ؟

— أساس ضعف هذا الوطن سببه جهل الأمهات ، إذ كيف تربى الأم الجاهلة طفلا فاضلا ؟

— فلتبذلى البقية الباقية من العمر بـكل حماس يافانى ، فى سبيل الدعوة إلى حرية النساء . .

وقطعة أخرى قالتها الشاعرة توران بهرامى بعنوان : (أيتها المرأة) منها ما ترجمته :(١) .

---

(١) وأصلها بالفارسية :

توای زن قدرت بسیار داری   پس ازایزد توهم پرورد گاری
ولی ای آنکه مردان پروریدی   از این پرورده جزخاری چه دیدی
توپروردی واو دیوانه ات کرد   اسیر وپای بند خانه ات کرد
ترا باحیله اندر دام کردند   ضعیف ونا توانت نام کردند
فرو ریزاین حصار جا ودانرا   زپا بگسل دگر بند گرانرا
اسیردست مردان تاکی وچند ؟   خدا را جنبشی تاچند دربند ؟
بنای آذری رابشکن ای زن   بپای هربتی خود را میفکن
چو ابراهیم ایزن بت شکن باش   پی احراز حق خویشتن باش =

— أيتها المرأة إنك عظيمة المقدرة فأنت المربية بعد الله مباشرة .

— ولكنك يامن ربيت الرجال ، لم تجدى ممن ربيت إلا الإذلال.

— لقد ربيته وأصبح شيطانك ، وسرعان ماحولك أسيرة دارك .

— لقد ألقوك بالمكر والحيلة وسط الشباك ، وأطلقوا عليك اسم الضعيفة والمتخاذلة .

— فحطمى هذا الحصار الدائم ، وفكى عن قدميك القيد الثقيل الآخر .

— إلام تظلين أسيرة قبضة الرجال ؟ وبالله ، إلام تظلين مقيدة الحركة ؟

— حطمى أيتها المرأة معبد النار ، واطرحى كل أصنامك أرضا .

— حطمى الصنم أيتها المرأة متمثلة بابراهيم ، واجتهدى فى سبيل تحصيل حقوقك .

— ليلك المظلم سرعان مايضىء نهاره ، وفى النهاية تسطع الحقيقة واضحة.

كما شاركت پروين فى المطالبة بتحرير المرأة إذ أن المتصفح للديوان سيجد أشعارا كثيرة دعت فيها پروين إلى العناية بالمرأة وإعطائها حقوقها ، ولكننى سأترك الحديث عن هذه الأشعار إلى الباب الثانى عندما أتناول شعرها بالتحليل، وأكتفى فى هذا المقام بإيراد ترجمة كاملة للكلمة التى ألقتها فى حفل المدرسة الأمريكية يوم تخرجها فيها ، وقد تناولت بالحديث مشكلة المرأة فى إيران بخاصة والشرق بعامة موضحة مظاهر الظلم والعنت والمشقة التى تعيش فيها المرأة الشرقية ، داعية إلى أن تأخذ المرأة بحظ وافر من التربية

= شب تارت بزودى روز گردد حقيقت عاقبت پيروز گردد
(زنان سخنور جـ ٣ ، چاپ دوم ص ٩٧) .

والتعليم حتى تظفر بكامل حقوقها السليبة . .

وهذه هى الترجمة الكاملة لتلك الكلمة :

— المرأة والتاريخ —

كانت المعابد والصوامع فى القرون الوسطى هى سجون العلوم والمعارف. ولم تكن أنظار الخلق محظوظة بمشاهدة الطلعة البهية للعلم ،ولم يكن الإنسان يزرع غصن الترقى .

وحين توصل الإنسان إلى صنعة الطباعة ونشر الكتب فى القرن الخامس عشر ، بدأت تخرج الكثير من المؤلفات القيمة التى عاشت زمانا فى زوايا الضياع إلى حيث يمكن الإفادة منها ، وبدأت تقدم خدماتها فى إيقاظ الناحية الفكرية وفى النهاية ارتوى العطاشى فى واحة الجهل من عين المعرفة العذبة ، وسار من آلمهم الجهل من محيط الظلمة إلى حدالنور والمعرفة،واستطاع أرباب التحقيق بواسطة مجهوداتهم اللامتناهية أن يفرقوا بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح . .

ونتيجة للأبحاث العديدة والسير نحو التمدن بخطى سريعة ، أصبح من المعلوم أن الإنسان أقدم من قرون التاريخ ، وأنه يحيا على سطح الأرض منذ عصور تفوق العد والإحصاء ، والعلماء مدينون بهذه الاكتشافات للتاريخ الطبيعى نتيجة لما قدمه للانسان فى هذا المضمار . .

وهذا البحث قد أتى بصورة علمية مستقلة وأطلق عليه اسم علم البشر ، وبهداية هذا العلم أمكن الاطلاع على طبائع وعادات الجنس البشرى ، وقد عُلم أن الرجل حين انتقل من دور الهمجية إلى محيط المدنية أوقع الظلم بالمرأة التى كانت شريكته فى التعب والألم ، وقرينته فى أوقات السعادة

والشدة ، وفى الوقت الذى أسرع فيه من مرحلة المحنة إلى منزل الأمن والراحة قرر أن للمرأة وجودا مهملا وكأنها آلة عديمة الإرادة . .

وهم يعتقدون أن ظلم الرجل يحـــط من شأن ومـكانة المرأة ، وقد اتهموها بقصور الإدراك وضعف النفس ، وانحطاط القوى المعنوية ، حتى وصل الأمر إلى أن عدم النشاط الإجتماعى أى تقدم ، وسار بناء فضائل الأخلاق نحو الانهيار والدمار . .

ومع هذا فقد وجد أشخاص لم يتوانوا فى بذل المساعى الصادقة مصممين على ترميم ما خربه سابقوهم ، متحملين الآلام من أجل تخفيف مصائب البشر ، كما لم يتوقف الحـكماء والـكتاب عن إرشاد العقول والأفهام . ثم بدا ضياء صاف ونور طاهر من مصباح الإنسانية ، تقرر على أثره حق المرأة فى التربية والتعليم . .

وقد حازت المرأة بعد قرون من الذلة حقها الفـكرى والأدبى واقتربت من مـكانها الحقيقى ، وأكسبت دائرة التربية والتعليم النساء الشعور بالذات وسطعت أنوار العلم فربت ملـكات عقولهن ، وسارعت النساء فى هذا الوقت إلى مزاولة دورهن حتى النهاية ، وبدأن يلقن أولادهن مبادىء الإنسانية من اجتهاد مؤداه السعى والعمل ، وضرورة تحصيل العلم والمقاومة فى ميدان الاجتهاد فى الحياة ، وتجنب الأعمال الضارة التى كان الرجال يمارسونها فى ذلك الزمان . وأصبح معنى كلمة (امرأة) و (أم) فى هذا العصر معروفا تمام المعرفة ، وظهر المعنى الروحى الـكامن خلف هاتين الـكلمتين اللتين يرجع إليهما الفضل فى تأسيس البقاء والارتقاء الإنسانيين . .

وما نوضحه الآن يتصل بأوربا ، حيث تتوفر هناك المــدنية والنهضة

الصناعية ، وقد ارتفعت راية السعادة ، وتم الإصلاح الحقيقى على أساس من الفهم والإدراك ، هناك حيث يجد متاع الفضل والعقل المشترى الذى يقبل عليهما ، هناك حيث يوجد التعليم الصحيح الذى يربى عواطف الدارسين ، ويعلم أطفال المدارس معانى العزم والإرادة ، هناك حيث تفيد الفتيات والفتيان دون تفرقة جنسية من التربية البدنية والعقلية والأدبية ، هناك حيث صرف المعلمون الفاضلون أعمارهم من أجل حل مشكلات التعليم؛ أصبح تعميم المعارف محور السعادة ومفتاح التوفيق . .

حقا إن ما قلته قد حدث فى هذه الممالك السعيدة الحـــظ ، فعالم النساء سار نحو الترقى نتيجة للهمة والإقدام . .

ولـكن دول المشرق منبع الشرائع ومصدر المـــدنية فى العالم ، حيث وجدت الممالك الـكبيرة المشهورة صاحبة القوة والشوكة منذ القدم ، فإن الأمر لم يمض فيها على هذا النهج . .

وقد رحلت القافلة لسوء الحظ عن تلك الديار ، كما غادرها التمدن مسرعا حتى بدا للعين أن كوكب الهداية هذا قد مثل فى الفـكر الثاقب لمغرب الأرض ، ولم يمل بالمعرفة تجاه النقاط الأخرى من العالم . .

وبمرور الأيام أصبحت حياة نساء الشرق فى كل مـكان ظلاما ومثارا للآلام وأصبحت النسوة قرينات للتعب والمشقة ، رفيقات لذل الإسار والمهانة.

يقول أحد علماء الاجتماع :

من بين أمواج المصائب وطوفان الحوادث التى ترد على الشرق عدم التفات الشرقيين إلى تعليم النساء وتخلفهم فى هذا المضمار ، فهم ينظرون إلى النسوة على أنهن عضو بشرى عديم القيمة ، وهـكذا يضيعون نصف قوام ،

كما أن حرمان النساء من الرعاية والتهذيب والتأديب فى داخـــل ديارهن وخارجها قد أدى إلى الفساد وسوء الحظ والحكم على ثمانمائة مليون آسيوى بالذلة والانكسار ..

وستمضى فترات حتى يستيقظ الآسيويون من سباتهم العميق ، وهذا الأمر يتوقف على عودة المياه للسير فى مجاريها مرة أخرى . .

ومهما قيل فى معالجة هذا المرض الاجتماعى ، ومهما كتب فإن دواء هذا المرض المزمن فى الشرق ينحصر فى التربية والتعليم ، التربية والتعليم الحقيقيين اللذين يشملان الرجل والمرأة ، وأن تفيد جميع الطبقات من مائدة المعرفة الممدودة ..

وإيران وطننا العزيز الذى كانت مفاخره ومآثره العظيمة زينة تعلو تاريخ الدنيا ، إيران التى تدين أوربا اليوم لمدنيتها القديمة ، إيران التى نشرت حكمها بعظمتها وقوتها على أقطار العالم وبحاره قروناً عديدة ، قد تحملت قسطا وافراً من المصائب والشدائد التى منى بها الشرق ، وتسرع الآن نحو ضياعها وتتجه إلى سوء عاقبتها ..

فلكى تعيد بناء ما خربته الأيام السالفة لابد من إصلاح العيوب الحالية ولكى تمهد للسعادة المقبلة لابد من معرفة المشكلات السابقة ، وبمعنى آخر يجب على الإيرانى أن يطرح عن نفسه الضعف والكسل ، حتى يتخطى هذه المآسى والمعوقات .

وكم آمل أن توجد فى الأمة روح الفضيلة وذلك بفضل همة العلماء والمفكرين ، وأن تتقدم الاصلاحات الاجتماعية وذلك بفضل تعليم النساء .

وفى هذه الحالة يقوى بناء التربية الحقيقى ويحلق ملاك الإقبال فى مملكة (سيروس) و (داريوش)(١) .

* * *

هكذا شاركت پروين وغيرها من الرائدات فى الدعوة إلى الاهتمام بالمرأة ، ومنحها حقها فى الحياة والتعليم ، وأرجعت إخفاق الشرق إلى ما تعيش فيه المرأة الشرقية من ظلام الجهل وهى تتفق فى هذه النظرة مع شاعر مصر العظيم حافظ إبراهيم وهو القائل :

من لى بتربية الفتـــاة فإنها فى الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ولا شك أن هذه الأصوات وغيرها من المطالبات بتحرير المرأة ، كان لها أثر فى الحياة الاجتماعية حيث وقف الناس منها بين مؤيد ومعارض ، وما يهمنا هنـــا هو موقف المعارضين ، ولابد أن يكون بعض رجال الدين هم المتزعمون لحركة المعارضة هذه ، فانبروا للتصدى لهذا الخطر محاولين القضاء عليه قبل أن يستفحل شره ، مجتهدين فى تفنيد حجج المطالبات بالتحرر ورد الحقوق السليبة ، وقد قال يحيى نورى صاحب كتاب « حقوق زن در اسلام وجهان » .

— إذا كان غرض النساء من هذه الدعوة ـ تحرير المرأة ـ هو الحصول على الاستقلال الاقتصادى وحق العمل والتجارة ، فإن الإسلام قد كفل لهن هذه الحقوق على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية .

(١) أبو الفتح اعتصامى : مجموعه مقالات وقطعات أشعار كه بمناسبت در گذشت وأولين سال وفات خانم پروين اعتصامى . طهران ١٩٤٤ م ، ص : ٢٣ — ٢٦ .

— وإذا كان غرضهن مساواة الرجل والمرأة أمام القانون، فإن الإسلام قد ساوى بين البشر جميعاً ، ساوى بين الأسود الحبشى والأبيض القرشى ..

— وإذا كان غرضهن توفير حق التربية والتعليم للمرأة ، فإن الإسلام قد جعل هذا الحق فريضة على كل مسلم ومسلمة .

— وإذا كان غرضهن توفير حياة حرة كريمة للمرأة فى بيت زوجها ، فان الإسلام قد أعطاهن مالم تعطه القوانين الاجتماعية الحديثة للنساء فى كثير من البلاد المتمدنة فى العصر الحديث .

إلى غير ذلك من الحجج ومحاولة تفنيدها ، وفى النهاية يقرر أن هذه الحركة ليست نابعة من وجدان المجتمع الإسلامى وإنما هى رغبة من النساء فى الجرى وراء التقليد الأعمى لنساء الغرب(١) ..

أى أنه يرى ـ ويشاركه فى هذا الرأى كل المعارضين ـ أن الدعوة إلى تحرير المرأة مجرد بدعة ، والبدعة ضرب من الضلال يجب أن تقاوم ..

ولكن مع هذه المعارضة القوية استطاعت المرأة أن تفوز بكل ماطالبت به ، وهذا ما سنتحدث عنه فى المرحلة الثالثة ..

ولكن قبل الانتقال للمرحلة الثالثة يجب الإشارة إلى أن بعض المفكرين والمصلحين الاجتماعيين من الرجال قد شاركوا المرأة فى الدفاع عن حقوقها السليبة ومن هؤلاء اعتصام الملك والد پروين ، فقد ألف كتاباً بعنوان « تربيت نسوان » وفيه تكلم عن حقوق وحرية النساء ، وقد كان اعتصام

(١) يحيى نورى : حقوق زن دراسلام وجهان ، چاپ سوم ايران ١٣٤٧ ش ، ص ١٥٨ — ١٦٣ .

الملك من أوائل الأشخاص الذين كتبوا شيئاً فى هذا الخصوص (١) ، ولعله أفاد فى ذلك من زيارته لمصر ومكثه فيها فترة أثناء دعوة قاسم أمين لمناصرة المرأة المصرية والشرقية وإعطائها حقوقها السليبة .

ثالثاً : مرحلة التحرير :

استجابة لرغبات المطالبات والمطالبين بحق الحياة والحرية للمرأة ومساواتها بالرجل وتحطيم القيود والأغلال التى تقف حائلا دون مشاركتها الرجل فى أوجه النشاط المختلفة فى إيران ، صدر مرسوم ملكى فى ١٧ دى عام ١٣١٤ (يناير ١٩٣٥ م) يقضى برفع الحجاب (٢) . فابتهجت النساء بهذا المرسوم غاية الابتهاج ، وقد عبرت پروين عن هذه الفرحة فى ديوانها حيث قالت قطعة فيما يلى ترجمة لبعض أبياتها :

— كأن المرأة فى إيران قبل هذا لم تكن إيرانية ، ولم يكن لها عمل إلا سوء الحظ والاضطراب .

— كانت حياتها تمر وكذا مماتها فى ركن العزلة ، وماذا كانت المرأة فى تلك الأيام إن لم تكن سجينة ؟

— لم يعش شخص قط قروناً فى عالم الظلمة كالمرأة ، ولم يُقدم شخص قرباناً فى معبد النفاق كالمرأة .

— لم تكن المرأة شاهدة فى محكمة الانصاف ، كما لم تكن تلميذة بمدرسة الفضيلة .

---

(١) مهدى مجتهدى رجال آذربيجان در عصر مشروطيت: ص ١٧ فروردين ١٣٢٧ هـ . ش .

(٢) زنان سخنور جـ ٢ ص ١٦ .

— ظلت صيحات المرأة بالمساواة عمراً بلا جواب ، وكان هذا الظلم جلياً لا خفياً .

— ثمار محيط العلم متعدد ولكن ، لا نصيب للمرأة من هذا التعدد وهذه الكثرة .

— كانت تولد فى قفص وتلفظ أنفاسها فى قفص ، ولم يكن هناك أى ذكر لطائر الحديقة هذا بالحديقة(١) . .

وفى أرديبهشت من العام التالى (١٣١٥ ش) (ابريل ١٩٣٥ م) قامت

---

(٢) وأصلها بالفارسية :

— زن در ایران پیش ازین گوئی که ایرانی نبود
پیشه اش جز تیره روزی وپریشانی نبود
— زندگی ومرگش اندر کنج عزلت میگذشت
زن چه بود آنروزها گرز آنکه زندانی نبود
— کس چوزن اندرسیاهی قرنها منزل نکرد
کس چوزن در معبد سالوس قربانی نبود
— درعدالتخانهٔ انصاف زن شاهد نداشت
دردبستان فضیلت ، زن دبستانی نبود
— دادخواهی های زن میماند عمری بی جواب
اشکارا بود این بیداد ، پنهانی نبود
— میوه های دکه دانش ، فراوان بود ، لیك
بهر زن هرگز نصیبی زین فراوانی نبود
— درقفس می آرمید ، ودر قفس میداد جان
درگلستان ، نام ازین مرغ گلستانی نبود

(قطعه رقم : ١١٨) .

وزارة المعارف بإنشاء الجمعية النسائية (كانون بانوان) ثم انتشرت فروعها بكل الأقاليم بعد ذلك[١] . .

وهذه بعض البنود الأساسية لقانون إنشاء هذه الجمعية :

١ — التربية الفكرية والخلقية للمرأة ، وتعليمها كيف تدبر البيت ، وتربى الأطفال طبقا للقواعد العلمية وذلك عن طريق الخطب والنشرات والمحاضرات .

٢ — التشويق إلى ممارسة التدريبات الرياضية التى تربى أجسادهن بطريقة صحية .

٣ — انشاء المؤسسات الخيرية التى ترعى الأمهات الفقيرات والأطفال الذين فقدوا العائل . .

٤ — الترغيب فى البساطة فى الحياة ، واستعمال الإنتاج الوطنى[٢] . .

وقد تم بعد ذلك تشكيل حوالى خمس وعشرين جمعية نسائية تتنوع فاعلياتها المختلفة بين مجالات اجتماعية وخيرية وعامة المنفعة وصحية وعلمية وتربوية ومهنية[٣] . .

وفى كل عام تقيم هذه الجمعيات النسائية احتفالا كبيرا يوم ١٧ دى ، وذلك بحضور الامبراطورة[٤] . .

وقد واصلت هذه الجمعيات النسائية الدعوة الى منح المرأة الإيرانية

---

(١) تاريخ ايران . . . عبد الله رازى همدانى ص ٩٠٢ .

(٢) نفس المرجع و نفس الصفحة .

(٣) زنان سخنور جـ ٢ ص ١٦ .

(٤) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

كامل حقوقها ومساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات ، حتى منحت حق التصويت وعضوية المجامع والمجالس البلدية ، كما تشارك المرأة الآن فى الانتخابات البرلمانية(١) . .

وهكذا خرجت المرأة الإيرانية الى الحياة العامة ، وشاركت فى كل مجالاتها ولم تترك بابا من أبواب الحياة الاجتماعية إلا وطرقته ، ففتح أمامها على مصراعيه ، وأصبحت تتمتع بكافة الحقوق التى يتمتع بها الرجل الإيرانى.

* * *

(١) زنان سخنور ج ٢ ص ١٦ .

الباب الأول

التعريف بپروين اعتصامي

الفصل الأول

والدها . يوسف اعتصامى

تنتسب پروين إلى أسرة تهتم بالأدب وتشتغل به فقد كان أبوها ميرزا يوسف خان اعتصام الملك ابن ميرزا ابراهيم خان مستوفى أديباً صحفياً لامعاً فى عصره ، وقد ولد اعتصام الملك فى تبريز عام ١٢٥٢ ش(١٨٧٣ م) [١]..

وعاش فترة طويلة فى تبريز حصل فيها الأدب الفارسى والعربى وقدراً من الفقه والأصول والحكمة القديمة كما اطلع على العلوم الجديدة وأخذ بنصيب منها ، كما اجتهد فى تحصيل اللغتين الفرنسية والتركية[٢]..

وقد كان شغفه بالأدب منذ الشباب عظيما ، ووجد أن الوسيلة الأولى لنشر الثقافة على أوسع نطاق تتمثل فى توفر الطباعة الحديثة فإذا به يدخر جزءاً من مصروفه الذى يأخذه من والده ويؤسس به أول مطبعة حديثة فى مدينة تبريز [٣]. وعرفت هذه المطبعة باسم مطبعة (سربى) وكان انشاؤها أيام عباس ميرزا نائب السلطنة وقد طبع يوسف اعتصامى فى هذه المطبعة كتابه (تربيت نسوان) الذى تكلم فيه عن حقوق النساء وحريتهن ، حيث عد يوسف اعتصامى من أوائل الأشخاص الذين كتبوا شيئاً فى هذا الخصوص[٤]..

---

(١) رجال آذربيجان در عصر مشروطيت ص ١٧ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) حسين كلبايكانى: گلى چند از ديوان پروين اعتصامى،ص١، فروردين ١٣٣٣ ش .

(٤) رجال آذربيجان ... ص ١٧ .

ولعل نصرة يوسف اعتصامى للمرأة تفسر لنا بعض الدوافع التى دفعت پروين ابنته لـكى تناضل من أجل حرية المرأة واستقلالها ، وبخاصة أنه كان الأستاذ الأول لپروين فى مجال الثقافتين العربية والفارسية ، ولعل إقدامه على أن تؤم ابنته المدرسة الأمريـكية فى وقت حرمت فيه النساء من حق التعليم الوطنى لخير دليل على إيمانه بحق المرأة فى حياة حرة كريمة سبيلها إلى ذلك التربية والتعليم . .

أما فى مجال اللغة العربية فقد بلغ فيها يوسف اعتصامى درجة عظيمة من الإجادة والتفوق مكنته من التأليف بها والترجمة إليها . فقد كتب بها شرحا لـكتاب أطواق الذهب للزمخشرى ، ونشر هذا الـكتاب بالقاهرة [1] ، ولـكننى للأسف لم أعثر على كتابه هذا فى مكتبات القاهرة ، أما الـكتاب الذى ترجمه إلى اللغة العربية فهو قصة بعنوان « ثورة الهند أو المرأة الصابرة » وجدت منه ثلاث نسخ بدار الـكتب المصرية ، وقد تولت دار الهلال نشره فى عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) ، وصدّر الـكتاب فى صفحته الثالثة بصورة يوسف اعتصامى ، كما توجد فى الصفحة الخامسة (إفادة من المترجم) أرسلها يوسف اعتصامى من تبريز ، وقد أشار فى هذه الافادة إلى أنه آثر ترجمة هذه القصة عن الفارسية لـكى يكون فى مقدور الذين يعرفون اللغة العربية ولا يعرفون اللغة الفارسية أن يقرءوها . وهذه القصة كتبت أولا باللغة الانجليزية كتبها الدكتور فلـكس مينارد ثم ترجمت إلى اللغة الفارسية ، ولـكن يوسف اعتصامى لم يذكر مترجمها ، وإنما اكتفى بأن قال إنها ترجمت إلى اللغة الفارسية فى طهران عام ١٣٠٤ هـ ، وأخيرا قام يوسف اعتصامى بترجمة القصة إلى اللغة العربية . .

(١) محمد القزوينى : وفيات معاصرين ، مقالة بمجلة « يادكار » ص ٣٥ من العدد الثالث . السنة الثالثة ، ١٣٢٥ ش .

وهذه القصة تتحدث عن ثورة الهنود ضد جنود بريطانيا وحكمهم الجائر والقوانين القاسية لشركة الهند الشرقية ، وذلك من خلال قصة سيدة إنجليزية اسمها (مسز هور تست) ، وقد مات فى هذه الثورة زوجها وصهرها وابنتها وطفلها ، ثم اعتراها الفقر المدقع بعد أن كانت ترفل فى نعيم الثروة ، مما جعلها ترحل عن الهند إلى إنجلترا بعد أن فقدت كل عائل لها فى الهند[1] ..

وإلى جانب ذلك فقد ترجم إلى اللغة الفارسية عددا كبيرا يربو على الأربعين من آثار الكتاب والأدباء الأوربيين ، وقد طبع ونشر بعضا منها مثل (خدعة وعشق) لشيلر الشاعر الألمانى ، ومجلدين باسم (تيره بختان) أى البؤساء لفيكتور هوجو الكاتب الفرنسى ، وقد كتب دهخدا معلقا على هذه الترجمة ، فقال :

« مطابقة قصة « تيره بختان » بالأصـــل الفرنسى واضحة وضوح شمس الشرق ، فان درر ألفاظها وغرر تعبيراتها ليست منتقاة إلا من ذخائر بحر الفضل ودرر بحار الذوق ، ولو قدر أن هوجو نفسه هو الذى كتب كتابه بالفارسية لاختار بلا شك نفس هذه الألفاظ المنتقاة والعبارات البديعة[2] » .

ويقول صاحب كتاب زنان سخنور إن يوسف اعتصامى قد ترجم هذه القصة من اللغة العربية إلى الفارسية[3] ومعنى ذلك أنه نقلها عن الترجمة العربية لمصطفى لطفى المنفلوطى .

---

(١) راجع قصة (ثورة الهند أو المرأة الصابرة) : إفادة المترجم وهى موجودة بدار الكتب المصرية (تحت أرقام ١٥٢٧ — ٢٥٢٨ — ٣١٦٨ أدب) .

(٢) رجال آذربيجان . . ص ١٨ .

(٣) زنان سخنور جـ ١ (چاپ دوم) ص ٨٠ .

ومن الخدمات العظيمة التى تضاف إلى مآثر يوسف اعتصامى والتى أثرى بها الثقافة الفارسية إصداره لمجلة أدبية اسمها « بهار » (أى الربيع) وقد نشرها مابين عامى ١٣٢٩ ق و١٣٤١ ق وكانت مجلة أدبية وعلمية وأخلاقية وسياسية ، ولكن الجانب الأدبى كان يغلب على الجوانب الأخرى[١] .

ومن أفضال يوسف اعتصامى فى مجال الثقافة كذلك تأليفه لفهرست مفيد جدا لمخطوطات مكتبة المجلس وذلك فى أخريات حياته وعلى الرغم من كبر سنه . وقد وصف دهخدا هذا الفهرست بقوله : إنه نظير لأفضل وأكمل الفهارس من هذا النوع وقد جمع كل مميزات وأوصاف كل كتاب ، حتى عُد يوسف اعتصامى واحدا من أعلام هذه الصناعة وذلك الفن[٢] .

هذه أفضال يوسف اعتصامى بالنسبة للثقافة ، أما أفضاله بالنسبة لابنته پروين فلا تعد ولا تحصى فقد كان معلمها الأول فى مجال الثقافتين العربية والفارسية ، وهاديها فى مجال النظم والشعر ، كما كان يترجم لها مجموعة منتقاة من كتابات الأجانب وذلك رغبة منه فى تربية ذوقها واستعدادها ، وقد شجعها على نظم قطعة (اشك چشم) أى (دمعة عين) على غرار قطعة للأنورى ، فنظمتها پروين على نفس القافية ولم تختلف عن قطعة الأنورى إلا فى الوزن فقط ، كل هذا وپروين ما زالت فى التاسعة من عمرها[٣] . كما كان ناشرا لشعرها فى صحيفته ، ومكتبته كانت تحت تصرف ابنته دواماً ، كما كان بيته مجلس علم يضم الكتاب والأدباء والعلماء ، وكان يسمح لابنته أن تحضر هذه

(١) رجال آذربيجان ... ص ١٨ .
(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(٣) زنان سخنور جـ ١ ص ٨٠ ، والأنورى من كبار شعراء القرن السادس الهجرى .

الندوات(١) ، فأفادت منها فائدة جمة جعلتها تبدو فى فكرها أكبر بكثير من سنها ، كل هذه الأفضال هى التى دفعت بروين لتهذيب ديوانها ..

هذه حياة أبيها الحقيقية ، أما الأعمال الرسمية التى تولاها فقد كانت قليلة وذلك لأنه كان من الذين يفضلون قلة الاختلاط ويحرصون على الانزواء ، وقد امتنع مدة بعد وفاة أبيه عن أن يتقلد وظيفة حكومية كان يشغلها هذا الوالد ، وعاش بميراث متوسط تركه له والده واشتغل بالترجمة والتأليف ، وشارك فى الحياة النيابية حيث كان عضوا بالبرلمان خلال الدورة الثانية لمجلس النواب(٢) .

وفى أواخر عام ١٣١٢ش (١٩٣٣م) أمر الشاه رضا بهلوى بإنشاء مجلس يتولى نشر العلوم والمعارف اسمه (مجمع المعارف) وكان هذا المجلس يتكون من أعضاء ذوى فكر ورأى ليتم بينهم تبادل الآراء ، وكان من بين أعضاء هذا المجلس يوسف اعتصامى(٣) . .

وفى أواخر حياته تولى رئاسة مكتبة المجلس(٤) ، حيث انتهز هذه الفرصة لإصدار الفهرست القيم الذى سبق أن أشرت إليه ..

وهكذا عاش يوسف اعتصامى حياة يغلب عليها النشاط الأدبى . وقد

---

(١) سيد عبد الحميد خلخالى : تذكرهٔ شعراى معاصر ايران جـ ١ ص ٦٦ چاپ أول ، تهران ١٣٣٣ ش . مجموعهٔ مقالات وقطعات أشعار . ص ٦

(٢) رجال آذربيجان ... ص ١٨ .

(٣) بديع الزمان بشرويهٔ خراسانى : سخن وسخنوران جـ ١ ، چاپ دوم ١٣١٨ ش (المقدمة) .

(٤) رجال آذربيجان ... ص ١٨ .

توفى فى الحادى عشر من ديماه عام ١٣١٦ش[٢] الموافق ٢٩ من شوال ١٣٥٦ ق (١٩٣٧ م)[٣] .

ولعلنى فصلت الحديث بعض الشىء عن والد الشاعرة وذلك لأن أبا تتوفر فيه هذه السمات والقدرات جدير بأن يربى ابنته تربية علمية واجتماعية سليمة كما أن صلاته بمصر وبالحركة الفكرية والثقافية فيها ، وطبع بعض مؤلفاته فى مطابع القاهرة خير دليل على الروابط الثقافية الوطيدة بين المجتمعين المصرى والإيرانى فى بداية القرن العشرين وأن مصر كانت قبلة المثقفين والمفكرين والأحرار فى الشرق كله فى تلك الفترة ـ وما زالت ـ وقد ذكر المرحوم ملك الشعراء بهار وهو أحد أقطاب الحركة الفكرية والثقافية فى إيران المعاصرة بأنه تعلم الكثير من الأفكار الحديثة والمعارف الجديدة من خلال حرصه على قراءة الكتب والمجلات المصرية التى كانت تفد إلى إيران إبان الربع الأول من القرن العشرين[٣] ..

* * *

---

(١) ديوان پروين اعتصامى ، چاپ پنجم ، هامش ص : ٢٧١
(٢) وفيات معاصرين ، ص ، ٣٥٠
(٣) يحيى آرين پور : ازصبا تانيما جـ ٢ ص : ١٢٤

الفصل الثانى

رحلة پروين مع الأيام

على الرغم من أن پروين ولدت وعاشت فى العصر الحديث حيث عرف تسجيل المواليد ، وعلى الرغم من أن أخاها أبا الفتح اعتصامى قد كتب نبذة عن حياتها محددا تاريخ ولادتها فى فهرست الأعلام الذى ألحقه بآخر ديوانها، وفيما كتبه عنها فى الكتيب الصغير « مجوعه مقالات وقطعات أشعار ... » الذى جمع فيه كل ماقيل فى تأبينها وحدد تاريخ ولادتها باليوم الخامس والعشرين من شهر اسفند عام ١٢٨٥ ش الموافق ١٣٢٥ ﻫ . ق ، وشاركه فى ذلك معظم الذين كتبوا عن پروين [١] ، إلا أننا نجد مجموعة من الكتب جعلت موطن الولادة طهران وتاريخ ولادتها هو عام ١٣٢٨ﻫ،ق [٢] أى بعد ثلاث سنوات من تاريخ ولادتها الحقيقى ..

وفى رأيى أنه قد اختلط عليهم الأمر بين عام الولادة وعام الانتقال إلى العيش فى طهران ، فقد ذكر أخوها أنها انتقلت فى طفولتها مع أبيها للحياة

---

(١) مجموعة مقالات ..ص ٦ . وانظر كذلك زنان سخنور ج ١ ص ٧٩، وتذكره شعراى معاصر ج ١ ص ٦٦ ، وسخنوران نامى معاصر ج ١ ص ٣٨ وغيرهم .

(٢) انظر ؛ رشيد ياسمى : : أدبيات معاصر ص ٣٤ ، طهران ١٣١٦ ش ، محمد اسحق : سخن وسخنوران در عصر حاضر ص ٢٣٨ ج ١ دهلى ١٣٥٥ ﻫ ، ومهدى توحيد پور : گلهاى جاويدان در بوستان ادب ايران ، تقديم وتصحيح غلا محسن جواهرى وجدى ، چاپ سوم

فى طهران(١) ، وفى رأيى أن هذا كان عام ١٣٢٨ هـ (١٢٨٨ ش) حيث اضطر والدها للإقامة فى العاصمة لكى يباشر عمله كعضو فى البرلمان فى دورته الثانية . .

أما عن المدرسة التى التحقت بها فهى المدرسة الأمريكية للبنات بطهران وكانت تحرز المرتبة الأولى على زميلاتها فى نهاية كل عام(٢) . وقد استطاعت أن تحرز شهادتها وهى فى الثامنة عشرة من عمرها أى عام ١٣٠٦ش، (١٣٤٦ق)، وإن كان صاحب كتاب زنان سخنور يقول : إنها حصلت علوم المرحلتين الابتدائية والثانوية على أيدى مدرسين خصوصيين فى منزل والدها، ثم التحقت بعد ذلك بالمدرسة الأمريكية لتعلم اللغة الإنجليزية(٣) . وقد اعترفت مديرة المدرسة الأمريكية مسز شولر فى الكلمة التى قالتها فى الاحتفال بتأبين پروين، بأنها كانت تعرف الكثير من المعارف والمعلومات قبل التحاقها بالمدرسة(٤).

وفى رأيى أن الدراسة بالمدرسة الأمريكية ، والدراسة فى مجلس أبيها كانتا تسيران جنبا إلى جنب ، حيث كان والدها يشجعها على ارتياد الندوات الأدبية التى كان يعقدها مع أدباء عصره فى بيته ، وكانت پروين موضع استحسان الحاضرين من ذوى الفكر واللغة ، مما دعا المستشرق ريبكا إلى أن يقول: تلقت پروين ثقافة حديثة فى مدرسة البنات الأمريكية فى طهران، كما تلقت دراسة تقليدية فى الشعر العربى والفارسى على يد أبيها، حتى أنها كتبت

---

(١) مجموعه مقالات . . . ص ٦ .

(٢) سخنوران ايران در عصر حاضر ج ١ ، ص ٣٩

(٣) زنان سخنور ج ١ ص ٧٩ .

(٤) مجموعه مقالات . . انظر كلمة مسز شولر ص ٢٨ .

بوا كير أشعارها تحت رعاية وملاحظة أبيها دون شك فى ذلك[١] .

وبالنسبة لبداية قولها الشعر فيرجع البعض ذلك إلى بداية حياتها مدعين أنها قالت بوا كير شعرها وهى فى الثامنة من عمرها[٢] .

وكان من عادة المدرسة الأمريكية الاحتفال فى نهاية كل عام بتخريج دفعة جديدة توزع فيه الشهادات العلمية على خريجاتها ، وكانت أولى الخريجات تلقى كلمة نيابة عن زميلاتها ، ولما كانت پروين أولى خريجات دفعتها ، فقد ألقت كلمة عنوانها « المرأة والتاريخ »[٣] .

كما قالت پروين قطعة من الشعر قوامها اثنا عشر بيتا بمناسبة يوم التخرج أيضا ، واختارت لها عنوانا هو « نهال آرزو » أى « غصن الأمل » وهذه ترجمة لأبيات القطعة كاملة :

— غصن الأمل —

ـ عش سعيدا ياغصن الأمل ، فقد أثمرت برعمة بلا ريح الصبا ، ووردة دون ربيع .

ـ هذا العام عام سعادة لمشرفى بستانك ، فقد أنتجت فاكهة عظيمة بكل فرع من فروعك .

ـ السمعة الطيبة غصنك وورقك ، والسعى والعمل جذرك وثمرك ، وقد أنتجت كل هذه الأفضال بفضل معلمك .

---

(١) Von Jan Rypka : Iranische Literaturges Chichte Leipzig 1959,p.379.

(٢) مجموعه مقالات . ص ٥٨ . مقالة صحفية نشرها بهار فى جريدته نوبهار بالعـــدد ٨٥ بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٣٢٢ بعنوان « فساد فكر أعوان الاستعمار » .

(٣) راجع الترجمة الكاملة لهذه الكلمة فى التقديم (المرأة فى ايران الحديثة)

– سعيد من حمل منك هدية وقت الحصاد ، فقد أنتجت أساس السعادة وزاد الحياة وذخيرة العمل . .

– الهمة بأخواتى لاغتنام الفرصة ، فقد أصبحت برعمة هذا الغصن زينة لأيدينا .

– تخلف نساء إيران كله من الجهل ، فالمعرفة أساس رفعة المرأة وعظمة الرجـــل .

– طريق السعى وإقليم السعادة مضيئان بمصباح المعرفة الذى نمسكه بأيدينا اليوم(١) .

– من الأفضل أن تدرك كل فتاة قدر العلم ، حتى لا يقول إنسان : الفتى ذكى والفتاة غبية .

– اشتهرت المرأة بتحصيل العلم فى كل إقليم ، ولكن لم يوقظنا أحد هنا من الثبات العميق .

– لم حرمت النساء حقوقهن ؟ ولم أسقط اسم هذه الجماعة من كل سجل ؟

– حضن الأم أول معلم للطفل ، وأى طفل عالم ربته أم جاهلة ؟

– وأنى لنا أن نعبر القمر والثريا مع كل هذا التخلف ولو ملكنا أجنحة من الفضل وريشا من الأدب(٢) ؟

(١) تقصد شهادة التخرج .

(٢) والنص الفارسى هو :

« نهال آرزو »

اى نهال آرزو ، خوش زى كه بار آورده اى

غنچه بى بادصبا ، گل بى بهار آورده اى

ولم تـكن هذه القطعة أول ماقالت ، فقد قيل أنها كانت تحاول أن تنظم الشعر وهى فى الثامنة من عمرها ثم شجعها أبوها بنشره لبعض أبياتها وقطعها فى صحيفته « بهار » وكانت القطع المنشورة تذيل باسم «پروين»

باغبان تورا ، امسال سال خرمی است
زين همايون ميوه ، كزهر شاخسار آورده ای
شاخ وبرگت نيكنامی ، بيخ وبارت سعی وعمل
اين هنرها ، جمله از آموزگار آورده ای
خرم آنكو وقت حاصل ارمغانی ازتوبرد
برگ دولت زاد هستی ، توش كارآورده ای
غنچه ای زبن شاخه مارازيب دست ودامن است
همتی ای خواهران تافرصت كوشيدن است
پستی نسوان ايران جمله از بی دانش است
مرد يازن برتری ورتبت از دانستن است
زين چراغ معرفت كامروز اندر دست ماست
شاهراه سعی واقليم سعادت روشن است
به كه هر دختر بداند قدر علم آموختن
تا نگويد كس ، پسرهشيار ودختركودن است
زن زتحصيل هنرشد شهره درهر كشوری
برنكرداز ماكسی زين خواب بيدردی سری
ازچه نسوان ازحقوق خويشتن بی بهره اند
نام اين قوم ازچه دور افتاده ازهر دفتری
دامن مادر نخست آموزگار كودك است
طفل دانشور كجا پرورده نادان مادری
باچنين درماندگی ازماه وپروين بگذريم
گركه ماراباشداز فضل وأدب ، بال وپری
(قطعة رقم ٢٠٢) .

فظن كثيرون من القراء أن پروين رجلا ، ولم يكن يتصور أحدهم أن هذا الشعر لفتاة صغيرة السن أو أن الأنثى تستطيع أن تصل إلى هذا المستوى من الإنتاج الأدبي في وقت كانت النظرة إلى المرأة فيها شيء كبير من المهانة والإزدراء ، هذا الظن دفعها إلى قول هذين البيتين تدفع عن نفسها مظنة القارئين بأنها رجل :

— لابد وأن يتطهر القلب من غبار الفكر الخاطىء ، حتى يعلم الشيطان أن هذه المرآة ليست مكانا للغبار .

— يظن جمع أهل الفضل أن پروين رجل ، ومن الأفضل قول هذا السر أن پروين ليست رجلا [1] ..

وبعد الانتهاء من الدراسة قامت بمهمة تعليم وتدريس العلوم الأدبية الأمريكية التي تخرجت فيها . وقال أخوها إنها عملت في هذه المهنة فترة من الزمن [2] دون أن يحدد هذه الفترة تحديدا دقيقا ، ولكن صاحب « گلى چند » قال : إنها ظلت تعمل على تثقيف وتربية براعم الوطن الصغيرة حتى آخر عمرها [3] ..

---

(١) والنص الفارسي هو :

او غبار فكر باطل ، پاك بايد داشت دل
تابداند ديو ، كاين آئينه جاى گرد نيست
مرد پندارند پروين را ، چه برخى زاهل فضل
اين معما گفته نيكوتر ، كه پروين مرد نيست
(مقطعات رقم ٢٠٧) .

(وقد نشر هذان البيتان في صحيفة « بهار » في جمادى الأولى ١٣٤١ هـ ق)

(٢) مجموعة مقالات . ص ٦ .

(٣) حسين گلپايگانى گلى چند از ديوان پروين اعتصامى ، طهران ١٣٣٣ ش

ويبدو أن قصر عمرهـــا جعل الفترة التى نهضت فيها بالتدريس تتسم بالقصر مما دفع أخاها إلى أن يعتبرها « فترة من الزمن » .

وفى أثناء ذلك كانت – كما يقول أخوها — رفيقة والدها فى كل أسفاره داخل وخارج إيران [1] .

ولـكن يبدو أن المقصود بهذا هو تنقل الوالد داخل مدن إيران ، فلو كان هذا السفر قد شمل بلادا أخرى لتحدثت عنها پروين فى شعرها أو لورد ذكرها فيما كتبه المؤرخون عن حياتها أو حياة أبيها ؛ أو لقدم لنا أخوها نفسه قائمة بهذه البلاد التى زارتها الشاعرة . .

وأثناء عملها بالتدريس لم تتوقف عن التحصيل تحت إشراف والدها، وواصلت قول الشعر حتى وصل ما كتبته إلى كم يصلح لأن ينشر فى ديوان مستقل ، فحاول أصدقاء والدها دفعه لـكى يجمع كل ما قالته پروين وينشره فى ديوان خاص بها ، ولـكنه تحرج من طبعه ونشره خوفا من أن يظن البعض أنه قام بهذا العمل دعاية لابنته التى بلغت الثامنة والعشرين من عمرها ولم تتزوج حتى يتقدم لخطبتها الخاطبون . على الرغم من أن أخاها ذكر أنه فى تلك الفترة تقدم لها عدد من الخطاب ولـكنها كانت ترفضهم جميعا [2] .

ثم حدث أن تقدم لخطبتها فى ذلك الوقت ابن عم والدها فوافق والدها على هذا الزواج وتم عقد القران فى ١٩من تير عام ١٣١٣ ش واستمر الإعداد لهذا الزواج مدة أربعة شهور زفت پروين بعدها لبيت زوجها فى كرمانشاه، ولـكن هذه المصلحة الاجتماعية التى كانت تقدم النصح لجميع أترابها، فشلت

---

(١) مجموعة مقالات . ص ٧ .

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .

فى أن تقيم حياة سعيدة مع هذا الزوج . بل سارعت بفض هذه الرابطة بعد شهرين ونصف فقط . وعادت أدراجها لى بيت أبيها فى طهران وظل سوء التفاهم قائماً حتى انتهى الأمر بالطلاق فى الحادى عشر من شهر مرداد عام ١٣١٤ ش . وفى مجال تعليق أخيها عن هذا الزواج قال : لم يكن هذا الزواج مناسبا [١] . كما قال مؤلف زنان سخنور : إن هذا الزواج لم يكن يتفق وتفكيرها ورغباتها [٢] :

وعلى هذا فسر طلاقها السريع لم تتضح أسبابه بعد . فبالنظر إلى ماقالته پروين فى قطعتها المكونة من ثلاثة أبيات يمكن القول بأن هذا الزواج كان عبئا ثقيلا وهما صعبا بالنسبة لها لم تستطع تحمله فسارعت بالخلاص منه . وبالنظر إلى ما قاله أخوها عن هذا الزواج يمكن الاستنتاج من تعبيره غير مناسب أن المشارب والأهـــواء بالنسبة لپروين وزوجها لم تكن متقاربة وبالنظر إلى ما قاله مؤلف زنان سخنور من عدم اتفاق هذا الزواج مع تفكيرها ورغباتها يمكن القول بأن زوجها ربما لم يكن يتفق معها فى مناداتها بمساواة المرأة بالرجل فى ذلك العصر مما أدى إلى عدم ارتياح كل منهما إلى الطرف الآخر ، فلم يحاول أى طرف أن يقترب من الطرف الثانى فأدى ذلك إلى الانفصال السريع . ولعل هذا التفسير يتفق وما قالته پروين عن قصة زواجها، وتشبيه الزواج بقفص يكبت حرية المرأة التواقة إلى التحليق فى سماء الأحرار كالطائر الطليق

— أيتها الوردة؛ ماذا رأيت من مجتمع الحديقة غير وخز الأشواك؟

(١) مجموعة مقالات ص : ٧ .

(٢) زنان سخنور ج ١ ص : ٨١ .

— أيتها الشقائق الجميلة . ماذا رأيت من السوق مع جمالك وروننك غير المشترى الوقح ؟

— أيها الطائر الأسير ، لقد مضيت نحو الخميلة ، فأصبح القفص نصيبك وما رأيت شيئا غير القفص !![1]

ويبدو أن يوسف اعتصامى أراد أن يسرى عن ابنته ويشغلها عن التفكير فى هذا الزواج الفاشل ، فقام فى نفس عام طلاقها بطبع ديوانها الأول مرة ، وطلب من ملك الشعراء بهار أن يكتب مقدمة الديوان ، فقبل بهار وطبع الديوان عام ١٣١٤ ش بعد شهور من الطلاق[2] .

واستقبل الجميع الديوان استقبالا حسنا ، سواء فى ذلك الأدباء المرموقين أو أترابها ، وجميع القراء ؛ فتحدثت الصحف عن ديوانها وامتدحه الجميع وقيلت القصائد والقطع الشعرية ابتهاجا بالديوان وتهنئة للشاعرة . ومن بين ماقيل تلك القطعة التى قالتها السيدة سوسن آل داود :

— أى عظمة لثرياك أيها الفلك فإن لنا ثريا (أى پروين) تعلو الشمس منزلة .

---

(١) الديوان ص ٢٠٧ .

أى گل ، تو ز جمعيت گلزار چه ديدى
جز سرزنش وبدسرى خار ، چه ديدى
اى لعـــل دل افروز تو با اينهمه پرتو
جز مشترى سفله ، ببازار چه ديدى
رفتى به چمن ، ليك قفس گشت نصيبت
غير از قفس ، اى مرغ گرفتار ، چه ديدى

(٢) المقدمة موجودة بجميع طبعات الديوان ، فقد حرص أبو الفتح اعتصامى على إثبات جميع المقدمات فى جميع الطبعات التى أصدرها للديوان حتى الآن.

— عليك أن تقللى من فخرك أيتها السماء ، فأنت لا تعرفين شيئا عن پروينتنا .

— وإن كنت قد عرفت پروينتنا ؛ فكيف ترفعين الرأس فخارا وعظمة ؟

— وإن كان لك ثريا تعلو الفلك ، فإن پروينتنا (ثريانا) قد سمت فوق مرتبة الملائكة

* * *

— وأنت أيتها المتحدثة اللبقة ، ليجعل الله الحظ قرينك والإقبال نصيبك .

— بنظمك السلس أدركت الدنيا روحها ، لذا فقد سارعت صوب نظمك العذب.

— ونثرت بنظمك الدرر فى ربوع الدنيا ، كما أثارت ثائرة العالم بهذا النظم [1] :

---

(١) والنص الفارسى هو :

چه بالى به پروين خويش ، اى سپهر
كه ماراست پروين برتر ز مهر
تو ، اى آسمان ، فخر كمتر نما
چو آگه نباشى زپروين ما
زپروين ما گر خبر داشتى
بدعوى كجا سر برافراشتى
تو را گر كه پروين بود بر فلك
گذشته أست پروين ما از ملك

* * *

والملاحظ أن الشاعرة لعبت فى البيت الأول بلفظ (پروين) فذكرته مرة بمعنى (الثريا) ومرة أخرى تعنى به شاعرتنا پروين ، فلفظ (پروين) فى اللغة الفارسية بمعنى (ثريا) فى اللغة العربية .

وكان استقبال الجميع للديوان بالتشجيع والتأييد دافعا لوزارة المعارف فى عام ١٣١٥ ش لكى تكرم پروين بإهدائها نيشانا من الدرجة الثالثة العلمية ولكنها — كما يقول أخوها ـ لم تستخدم هذا النيشان ولو مرة واحدة فى حياتها (١) :

وبعد عام واحد من هذا التكريم أى فى سنة ١٣١٦ ش منيت پروين بأكبر كارثة فى حياتها ، فقد توفى والدها ومعلمها ومرشدها فبكته بكاء مرا أثر على حياتها .

ولم تعمر پروين كثيراً بعد وفاة أبيها فقد عاشت بعده أربعة أعوام فقط ، إذ لزمت الفراش فى الثالث من شهر فروردين ١٣٢٠ ش ، وشخص الطبيب المعالج مرضها بأنه الحصبة ، وأخيرا أسلمت الروح فى السادس عشر من شهر فروردين عام ١٣٢٠ ش أى بعد ثلاثة عشر يوما من رقادها وبعد

= إلا اى سخن پرور هوشيار
كه بختت قرين باد واقبال يار
زنظم روانت ، جهان روح يافت
أز آن رو ، سوى نيك نظمت شتافت
زنظمت به گيتى گهر بيختى
همان عالمى را برانگيختى
(مجموعهٔ مقالات . ص ٢٦)

(١) مجموعهٔ مقالات . ص ٧ .

حياة امتدت أربعا وثلاثين سنة وواحداً وعشرين يوما بحساب السنة الشمسية والسنة الميلادية ، وخمسة وثلاثين عاما بحساب السنة الهجرية القمرية إذ كانت ولادتها عام ١٣٢٥ هـ . ق ووفاتها عام ١٣٦٠ هـ . ق وعلى هذا قال البعض : إنها ماتت عن أربعة وثلاثين عاما (١) ، وقال البعض الآخر إنها ماتت عن خمسة وثلاثين عاما (٢) .

ودفنت پروين فى الصحن الجديد بالزاوية المقدسة للحضرة المعصومة بقم فى مدافن الأسرة البهلوية حيث يوجد مزار أبيها (٣) :

وهكذا اقتربت من أبيها بعد فراق دام أربعة أعوام ، ولعلها سعدت بهذا القرب فهدأت نفسها وطابت روحها .

وعلى شاهد قبرها نقشت القطعة التى قالتها لكى تسطر على مزار قبرها ووجدت بين أوراقها بعد وفاتها ، ولا يعلم أحد بالتحديد متى قالتها ، وهذه ترجمة كاملة لأبياتها :

نظمتُ هذه القطعة من أجل شاهد قبرى

— هذه التى مقرها التراب الأسود ، إنها پروين نجمة فلك الأدب .

— مع أنها لم تر إلا المرارة من الأيام ، فكل ما ترغبه أنت عذب كلامها .

— اليوم تسألك صاحبة هذه الأقوال ، قراءة الفاتحة ويس .

— والأفضل أن يتذكرها الأحبة ، فالقلب بلاحبيب ، قلب كسير .

---

(١) تذكرهٔ شعراى معاصر إيران جـ ١ ص ٦٧ ، ديوان پروين : چاپ پنجم ، ص : د .

(٢) زنان سخنور جـ ١ ص ٨٢ .

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة .

— التراب فى العين ، كم هو مبل للروح ، والحجر على الصدر ، ما أثقله من حجر .

— كل من يبصر الخليقة سيرى هذا المرقد ، ويأخذ منه عبرة .

— هذا المكان آخر منزل فى الوجود ، حيثما تكون وأنّى تصل .

— الأدمى مهما كان غنيا فهو مسكين حين يصل إلى هذه النقطة .

— حيثما يهجم القضاء ويشن حملاته فلا وسيلة إلا التسليم والخضوع

— للدهر قانون ودستور أزليان، مضمونهما الولادة والقتل والاختفاء

— سعيد ذلك الشخص الذى يوفر لخاطره أسباب الراحة فى معترك المحن هذا [1] .

---

(١) والنص الفارسى هو :

« اين قطعة براى سنگ مزار خود سروده ام »

اينك خاك سيهش باليش است
اختر چرخ أدب پروين است
گرچه جز تلخى أز أيام نديد
هرچه خواهى ، سخنش شيرين است
صاحب آنهمه گفتار ، امروز
سائل فاتحه وياسين است
دوستان به كه زوى ياد كنند
دل بى دوست ، دل غمگين است
خاك در ديده ، بسى جان فرساست
سنگ برسينه ، بسى سنگين است
بيند اين بستر وعبرت گيرد
هركه را چشم حقيقت بين است

وكان موتها مفاجأة لأرباب الفضل والأدب فعمهم وشملهم الغم ، وسارع جمع كبير منهم بكتابة المقالات الصحفية التي تعبر عن فجيعتهم الكبرى بموت پروين[1] كما عقدت مجالس التأبين متتالية ، أهمها ذلك الذى عقده أعضاء مجمع العلماء فى بيت رئيسهم السيد عادل خلعتبرى ، بعد أن رفضت وزارة المعارف الإيرانية أن يعقد فى قاعة دار الفنون وذلك فى ذكرى الأربعين لوفاة الشاعرة ووافق ذلك اليـــوم الخامس والعشرين من أرديبهشت عام ١٣٢٠ ش[2] .

وافتتح الحفل بكلمة صاحب الدار السيد عادل خلعتبرى ، ثم تلاه ملك الشعراء بهار بكلمة تدور حول مكانة پروين الأدبية .

وأنشدت قصائد كثيرة ، ولكن من أبرز ما قيل قطعة قالها آقاى عبد

= هركه باشى وزهر جاى رسى
آخرين منزل هستى ، اين است
آدمى هرچه توانكر باشد
چون بدين نقطه رسد ، مسكين است
اندر آنجا كه قضا حمله كند
چاره تسليم وادب تمكين است
زادن وكشتن وپنهان كردن
دهر را رسم وره ديرين است
خرم آن كس كه در اين محنت گاه
خاطرى را ، سبب تسكين است
(قطعة رقم ٢٠٩)

(١) انظر مقالة صديقتها مهكامه محصص ، مجموعه مقالات . . . ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠ .

الحسين نجم آبادى المتخلص بسروش، وقد قالها ليتم بها تلك القطعة التى كتبتها پروين لتسطر على شاهد قبرها، وقد حدد تاريخ وفاة پروين بالتواريخ: الهجرى القمرى والهجرى الشمسى والميلادى، وسأكتفى هنا بترجمة هذه الأبيات الثلاثة التى حددت تواريخ وفاتها بحساب الجمل، مع العلم بأن هذه القطعة التى قالها سروش تتفق مع قطعة پروين فى الوزن والقافية :

— تلك التى ودعت أطراف العالم، إنها بدر الأدب پروين .

— ومن أغلقت عينيها عن الدنيا فى ريعان الشباب، إنها پروين .

— وهذا القمر الذى مضى من برج الأدب صوب المقام الأبدى، إنه پروين[1] .

ويلاحظ أن البيت الأول بحساب الجمل يحدد عام وفاتها بعام ١٩٤١ ميلادية، والبيت الثانى يحدد عام الوفاة بحساب الجمل أيضا بعام ١٣٦٠ هجرى قمرى، أما البيت الثالث فقد حدد الوفاة بعام ١٣٢٠ هجرى شمسى .

كما عقد فى السادس والعشرين من أرديبهشت من نفس عام الوفاة مجلس

---

(١) والأصل الفارسى هو :

كانكه افشانده زدنيا دامان
ماه تابان ادب، پروين است
كانكه بنهاده بهم ديده ناز
در جوانى زجهان، پروين است
اين مه آمده ازبرج ادب
زى مقام ابدى، پروين است
(مجموعه مقالات . ص ٢٨)

تأبين بالمدرسة الأمريكية حيث تعلمت پروين وعلمت . وقد نظمت هذا الاجتماع زميلاتها الخريجات وحضر هذا الاجتماع عدد قليل كان يتمثل فى معلمات المدرسة ونفر من زميلاتها ، وكذلك نفر قليل من محبى شعرها، وقد افتتحت مسز شولر مديرة المدرسة الأمريكية الحفل بكلمة موجزة عن پروين تحدثت فيها عن أخلاقها ومدى اتسامها بالتواضع والإقبال على الدرس[1] ، واشترك فى الحفل أمير الشعراء بهار والدكتور شايگان ، كما قرأت زميلة لپروين قطعة « نهال آرزو » التى تغنت بها الشاعرة يوم تخرجها فى هذه المدرسة .

ولم تقتصر مجالس التأبين على طهران وحدها ، بل عقد مجلس تأبين آخر فى همـــدان وذلك فى الحادى عشر من ارد يبهشت عام ١٣٢٠ ش فى المجمع الأدبى .

وفى الذكرى الأولى لوفاة پروين فى السابع عشر من أرد يبهشت عام ١٣٢١ ش عقد اجتماع لتأبينها فى قاعة « دار الفنون » تحت إشراف مجمع العلماء ، وقد سبق هذا الاجتماع إرسال بطاقات دعوة إلى جميع الوزراء والوكلاء ومديرى المدارس وغيرهم[2] .

ويبدو أن الدعوة قـــد وجهت أيضا إلى الشاه ، فأرسل مندوبا عنه ، ورأس الاجتماع السيد عادل خلعتبرى رئيس المجمع ، الذى تحدث

---

(١) راجع كلمة مسز شولر بمجموعه مقالات. ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص : ٤

عن پروین وبخاصه فيما يتعلق بإهدائها النيشان العلمى من قبل وزارة المعارف[1].

كما تليت فى هذا الحفل قصائد وقطع تتحدث عن عظمة پروین ومقدار الحزن الذى عم المتعلقين بالآداب لرحيلها السريع المفاجىء ، وقد أورد أخوها نماذج من هذه القصائد فى كتيبه الصغير « مجموعه‌ٔ مقالات وقطعات اشعاركه بمناسبت درگذشت واولين سال وفات خانم پروین اعتصامى » .

ولم يقتصر التأبين والعزاء على إيران وحدها،بل تعداها إلى أقطار إسلامية أخرى ، فقد نشرت مجلة « الثقافة » المصرية فى عددها الثلاثين بعد المائة قصيدة للشاعر محمد جمال الهاشمى يبكى فيها پروین وذلك فى العام التالى لوفاتها أى فى ١٩٤٢ م (١٣٢١ ش) وفيها يقول :

إلى حمامة الفن ، نابغة الشرق وشاعرة الفرس

المأسوف على شبابها — پروین اعتصامى

رفرفى فى الخلود بين طيوره ⁂ واشربى من ندى الجمال ونوره

وأعيدى على الكواكب شعرا ⁂ طرب الكون من رقيق شعوره

واقرأى دفتر العواطف على الأملا ⁂ ك فالسحر كامن فى سطوره

ريشة الفن دبجته بـلون ⁂ فتن العاطفات فى تحبيره

وتجلت آياتـه فى بينات ⁂ آمن العارفون فى دستوره

آية المرأة الأديبة فى الشرق ⁂ ورمز الشرقى فى تفكيره

(١) مجموعه‌ٔ مقالات . ص ٤ .

أظهرت فتنة الأنوثة فى معنى   يحار الرجال فى تفسيره
حرت فى فكرك الخصيب وما   جاء به للعقول فى تصويره
أمعانى الحياة وهى محيط   غرق الكل ظامئا فى نميره
كيف صورت كنهها بنشيد   ساحر فى أوزانه وبحوره
وقفت دونه فلاسفة العالم   حيرى تصغى إلى تقريره

* * *

زهرة الفرس ليت شعرى أيبكى   روض إيران فقد أذكى زهوره
قد تمشى الذبول فيك وايار   طوى فى حسنه وعبيره

* * *

ربة الفن عز أن يفقد الفن   لبابا قد لاح بين قشوره
جذبتنا أنغام عودك حتى   ما سكرنا على سوى تزميره
وبقينا فى عالم الأمل الباسم   نلهو بروضه وغديره
وصحونا على نعيك نستمطر   أجفاننا بشؤم نذيره

. . .

فوداعا قيثارة الشعر فالأنغام   تبقى فى الدهر طى عصوره

النجف الأشرف   محمد جمال الهاشمى[1]

---

(١) نقلا عن « مجموعة مقالات » ص ٣٣ ، ٣٤ .

الفصل الثالث

سمات شخصيتها

كانت روين تتمتع بسمات أخلاقية جعلتها موضع احترام كل من كتب عنها ، أو من ربطت الحياة بينها وبينهم بصلات الصداقة أو العمل ، وسأبدأ بسرد ماقاله هؤلاء وهؤلاء عنها، ثم أدون ملاحظاتى على شخصيتها من خلال قراءتى لديوانها . .

وأول من يسأل عن أخلاقها صديقتها الشاعرة الأديبة مهكامه محصص ، فالصديق خير من يتحدث عن أخلاق صديقه ، وقد تحدثت محصص عن أخلاق روين فى المقالة الصحفية التى نشرتها بعد وفاتها فقالت :

« إنها وفيه فى صداقتها ، صادقة القول فى حياتها ، ولقد كانت لقاءاتى مع روين ومحبتها وصلتها المفرطة بالأخلاق، وسجاياها الحسنة التى تعلو على كل شائبة تدخل السرور إلى روحى . . . كما كانت طاهرة الأصل ، طاهرة العقيدة ، طاهرة الذيل، مهذبة مخلصة لصديقاتها ، متواضعة ، راسخة الخطى فى طريق الحقيقة والمحبة، قليلة الكلام كثيرة التفكير ،تقسم فى حياتها بالبساطة لم تقل قولا يبعدها عن مضار الأخلاق الحميدة . . فقد أتت إلى الدنيا كالملاك الطاهر ، ورحلت عن الدنيا كالملاك الطاهر أيضاً .(١)

---

(١) مجموعه مقالات . ص ٢٩ وما بعدها .

وقد شاركتها فى هذا الوصف لأخلاق شاعرتنا « مسز شولر » مديرة المدرسة الأمريكية التى راقبت أخلاق پروين وهى طالبة تتلقى العلم، ثم پروين معلمة بالمدرسة ، فقالت عن أخلاقها :

« ... مع أن پروين كانت تدرك الكثير من المعارف والمعلومات وقت التحاقها بالمدرسة فإن تواضعها كان كبيرا إلى درجة أنها كانت تظهر شوقا وافرا للاحاطة بكل مطلب أو موضوع جديد حتى ولو كانت تعرفه من قبل .. كما كانت پروين تحاول التعرف على كل أمور العالم وكانت تسعى للوقوف على كل شىء ، وفى صداقتها إخلاص فقد داومت على مراسلة صديقتها الأمريكية — الآنسة هيلين — ولم تتوقف عن مراسلتها قط .. فمن الصفات البارزة التى تميز هذه الفتاة الفاضلة والتى تسترعى النظر أكثر من غيرها صداقتها وصراحتها ، ولم يتوفر لدى أى شخص على الإطلاق ما كانت تتمتع به فى هذا الخصوص ، فهى لم تدع الصداقة مطلقا كما لم تكتب عن فكرة أو عقيدة قط إلا وكانت تؤمن بها ، وباصطلاح الإيرانيين كان قلب پروين مرآة صافية، إذ كان يعكس شخصيتها الحقيقية فقط .. »[(١)] .

وإلى جانب هذين الرأيين كتب مجموعة من الكتاب أقوالا تشيد بأخلاق پروين ومن هؤلاء صاحب كتاب « زنان سخنور » حيث كتب :

« كانت پروين حريصة على الدوام على الحرية والأحرار والصداقة والحب والوفاء والسير فى طريق الحب والحقيقة . ومع أنها التزمت الصمت والعزلة ، ولكن إدماء الروح والأسرار

(١) مجموعة مقالات . ص ٢٨ .

الخفية قد كمنت فى لب هذا الصمت ، وفى هذه العزلة، وكانت حياتها وسط هذه القناعة تسير فى هدوء واستقرار »[١] . .

ويقول صاحب گلهاى جاويدان : أشعارها المذبة الفاصة بالمعانى لخير دليل على أحاسيسها الطاهرة وآلامها المبرحة[٢] . .

أما صاحب كتاب گنج سخن ، فقد كتب يقول : كانت پروين واقعة تحت تأثير الاعتقاد الدينى الشديد والتفكير العرفانى[٣] . .

وهكذا نجد أن الذين تناولوا شخصية پروين بالدراسة قد أشادوا بأخلاقها وبسماتها الحسنة التى جعلتها تحظى باحترام الأدباء فى عصرها ، وجعلت فجيعتهم كبيرة برحيلها المبكر وموتها المفاجىء . .

ولكن لو استقرأنا الديوان وسألناه عن أخلاقها ، وسمات شخصيتها ، فبم يجيبنا ؟ .

الديوان فى رأيى خير مصدر للحكم على شخصية پروين وخير مرجع نستقرأ فيه محسانها وعيوبها كذلك . وهذه سمات شخصيتها كما تبدو فى ديوانها :

أولا :

كانت پروين مثالا يحتذى للأخلاق ولعل تربيتها الدينية غرست فيها هذه المعانى ، فقد كانت تكره التكبر والغرور والعجب وتدعو إلى تجنبها ، حيث قالت موجهة الحديث إلى ورقة ذابلة سقطت عن غصنها :

---

(١) زنان سخنور ج ١ ص ٨٠ .
(٢) گلهاى جاويدان دربوستان ادب إيران ص : ٢٢٥ .
(٣) ذبيح الله صفا : گنج سخن ، ص ٢٩١ ، ج ٣ تهران ١٣٤٠ ش .

— لن يظل مغرور على ترفعه مطلقا ، فسيسقط ذات يوم مثلك على قارعة الطريق[١] .

وقالت أيضا :

— سودت صحيفة القلب النقى بالتكبر والغرور ، كما سقطت فى هذه النار نتيجة للجهل[٢] . .

والمتصفح لجميع ماقالته فى الديوان يجد أنها لم تفاخر بنفسها بل أنها قدمت الديوان فى تواضع تام ، حيث قالت فى مقدمته :

— حديثى لا يعد من أحاديث ذوى الفضل ، إنما هو مجرد ذكرى فى هذه الصفحات القليلة[٣] .

ثانيا :

كانت دءوبة فى تحصيل العلم والمعرفة — كما قالت عنها مسز شولر مديرة المدرسة الأمريكية — ، فلم تنس فى خلال دعوتها إلى تحرير المرأة أن تذكر بنات جنسها بأهمية العلم والتعليم وأنه الوسيلة لرقى المرأة ، ولكى تتخطى المنزلة المهينة التى فرضت عليها ، فقالت ماترجمته :

---

(١) نماند بربلندى هيچ خود خواه

در افتد چون تو روزى برگذرگاه

(مثنوى رقم ٦٩)

(٢) زخود بينى سيه كردى ، دل بيغش ، زخود بينى

زنادانى در افتادى درين آتش ، زنادانى

(قصيدة رقم ٤٠)

(٣) نبود درخور أرباب فضل كفته من

درين صحيفه ناچيز يادكارى بود

(مقدمة الديوان : بباغ نظم)

— اجتهدی وتعلمی وانشری شعاع الفكر — أيتها الفتاة — فالفرصة التی منحت إياها بلا عوض[١] ..

وقالت أيضاً :

— لابد للعقل من معرفة السباحة كالغواصين ، وذلك فی بحار العلم اللانهائية من أجل النفع[٢] ..

ثالثا :

كانت پروين حريصة كل الحرص علی الشعور بحرية المرأة لذا نجدها تطلب من بنات جنسها أن يدافعن عن حريتهن المسلوبة، كما تسخر من التفرقة التی جعلت من الرجل أعلی مرتبة من المرأة حيث قالت :

— لم يقرر القضاء بأی مبحث ولا بأی ديباجة ، أن الكمال سمة الرجل والنقص صفة المرأة[٣] .

---

(١) وأصله بالفارسية :

بكوش ودانش آموز وپرتوی بفكن
كه فرصتی كه ترا داده اند ، بی بدل است
(مقطعات رقم ٢٠٧)

(٢) وأصله بالفارسية :

از برای سود ، در دريای بی پايان علم
عقل مانند غواصان شناور داشتن
(قطعة رقم ٤٤)

(٣) واصله بالفارسية :

بهيچ مبحث وديباجه ای ، قضانوشت
برای مرد كمال ، وبرای زن نقصانی
(قطعة رقم ١٤٥)

رابعا :

كانت پروين مرهفة الإحساس ، عاطفية الوجدان ، تشارك الفقراء آلامهم وتواسى المحزونين ، وتقسو على الظالمين ، وتحزن لأحزان اليتيم ، وتبكى لآلام الشكالى والمكلومين ، فقد قالت :

أتسفك دم اليتيم ثم تطمع فى روضة الجنة وظلال طوبى(١) .

كما قالت :

— فكر مليا فى الفقر والفاقة ، يا من يقطن بجوارك فقير(٢) .

كما يبدو إحساسها المرهف أيضا فيما كتبته عن مظاهر الطبيعة ، فقد تحدثت عن الرياحين والورود وأثر كل من الربيع والخريف عليها ، وقصر عمر الزهور ومقدار تعلق الطير بالحديقة؛ومما قالته عن الربيع :

— الجواهر التى نثرتها سحابة الربيع ، زينت وجه الأرض باللؤلؤ .

— لم يبق بالخميلة غصن واحد ، لم تخلع عليه حلة مزركشة .

— وتعطر الهواء بالمسك من تفتح البراعم العديدة(٣)

---

(١) خون يتيم دركشى وخواهى باغ بهشت وسايهء طوبى
قصيدة رقم (٢)

(٢) انديشه كن از فقر وتنكدستى اى آنكه فقيريت در جوار أست
قصيدة رقم (١)

(٣) ز گوهر ريزى ابر بهارى بسيط خاك شد پرلؤلؤ تر
نماند اندر چمن يك شاخ كانرا نپوشاندند رنگين حله در بر
ز بس بشكفت گوناگون شكوفه هوا گرديد مشكين ومعطر
(قطعة رقم ٢٠١)

خامساً :

كان يغلب على پروين الشعور بالكآبة والإحساس بالتشاؤم ، حيث أكثرت من الحديث عن المصائب والكوارث التى يضعها الفلك فى طريق الخلق فيرديهم صرعى ، كما ارتبط ذكر الأيام فى ديوانها بالهموم والغموم دائما ، ولعل حياة پروين الخاصة وما اتسمت به من انطوائية وعزلة ثم اخفاقها فى زواجها كل هذا جعلها تبدو متشائمة فى شعرها ، والقطعة التى كتبتها لتسطر على شاهد قبرها خير دليل على تشاؤمها . فقد شكت من قسوة الأيام ، وأنها لم تر يوما سعيدا فى حياتها :

— مع أنها (أى پروين) لم تر إلا المرارة من الأيام ، فكل ما ترغبه أنت عذب كلامها .(1)

كما أن پروين أنشدت مقطوعات لاحديث فيها إلا عن المصائب والكوارث ، ومنها على سبيل المثال هذه القطعة التى اختارت لها عنوانا كله قسوة وتشاؤم وهو « سختى وسختيها » بمعنى « شدة وشدائد » وفيها قالت :

شدة وشدائد

— من الشدائد اختفاء الغم فى أيام العمر ، وإضرام الشرر فى مزرعة الأمل .

— ورؤية الغصن الذى لا يثمر الجفوة من الماء والطين .

---

(1) الأصل الفارسى هو :

گرچه جز تلخى از أيام نديد

هرچه خواهى ، سخنش شيرين است

(قطعه رقم ۲۰۹)

— والوقوف فى محفل السفلة ، والجلوس للسؤال على قارعة الطريق .

— وكذا الاحتماء بذئب غادر فى غار خوفا من الأسود .

— وطلب الرأفة من قاسى القلب ، وسؤال الخسيس العون .

— وغرس الأشواك الدامية بالقلب مكان المحبة والشوق .

— وكذلك السقوط فى البحر والغرق فى خضمه ، دون العثور على ملاذ ، ودون رؤية لشاطىء .

— والضعف الناتج عن المرض والحرمان ، وفقدان الشعور بالذات فى كل مكان .

— وسماع السباب من السفلة ، وطلب الأمان من القتلة .

— والتطاير كقشة تبن أمام آهة ، والتناثر كالغبار أمام أية ريح .

— وكون الصديق الجافى لدى العالم ، أفضل من الخلاص[1] . .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

نهفتن بعمرى غم آشكارى
فكندن بكشت أميدى شرارى
بپاى نهالى كه بارى نيارد
جفاديدن از آب وگل ، ، روز گارى
ببزم فرومايگان ايستادن
نشستن بدريوزه در رهگذارى
زبيم هژبران ، بناهنده گشتن
بگرگى سيه دل ، بتاريك غارى
زسنگين دلى ، خواهش لطف كردن
سوى ناكسى ، بردن از عجز كارى
بجاى گل آرزوئى وشوقى
نشاندن بدل ، نوك جانسوز خارى =

وإلى جانب تلك القطعة كتبت پروين أبياتا متفرقة كثيرة عن المصائب والكوارث مشيرة إلى عدم ثقتها بالناس، فقد قالت على لسان طائر أصابه سهم صياد:

— يبدو من سقف عشى الطينى المتواضع، أن سقف دار الخلق متهدم متصدع.

— لا أعلم أى رفعة للإنسان على الطير ، غير ادعائه باطلا بأنه إنسان .

— لاشفقة لدى هذه القبيلة المتكبرة ، وإن نمعن النظر فستجد كل شىء مجرد لافتة وادعاء باطل(١) .

= بدريا در افتادن وغوطه خوردن
نه جستن پناهى ، نه ديدن كنارى
زبون كشتن از درد ومحروم ماندى
بهرجا برون بودن ازهر شمارى
شنيدن زهر سفله ، حرف درشتى
زمردم كشى ، خواستن زينهارى
بآهى ، پراكنده گشتن چوكاهى
زبادى ، پريشان شدن چون غبارى
بسى خوبتر ونيكتر نزد دانا
ز دمسازى يار ناسازكارى

(قطعة رقم ١٢٠)

(١) الأصل الفارسى هو :
زباد خرد گل اندود يست ما ، پيد است
كه سقف خانهٔ جمعيت پريشانى است
چه برتريست ندانم بمرغ ، مردم را
جز اينكه دعوى باطل كند كه انسانى است
درين قبيلهٔ خود خواه ، هيچ شفقت نيست
چونيك در نگرى ، هرچه هست عنوانى است
(قطعة رقم ١٤٦)

ودليل آخر على تشاؤم پروين يبدو فى إكثارها الحديث عن الخريف وأثره المدمر وقد حظى الخريف بعظيم اهتمامها ، فقد ذكر أكثر مما ذكر الربيع ، والخريف فصل التشاؤم بين فصول السنة ، وفيه قالت :

— إذا ما شهر الخريف سيفه ، سالت الدماء الصافية من الغصن والورقة(١)

ولكن على الرغم من نظرة پروين المتشحة بوشاح التشاؤم ، فقد عقدت حوارا بين الأمل واليأس ، حقرت فيه من شأن اليأس ورفعت من مكانة الأمل ، ويحسن بنا فى هذا المجال أن نذكر بعض ماقالته فى هذا الحوار حتى نستطيع أن نحكم أكانت متشائمة حقا أم متفائلة :

— قال الأمل لليأس وقت السحر : لم يسمع شخص قط عمن هو مثلك سيء الطالع .

— لقد زحفت على باب كل قلب بجيش قوامه حرقة ونواح ودمعة وآهة .

— ما أكثر ما ارتكبت هذه الأفعال القبيحة ، حتى جعلت الشباب يبدو من الحسرة فى هيئة الشيوخ .

— إنك تقيد أقدام كل حر ، وتلحق الضرر بكل موجود .

— وتحرق الحصاد بنار الحسرة والهموم ، كما تنزع من يد المحبة كل ذيل (تعلقت به) .

(١) الأصل الفارسى :
چو تيغ مهرگانى بر ستيزد زشاخ وبرگ ، خون ناب ريزد
(مثنوى رقم ٦٩)

— ولا أمان لساحل قط أمام أمواجك ، ولانجاة لحصاد قط من هجومك .

— أما أنا ، فلى حظوة فى كل قلب ، كما أشق طريقا وسط كل ظلمة .

— أطيب خاطر المغمومين ، كما أصبح ضياء ساطعا وسط الظلمات .

— وأسعد قلبا برسالة ، كما أرسل شعاعا مضيئا صوب كل ظلمة .

— بى تزدان عروس الدهر ، كما يرتفع بى بناء العشق سامقا .

— حسنٌ ذلك الرمز الذى يبشر بالعشق ، وسعيدٌ ذلك القلب الذى يمتلىء بنور الأمل .

— فقال (اليأس) أيها الصديق ؛ إن تقلبات الفلك تفرقك كما تفرقنى .

— لايتساوى اليأس والأمل ، إذ تقطب الدنيا جبينها فى وجهى ، فى حين تبتسم لك .

— وكم كنت أمتدح نفسى بأفعالك ، وقتما كنت أملا .

— فأذا بقتنى جفوة الأيام ، وطبعت عملى كله هكذا بالجفوة .

— وسلبتنى المحن القاسية جلوتى ، فرأيت القسوة ، كما حقر شأنى .

— فمشت الليالى حزينا كئيبا ، حتى صرت دمعة أتساقط من كل عين .

— أنت مقيم بكل قلب خال من الهموم ، لذا فأنت سعيد ، أما أنا فلى القلوب الملتاعة .

— مضى الأمل ، ولمع كالبرق لحظة ، فمتى يضيء برق الأمل دواما[1].

* * *

(١) الأصل الفارسي هو :

به نومیدی ، سحرگه گفت امیدی
که کس ناساز گاری چون تو نشنید
کشیدی بر در هر دل سیاهی
زسوزی ، ناله ای ، اشکی وآهی
بس است این کاری تدبیری کردن
جوانان را بحسرت پیر کردن
نهی برپای هر آزاده بندی
رسانی هر وجودی را گزندی
باندوهی بسوزی خرمنی را
کشی از دست مهری دامنی را
ز امواج تو ایمن ، ساحلی نیست
زتاراج تو فارغ ، حاصلی نیست
مرا در هر دل ، خوش جایگاهیست
بسوی هر ره تاریك راهیست
دهم آزردگانرا مومیائی
شوم در تیرگیها روشنائی
دلی را شاد دارم باپیامی
نشانم پرتوی را با ظلامی
عروس وقت را آرایش از ماست
بنای عشق را پیدایش از ماست
خوش آن رمزی که عشقی رانویداست
خوش آن دل کاندران نور امید است
بگفت ایدوست ، گرد شهای دوران
شمارا هم کند چون ما پریشان

على الرغم من أن پروين رفعت من مكانة الأمل على اليأس فى هذا المثنوى ، إلا أنها لم تكن متفائلة على الإطلاق ، فعلى الرغم من إشادتها بالأمل فقد اعتبرته كالبرق يبدو خاطفا ، وسرعان مايختفى ، وتحل محله الظلمة ، وتمنى بها التشاؤم ، ثم تحسرت فى البيت الأخير حسرة المسكوم على ضياع الأمل ، وتمنت أن يدوم بسؤال استنكارى يعبر عن مقدار حسرتها وقلقها ، وإذا كانت قد فضلت الأمل على اليأس فهذه قضية يتفق عليها الجميع دون أدنى اختلاف ، ولكن ضياع الأمل من يدها بهذه السرعة وحسرتها عليه ، يدل على ما كانت تعيش فيه من كآبة وحزن وتشاؤم ٠ ٠

هذه أهم سماتها الشخصية التى أثرت دون أدنى شك فيما نظمته ، وسنرى أثر هذه السمات فى آرائها بالديوان عندما أعرض لها فى الفصل الأول من الباب الثانى ٠ ٠

= نه يكسانند نومیدی واميد
جهان بگريست برمن ، برتو خنديد

در آن مدت كه من اميد بودم
بكردار تو خود را می ستودم

مرا دلمردی أيام بگداخت
جهان ناسازگاری كارمن ساخت

سياهيهای محنت جلوه ام برد
درشتی ديدم وگشتم چنين خرد

شبانگه در دلی تنگ آرميدم
شدم اشكی واز چشمی چكيدم

تو بنشين در دلی كازغم بود پاك
خوشند آری مرا دلهای غمناك

گذشت اميد وچون برقی درخشيد
هماره كی درخشد برق اميد

(مثنوى رقم : ٥٩)

الباب الثانى

شعر پروین

تقديم :

طبع ديوان پروين اعتصامى خمس طبعات حتى الآن ، وقد تمت الطبعة الأولى فى حياة پروين ، وتحت إشراف والدها وذلك فى عام ١٣١٤ ش (١٩٣٦ م) ، وقدم لها ملك الشعراء بهار بمقدمة طويلة تقع فى ثمانى صفحات تكلم فيها عن مكانة پروين ، كما ضمنها بعض التعليقات حول أسلوبها وأفكارها .

أما الطبعات الأربع الأخرى فقد صدرت بعد وفاة پروين ، لذا تضمنت الأشعار التى قالتها پروين بعد صدور الطبعة الأولى وحتى مماتها، وكانت آخر هذه الطبعات فى عام ١٣٤١ ش (١٩٦٢ م) وقد بلغ مجموع نسخ الطبعات الخمس ثلاثة وخمسين ألف نسخة ، وهذا عدد كبير جدا بالنسبة لحالة النشر والتوزيع فى إيران وأقطار الشرق كلها ومنها مصر ، وبهذا الخصوص قال العلامة الراحل سعيد نفيسى : لا يوجد بين المعاصرين من حظى إنتاجه بما حظى به ديوان پروين من اهتمام وحرص على الاقتناء من القراء والمهتمين بالأدب[1] .

وقد بدأت پروين ديوانها بإهدائه إلى أبيها ، ثم قدمت للديوان بقطعة من الشعر اسمها (بباغ نظم) أى (فى بستان النظم) قالت فيها :

— الأمل أن يتقبله ذوو العـــلم والمعرفة ، فبالأمل ينطلق الكل إلى العمل .

— إننى أدع هذه الوديعة فى يدى الزمان ، فهو خبير وناقد فطن .

(١) ديوان پروين ، الطبعة الخامسة . مقدمة ، ص : د .

— حديثى لا يصل إلى أحاديث ذوى الفضل ، إنما هو مجرد ذكرى فى هذه الصفحات القليلة[١] .

بعد المقدمة ، يأتى القسم الأول وهو خاص بالقصائد فقط ، ويضم اثنتين وأربعين قصيدة وردت مرتبة طبقا لحرف الروى فى كل منها ، وتختلف القصائد من حيث عدد الأبيات فالقصيدة الرابعة والعشرين تبلغ اثنين وسبعين بيتاً ، بينما تقل القصيدة العشرين حتى تصل إلى عشرة أبيات فقط . ولاتتسم القصائد عامة بالوحدة الموضوعية لذا لم تضع پروين لها عناوين خاصة كما فعلت فى القسم الثانى ، وعدم توخى الوحدة الموضوعية يجعل من السهل تغيير ترتيب الأبيات ولا يخل ذلك ببناء قصيدتها ، وقد شذت عن هذه القاعدة القصيدتان العشرون والثالثة والثلاثون ، حيث خصت الشاعرة القصيدة العشرين بالحديث عن صفات الإنسان الطاهر القلب ويمكن أن نضع لها عنوانا هو « الملاك » ، أما القصيدة الثالثة والثلاثون فقد خصتها بالحديث عن الخريف وأثره المدمر ، وتصلح لها عبارة « هجوم الخريف » عنوانا .. وتبلغ أبيات هذا القسم ستة وخمسين وثلاثمائة وألف بيت.

ثم يأتى القسم الثانى وهو قسم المثنويات والتمثيلات والمقطعات ، ويشمل هذا القسم ضروبا عديدة أهمها المثنوى الذى يضم أطول وحداته ، فلا توجد وحدة تزيد أبياتها على الستين إلا وكانت من المثنوى ، وليس

---

(١) اميدهست كه كار آگهانش بپذيرد
به كارگاه امل ، هرچه بود كارى بود
من اين وديعه بدست زمانه ميسپرم
زمانه زرگر ونقاد هوشيارى بود
نبود در خور ارباب فضل ، گفتهٔ من
درين صحيفه ناچيز يادگارى بود

معنى هذا أن جميع المثنويات اتسمت بالطول ، فبعض المثنويات لا تزيد عدد أبياتها على العشرين (١) والبعض الآخر يصل إلى ثمانية عشر بيتاً فقط (٢) .

والضرب الثانى من ضروب القسم الثانى هو القطعة ، وأكثر وحدات هذا القسم تقع فى هذا الضرب وقد جاءت بعضها إجابة على سؤال تسوقه الشاعرة فى البيت الأول منها (٣) ، وبعضها يكون وصفاً لظاهرة طبيعية معينة كالربيع مثلا ..

والضرب الثالث ما يسمى بـ (تركيب بند) وقد ورد فى خمسة تركيبات أربعة منها تتفق فى طريقة تركيبها ، وهى اختلاف كل وحدة عن وحدات التركيب الأخرى فى القافية ، مع اتحاد حرف الروى فى المصراع الأول من كل وحدة مع قافية وحدته ، ويفصل بين كل وحدة وتاليتها مصراع يتفق فى حرف رويه مع جميع المصاريع الفاصلة بين الوحدات ، ولكن هذه المصاريع تختلف فى حرف رويها عن قافية الوحدات التى يتكون منها التركيب (٤) . أما التركيب الخامس فيختلف عن الأربعة السابقة فى استقلال كل وحدة بقافيتها ويشاركها فى هذه القافية المصراع الفاصل بين وحدات هذا التركيب وعلى هذا فلا اتفاق بين وحدات هذا التركيب إلا فى الوزن فقط (٥) ..

والضرب الرابع هو الغزل وقد وردت بالديوان سبع غزليات (٦) تتفاوت

---

(١) مثنوى رقم ٨٨ .

(٢) مثنوى رقم ٥٠ .

(٣) قطعة رقم ٥١ .

(٤) هذه التركيبات أرقامها : ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٩٦ .

(٥) تركيب رقم : ٢٠٦ .

(٦) أرقام الغزليات هى : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ١٢٥ .

أبياتها بين ستة أبيات (١) وسبعة عشر بيتاً (٢) ، وهي غزليات صوفية كلها .

أما الضرب الخامس والأخير فهو ضرب المقطعات والمفردات، وقد جمعها الناشر تحت رقم واحد (٣) ، وأول هذه المقطعات يقع في ثلاثة أبيات ، ثم أربعة مقطعات يقع كل واحد منها في بيتين فقط ، وبعد ذلك تأتي المفردات وتبلغ أحد عشر بيتاً ، قيل كل بيت على حدة . وبعض هذه المقطعات وتلك المفردات قالتها پروين في بداية حياتها أو في مناسبات خاصة ، كالمقطع الأول الذي قالته تعليقاً على زواجها القصير الفاشل ، وكالمقطع الثالث الذي نشر بمجلة « بهار » التي كان يصدرها والدها ، وذلك لتوضح فيه الشاعرة حقيقة جنسها بعد أن ظن بعض القراء أنها رجل ..

ووحدات هذا القسم الثاني تتسم بالوحدة الموضوعية ، لذا فقد وضعت لكل وحدة عنوانا ، وكان الحرف الأول من هذه العناوين هو الذي اتخذته أساسا لترقيم وحدات هذا القسم ، وقد توخى الناشر هذا الأساس في الترقيم في جميع المثنويات والقطع إلا في الوحدات الثلاث الأخيرة حيث جاءت الوحدة رقم : ٢٠٧ خاصة بالمقطعات والمفردات ، أما الوحدتان الأخيرتان فقد آثر الناشر تأخيرهما حتى يقابل كل قطعة منهما بأخرى كتبتها الشاعرة بخط يدها ، وأولاهما تنعى فيها أباها ، والثانية نظمتها لكي تسطر على شاهد قبرها ..

وتختلف وحدات القسم الثاني من حيث الطول والقصر حيث تبلغ

---

(١) غزلية رقم : ٤٦ .

(٢) غزلية رقم : ١٢٥ .

(٣) هذا الرقم هو : ٢٠٧ .

أطوالها تسعة وسبعين بيتا[١] بينما تبلغ أصغر قطعة ستة أبيات[٢] ... ويبلغ عدد أبيات هذا القسم الثانى خمسين ومائتين وأربعة آلاف بيت ، أى أن مجموع أبيات الديوان بقسميه يبلغ ستة وستمائة وخمسة آلاف بيت .

هذا هو التقسيم الذى اتبعه الناشر – أبو الفتح اعتصامى – لكل ما قالته پروين ، وإن أضاف من عنده بعض المقدمات وأضاف فى نهايته معجما لبعض الكلمات الصعبة ، وكذلك تعريفا بالأعلام .

---

(١) مثنوى رقم : ١٧٩ .

(٢) تشترك فى هذا العدد أربع قطع أرقامها : ٤٦ ، ٥١ ، ٦٦ ، ٨٢ .

الفصل الأول

آراء پروين في شعرها

تناولت پروين في ديوانها عديدا من الموضوعات عالجت فيها كثيرا من القضايا الاجتماعية التي سادت عصرها والتي كانت تعوق تقدم إيران والشرق في ذلك الوقت وتلقى عليها ظلالا من الكآبة والحزن ، حتى يمكننا اعتبار پروين بهذه المشاركة مصلحة اجتماعية ، لا في إيران وحدها بل في جميع أقطار الشرق كلها ..

كما تناولت پروين عددا من الموضوعات الأخلاقية داعية قارئ ديوانها للتحلي بالقويم منها ، منفرة من الخلق السيء الذي يلحق بأصحابه سوء السمعة والشرور وهي دعوة تصلح لكل زمان ومكان فهي تبغي إصلاح حال الإنسان أينما وجد ..

ومن الموضوعات التي اهتمت بها پروين أيضاً ، وحظيت بعنايتها وبخاصة في قسم القصائد للمعاني الصوفية التي جعلت الإنسان ينتقل بفكره إلى شعراء الصوفية السابقين في القرون الخامس والسادس والسابع الهجرية ، ولكن بلا إغراق في مصطلحات معقدة ، فقد كانت تمس المسائل الصوفية بخفة ، وتنتقل من فكرة إلى أخرى بلا إفاضة في واحدة منها ..

هذه أهم الموضوعات التي تكلمت عنها پروين بإسهاب ، ولكن إلى إلى جانبها موضوعات أخرى حظيت بالقليل من عناية الشاعرة، ومنها مايتصل بالوطنية والحرية ، ومنها مايتصل بالطبيعة المحيطة بها ..

والآن يجدر بنا أن نفصل الحديث عن هذه الموضوعات التى اهتمت بروين بها لنرى كيف عالجت كل موضوع على حدة ..

• • •

أولا « الشعر الاجتماعى »

يمثل هذا الجانب القسم الأكبر من الديوان ، فالحالة الاجتماعية السيئة التى سيطرت على العصر الذى عاشت فيه الشاعرة ، كانت موضع اهتمامها وتعجبها وحملاتها [1] ، وذلك لما تمتعت به من إحساس مرهف وشعور رقيق جعلها تشارك أفراد شعبها آلامهم وأحزانهم ، فخفق قلبها لصرخات المتأوهين ، وشاركت اليتيم أحزانه فمدت يدها تربت على كتفه ، وتكفكف الدموع من عينيه ، كما واست الأرمل أحزانها وقاسمت العجوز المسكينة آلامها ، ثم وجهت طعانها لمسببى هذا الظلم الاجتماعى من حكام اتسموا بالجور وقضاة اتصفوا بالظلم وطلب الرشوة . كما دافعت عن نفسها وعن بنات جنسها ضد إجحاف الرجال وطالبت بأن تتمتع المرأة بالمشاركة الإيجابية فى الوطن وألا تحرم من حقها فى التربية والتعليم .

ويمكن تقسيم شعرها الاجتماعى إلى قسمين أحدهما تناولت فيه الأسرة وثانيهما اهتمت فيه بالإصلاح الاجتماعى .

• • •

(١) زنان سخنور ، جـ ١ ، ص : ٨١ .

(ا) الأسره فى شعر پروين

أركان الأسرة الأم والأب والأطفال ، وقد حظى الركنان الأول والثالث بعظيم اهتمام الشاعرة ، أما الركن الثانى وهو الأب فلم تشر إليه پروين إلا فى القليل النادر ، مما أجد نفسى فى غير احتياج إلى الإشارة إليه ، لأنه لا يمثل أى قيمة فى أفكارها ، أما الركنان الآخران فقد عالجتهما من خلال زاويتين يمكن الفصل بينهما ، كما يمكن الجمع بينهما أيضاً ، وهاتان الزاويتان هما : الدفاع عن المرأة ، والأمومة والطفولة ..

١ — الدفاع عن المرأة :

دافعت پروين عن المرأة فتاة كانت أم أما ، فقد رأت الشاعرة أن من واجبها أن تدافع عن بنات جنسها ضد الظلم الاجتماعى الواقع على المرأة ، فجاهدت لكى توضح لبنى وطنها مكانة المرأة ودورها الفعال فى مجتمعها ، سواء بقيت داخل المنزل ، تخدم زوجها وأولادها وتدفعهم نحو المجد ، وسواء خرجت لتشارك الرجل فى مجالات العمل المختلفة ..

وقد بدأت تدافع عن المرأة منذ صباها ، وبدا هذا الدفاع واضحا فى الكلمة والقطعة التى ألقتها فى حفل تخرجها فى المدرسة ، بعد ذلك لم تتوقف عن هذا الدفاع والنضال يوما ، بل واصلته طوال سنى عمرها القصيرة .

ومن أجمل ماقالته پروين دفاعا عن مكانة المرأة المهضوم حقها قطعة بعنوان (ملاك الأنس) يجمل بنا أن نذكر ترجمة لأبيات منها ثم نعلق عليها بعد ذلك:

— إن عدم ذلك القصر المرأة فقد الأنس والشفقة ، وإذا مات القلب فى ذلك الوجود ماتت الروح .

— لم يقرر القضاء بأى مبحث ولا بأية ديباجة ، أن الكمال سمة الرجل وأن النقص صفة المرأة .

— المرأة منـــذ البداية ركن منزل الوجود ، ومن ذا الذى شيد دارا بلا أساس ، وبلا بنيان .

— إن لم تذب المرأة كالشمع فى طريق المتاعب ، لما أدرك شخص قط ما لهذا الطريق المظلم من نهاية .

— إن لم تشرق المرأة بعالم الوجود كالشمس ، لما حاز طاهر العشق جوهرا من ذلك المنجم .

— المرأة ملاك ، فحينما تبدو ، انظر فيها الملاك ، فما أكثر طعنات الشيطان الموجهة إليها .

— إذا كان أفلاطون وسقراط عظيمين ، فأعظم منهما مربية طفولتهما .

— كم رقـــد لقمان فى مهد أمه طفلا ، ثم ذهب إلى مكتب الحكمة ، فأصبح حكيما .

— هل تعرف أيها الحكيم وظيفة الرجل والمرأة ، إن أحدهما سفينة ، والآخر ربان .

— فتاة اليوم على الدوام أم الغد ، وعظمة الأبناء مبعثها الأم .

— وما ثروة الرجل وعظمته إلا الإخلاص للمرأة ، وما ثروة المرأة ومتاعها إلا محبة الأولاد .

— المرأة العظيمة ليست ربة الدار وحدها ، بل هناك الطبيبة والممرضة والحارسة والجندية .

— المرأة التى لم تشتر جوهر التعليم والتربيـــة ، باعت جوهرها الغالى رخيصا .

— ليست فاضلة من تظن أنها تعظم بالقرط ، وبعقد من المرجان .

— كم يليق بجيد ومعصم المرأة ، يا پروين ، جوهر العلم ، لا جوهر الأصباغ .[1]

---

(١) النص الفارسي هو :

- درآن سراى كه زن نيست، انس وشفقت نيست
درآن وجود كه دل مرد ، مرده است روان
— بهيچ مبحث ودیباجه أی ، قضا ننوشت
براى مرد كمال وبراى زن نقصان
— زن أز نخست بود ركن خانهٔ هستى
كه ساخت خانهٔ بى پاى بست وبى بنيان
— زن اربراه متاعب نميگداخت چو شمع
نميشناخت كس اين راه تيررا پايان
— چومهر ، گر كه نميتافت . زن بكوه وجود
نداشت گوهرى عشق ، گوهر اندركان
— فرشته بود زن ، آنساعتى كه چهره نمود
فرشته بين ، كه بروطعنه ميزند شيطان
— اگر فلاطن وسقراط ، بوده اند بزرگ
بزرگتر بوده ، پرستار خردى ايشان
— بگاهواره مادر ، بكودكى بس خفت
سپس بمكتب حكمت ، حكيم شد لقمان
— وظيفهٔ زن ومرد ، اى حكيم ، دانى چيست
يكيست كشتى وآن ديگريست كشتيبان
— هميشه دختر امروز ، مادر فرداست
زمادرست ميسر ، بزرگى پسران
— توان وتوش ره مرد چيست ، يارى زن
حطام وثروت زن چيست ، مهر فرزندان =

هذه دعوة صريحة لإعلاء شأن المرأة فى إيران والشرق وإعطائها حقوقها السليبة ، وقد تضمنت هذه المعانى :

١ — المرأة ملاك الرحمة ، على الرغم من طعنات المغرضين .

٢ — لاغنى عن المرأة فى الحياة .

٣ — المرأة والرجل شريكان فى تحمل عبء الحياة .

٤ — فساد الدعوة القائلة بأن الكمال صفة الرجل ، وأن النقص شيمة النساء .

٥ — وراء كل عظيم امرأة وهذه المرأة هى الأم .

٦ — العلم أفضل زينة تتزين بها المرأة ، لا الأصباغ والجواهر .

٨ — ضرورة خروج المرأة إلى الحياة العامة .

وهنا تبدو عظمة پروين كمصلحة اجتماعية من الطراز الأول ، فإذا كانت تطالب بحقوق فإنها لم تنس أن تبصر المرأة بواجباتها ، فالحياة الحرة الكريمة حقوق وواجبات ، والمرأة التى لاتحافظ على حريتها بالحفاظ على كرامتها

= — زن نكوى ، نه بانوى خانه تنها بود
طبيب بود وپرستار وشحنه ودربان
— زنى كه گوهر تعليم وتربيت نخريد
فروخت گوهر عمر عزيز را ارزان
— نه بانوست كه خود را بزرگ ميشمرد
بگوشواره وطوق وبياره مرجان
— براى گردن ودست زن نكو ، پروين
سزاست گوهر دانش ، نه گوهر الوان
(قطعة رقم ١٤٥)

ومظهرها ومخبرها ، لا تستحق أن تعطى أى حق فى هذه الحياة ، والمرأة المهتمة بزينتها عليها أن تدرك أن الزينة ليست فى أصباغ وجواهر ولآلىء ، بل الزينة الحقيقية فى كمال عقل المرأة بالفضل والتعليم ..

وواصلت پروين كفاحها ونضالها من أجل حرية المرأة ، لذا كانت فرحتها عظيمة يوم أن أعلن رفع الحجاب فى إيران فقد قالت قطعة تعبر عن فرحتها بهذا الإعلان العظيم ، وكم اغتبطت به المرأة فى إيران لان المرأة شعرت بكيانها فى المجتمع وأنها تستطيع أن تشق طريقها فى الحياة بلا حراسة من الرجل لأنها تعرف كيف تحمى نفسها ، ولكن پروين دعت المرأة فى هذه القطعة — كعادتها دواما — إلى التمسك بالعفة والفضل والسعى دائما من أجل التعليم ، فمن طريقه تستطيع كل امرأة الوصول إلى ماتصبو إليه فى مجتمعها؛ وهذه ترجمة لبعض ماقالته فى هذه القطعة :

— كأن المرأة فى إيران قبل هذا لم تكن إيرانية ، ولم يكن لها نصيب سوى سوء الحظ والاضطراب .

— ظلت صيحات المرأة بالمساواة عمرا بلا جواب ، على الرغم من وضوح هذا الظلم وعدم خفائه .

— ما أكثر الذين ارتدوا ثياب الحراسة ، ولكنهم كانوا جميعا ذئابا لاحراسا .

— ثمار روضة العلم متعدد ، ولكن ، لانصيب للمرأة من هذا التعدد .

— كان التقليد تية الفتنة ، وبئر البلاء بالنسبة للمرأة ، ولذا فأين المرأة التى لم يكن هذا الطريق المظلم طريقها ؟

— يجب أن يكون شرط الرفعة التزين بالعلم ، لا بعقد الزمرد والياقوت البدخشانى .

— ما فائدة الذهب والزينة إن كانت المرأة جاهلة ، فالزينة والذهب لا تخفيان عيب الجاهل .

— المرأة صاحبة كنز ، وكنزها العفة ، أما لصها فهو الحرص والطمع ، والويل لها إن جهلت قانون الحراسة .

— لابد من حجاب أمام العين والقلب ، ولكن من العفاف ، وما كان أساس أى مسلم خيمة بالية[1] .

---

(١) النص الفارسي هو :

— زن در ایران، پیش ازین گوئی که ایرانی نبود
پیشه اش ، جز تیره روزی ، وپریشانی نبود
— داد خواهی های زن ، میماند عمری بی جواب
آشکارا بود این بیداد ، پنهانی نبود
— بس کسان را جامه وچوب شبانی بود ، لیك
در نهان جمله گرگی بود ، چوبانی نبود
— میوه های دکه دانش ، فراوان بود ، لیك
بهر زن هرگز نصیبی زین فراوانی نبود
— بهر زن ، تقلید تیه فتنه وچاه بلاست
زیرك آنزن ، كو رهش این راه ظلمانی نبود
— آب ورنگ از علم میبایست ، شرط برتری
با زمرد یاره ولعل بدخشانی نبود
— از زر وزیور چه سود، آنجا كه نادان است زن
زیور وزر ، پرده پوش عیب نادانی نبود
— زن چو گنجور است وعفت گنج وحرص وآز، دزد
وای اگر آگه زآئین نگهبانی نبود
— چشم ودل راپرده میبایست ، اما زعفاف
چادر پوسیده ، بنیاد مسلمانی نبود
(قطعة رقم ١١٨)

نلاحظ أن پروين وهى فى قمة الفرح والسرور برفع الحجاب ، لم تنس مطلقا أن تبصر بنات جنسها بأن رفع الحجاب ليس معناه رفع العفة والطهر من حسابهن أو التبرج بالأصباغ والمساحيق ، والتزين بأبهى زينة وبأغلى حلى بل يجب عليهن أن يثبتن للرجال أنهن جديرات بهذا النصر وأنهن سيحافظن على عفتهن وطهرهن ، وأنهن سيتخذن من العفة حلية تحيط بجيدهن ، ثم دعت المرأة إلى التعليم وخوض غماره حتى تصبح أم المستقبل متعلمة تعرف كيف تربى أبناءها لخير الوطن ورفاهيته .

وحتى بعد رفع الحجاب نجد پروين تواصل الانتصار لبنات جنسها وبيان أن المرأة شريكة الرجل فى الحياة ، ولا يمكن أن تستقيم الحياة بدونها سواء كانت عاملة أو كانت ربة بيت ، فالبيت بدون المرأة يصبح فوضى وأى فوضى ، ومهما كان الرجل موفقا فى عمله وفى مكتبه إلا أنه لا يمكن أن يوفق فى إدارة البيت مثلما تديره المرأة ، فالرجال عاجزون عن تصريف أمور مملكة البيت ، لذا يجب أن ينظر الرجال إلى ربة البيت لا على أنها قوة معطلة غير منتجة ، بل هى قوة إنتاجية ضخمة ، فبدونها لن يستقيم بيت أى رجل وإذا لم يستقم بيت الرجل ، فلن يستقيم عمله كذلك ، لأن هذا الرجل سيكون مشوش الخاطر تجاه بيته وتجاه عمله ، فلا هو ناجح فى هذا ولا ناجح فى ذاك وعلى هذا يجب أن ينظر إلى ربة البيت نظرة حقيقية على أنها العامل الأول فى ترفير السعادة لزوجها وأسرتها ، والمحافظة الأولى على مال زوجها ، وأن البيت بدونها خراب فى خراب .

هذه المعانى قد أبرزتها پروين فى مثنوى بعنوان « مجلسان » أى مجلس القضاء ومجلس البيت ، فقد عاد أحد القضاء إلى بيته ثائرا غاضبا ، وصب جام غضبه على رأس زوجته وقال لها : إنها سبب كل بلاء يصيبه ، وأن كل همها

فى الحياة استنزاف أمواله لتأكل وتسمن وتتزين وتشترى الجواهر ، فهو يشقى وهى تنعم ، كما أنها تجلس فى البيت ولاعمل لها ، أما هو فيذهب إلى المحكمة ويعمل طوال نهاره فى مشقة وألم ..

غضبت الزوجة وقالت : كل ما أطالبك به هو أن تجلس مكانى بالبيت يوما أو يومين وسأترك لك الدار ، لترى هل تستطيع تصريف أمور المنزل أم لا . ثم خرجت وتركته ، ففشل القاضى فشلا ذريعا فى إدارة شئون البيت فقد سرق الخدم كل شىء وبعثروا أثاث المنزل ، وحين أراد القاضى معرفة السارق أو المخرب فشل تماما . فسارع بالفرار من البيت . وهنا تدخل الزوجة وتقول له : هل عرفت الآن ماهو عملى ؟ إنك لم تستطع القيام به لمدة يومين فقط . ثم أخبرته أن كل شىء بالمنزل تمسك هى بخيوطه فلا يستطيع أحد من الخدم اللعب بها أو سرقتها ، وهكذا انتصرت المرأة على الرجل بعد أن عرف أنها قوة مؤثرة ومنتجة فى مملكة البيت ، وأن البيت لايمكن أن يستقيم أمره بلا امرأة ، ومما قالته روين ماترجمته :

ـ نظر (القاضى) بجفاء تجاه زوجته وقال : لقد جعلت يومى أسود .

ـ إنك جاهلة بمجريات الأمور فى العالم ، اما أنا فأسير الآلاف من الأحزان والشرور .

ـ ما أن رأت عينك كيس الذهب ، حتى أبدت الرغبة الأكيدة فى التزين .

ـ لم أعد أصلح قائدا ولا زعيما ، إذ كيف أعرف مكانى ، وأنت بالمنزل

ـ قالت الزوجة بلطف وابتسامة : أى فعل هذا ؟ ولم هذا العراك مع الباب والحائط ؟

ـ لن أقول إننى أعمل ، أو إننى حملت الأثقال على كتفى مثلك .

- لكننى سأخرج من المنزل غدا ، فاحمل أنت هذا البساط المقلوب .
- وحين رحلت الزوجة من المنزل سحرا ، جلس القاضى وقد خرب المنزل
- فكان يكتب أحيانا ويقرأ قصة أحيانا ، لقد بقى بالدار ، ولكن بقى جاهلا بما يدور فيها .
- ثم رأى القاضى المنزل غاصا بالاضطراب والشر ، فكان هذا مجلسا ، ولكنه مجلس من نوع آخر .
- لقد فشا العبث نتيجة لهذا العراك والجدال ، ولكن لابد من الذهاب ، فقد مضى وقت المجلس .
- حين نهض من مكانه ، فتحت الزوجة الباب ، وقالت : هل رأيت صدق ماقلته ؟ .
- لقد فعلت أنت الكثير بمجلس العدالة ، ولكنك بالمنزل كنت عاجزا عن العمل .
- لقد تحدثت كثيرا عن عملك ، أما أنا فلم أقل شيئا ، ولكنك رأيت عملى .
- ما أن رأيت مجريات الأمور بالمنزل ، حتى بقيت بضعة أيام ثم سارعت بالفرار .
- إننى أطفىء مائة نار فى لحظة ، وذلك بيدى أحيانا ، وأحيانا بعينى ، وأحيانا بأذنى (١) .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

كرد خشم آلوده ، سوى زن نگاه
گفت كو دست تو روزم شد سياه
تو ز سرد وگرم گيتى بى خبر
من گرفتار هزاران شور وشر ==

هكذا انتصرت پروين للمرأة التي تجلس في البيت ولاتزاول عملا يدر عليها دخلا ، فهي لا تعد قوة معطلة بل هي منتجة كزوجها تماما ؛ إنتاجها في بيتها،فهي تشرف على كل صغيرة وكبيرة في هذه المملكة التي تربعت على عرشها ومهما أوتي الزوج من كياسة وفطنة وحسن تدبير فهو عاجز عن إدارة البيت بمهارة تدنو من مهارة الزوجة وحسن تصرفها .

= تا كه چشمت ديد هميان زرى
كردى ازدل ، آرزوى زيورى

بعد ازين نه پيروم ، نه پيشوا
چون تو اندر خانه خواهم كرد جا

زن بلطف وخنده گفت،اينكار چيست
بادر وديوار ، بردوش ، بارى داشتم

من نميگويم كه كارى داشتم
ياچوتو ، بردوش ، بارى داشتم

ميروم فردا من از خانه برون
توبر افراز اين بساط واژگون

زن چو از خانه سحرگه رخت بست
خانه ديوانخانه شد ، قاضى نشست

گاه خط بنوشت وگاه افسانه خواند
ماند ، اما بيخبر از خانه ماند

ديد قاضى ، خانه پر شور وشر است
محضر است ، اما دگرگون محضر است

گفت زين جنگ وجدل سرچيره گشت
بايدم رفتن ، كه محضر گذشت

چون جا بر خاست ، زن در را گشود
گفت ديدى آنچه گفتم راست بود =

ولكن على الرغم من وقوف پروين إلى جانب بنات جنسها ، نصيرة لهن ، مطالبة بحقوقهن ، رافعة من شأنهن ، إلا أنها كانت مبصرة لهن ، محذرة إياهن من كل ما يلحق الضرر بسمعتهن الطيبة ، وهذا هو دور المصلح الاجتماعى الناجح الذى يهتم بإعطاء كل ذى حق حقه ، وتبصير كل فرد بواجبه وحثه على القيام به على خير وجه ممكن .

وخير ما تحافظ عليه المرأة الشرقية عفتها وطهرها ، لذا نرى پروين تشير إلى ذلك فى مناسبات عديدة وفى أبيات متفرقة ، حتى تتزين المرأة بهذه العفة وبالطهر لا بالمساحيق والأصباغ وعقود الزمرد والمرجان ، وحلى من الذهب والفضة ، قالت :

— المرأة صاحبة كنز العفة ، ولصها الحرص والطمع ، فالويل كل الويل إن جهلت قانون الحراسة .

— ليست فاضلة من تظن أنها تعظم بالقرط وبعقد من المرجان .

= تو ، به محضر داورى كردى هزار
ليك اندر خانه در ماندى زكار
توبسى گفتى زكار خويشتن
من نگفتم هيچ ودیدى كار من
تا تو اندر خانه ديدى گير ودار
چند روزى ماندى وكردى فرار
من كنم صد شعله دريكدم خموش
گاه دستم ، گاه چشم ، گاه گوش

(مثنوى رقم : ١٠٢)

— وفاجرة من تنفق كل ما تسارع فى تحصيله على المساحيق والعطر والذهب والتزين[١] .

. . .

هكذا كانت پروين تدافع عن المرأة مطالبة بإعطائها حقوقها وأهم هذه الحقوق التى دعت إليها حق التربية والتعليم فهو المدخل إلى الشعور بالحرية الحقيقية ، وهو المدخل إلى الشعور بالكرامة وبالقيمة الفعلية للإنسان ، وعلى هذا يمكن اعتبار پروين رائدة من رائدات الحركة النسائية فى إيران الحديثة ، ولكنها رائدة معتدلة فى أفكارها ودعوتها فلم تدع إلى التبرج والاهتمام بالحلى والملبس ، بل إنها رائدة تهتم ببنات جنسها وضرورة قيامهن بدورهن فى مجتمعهن ، وأن يكن أمهات متعلمات قادرات على إعداد جيل مسئول عن تقدم بلاده ، بل إنها دعت إلى خروج المرأة إلى مجال الحياة العملية كطبيبة ومعلمة وممرضة إلى غير ذالك من الأعمال التى تتفق وطبيعة المرأة لتشارك مشاركة إيجابية فى خدمة وطنها .

---

(١) الأبيات الفارسية :

زن چوگنجور است وعفت گنج وحرص وآز دزد
وای اگر آگه زآئين نگهبانی نبود
(قطعة رقم ١٤٥)

نه بانوست که خود را بزرگ میشمرد
بگوشواره وطوق وبياره مرجان
(قطعة رقم ١٤٥)

روسپی از کم وبیش آنچه کند گرد ، همه
صرف گلگونه وعطر وزر وزیور گردد
(قطعة رقم ١٦)

٢ — الأمومة والطفولة :

حرمت روين نعمة الأمومة حيث تزوجت ولم يدم زواجها غير شهرين ونصف، ولم تحمل خلالهما ، إلا أنها على الرغم من ذلك تكلمت بإسهاب عن الأمومة والطفولة وضرورة الاهتمام بهما وبخاصة الطفولة المشردة نتيجة لليتم، فعلى المجتمع أن يعوض اليتيم حنان من فقد .

وقد تناولت روين الأمومة والطفولة من جوانب عدة أهمها :

الأم هى الركن الأول بالمنزل :

ترى روين أن الأم هى الركن الركين فى أى منزل ، فعمار البيت مرهون بوجود الأم ، وخرابه نتيجة لخلوه من الأم،فهى تمسك فى يدها بزمام الأمور ، وتشرف على كل صغيرة وكبيرة بالمنزل ، فينصلح حال المنزل ، وتسير فيه الحياة طبيعية بلا مشاكل ولا منغصات ، أما إذا عدم المنزل الأم فسرعان ما يلحق به الخراب وتقوض دعائمه .

فقد نظمت روين تركيبا بعنوان «عش خرب» تصور طائرا أما أصيبت بسهم انطلق من قوس صياد قاسى القلب ، فأصاب السهم من الأم مقتلا . وكانت هذه الأم قد تركت فى عشها صغيرا لا يقوى على جمع قوته ، ولا تحريك جناحيه فسقط هذا الصغير على الأرض وأخذ يتخبط يمنة ويسرة ، ولم يجد من يقدم له العون والطعام ، فظل يعانى الألم والجوع حتى فقد الحياة. وفى النهاية تهدم العش وتقوضت دعائمه ، ولم يجد من يصلحه ، وهكذا لحق الدمار بكل شىء بعد أن عدم الصغير والعش ذلك الطائر الأم ، وهذه أبيات مما قالته روين :

ـ أقبل المساء وأظلم العش ، ولم يعد من رحل من سفره مرة أخرى

ـ نام الصغار على أمل الماء والحب ، وما ارتفع صياحهم مرة أخرى
ـ لم يقو أحدهم على الطـــير ، من سقف ذلك المنـــزل المرتفع
— وهكذا رحل عنه مرة واحدة ، ذلك السرور والشوق والنعمة والدلال .
— وما تذكر أحد قط هولاء الضائعين .
ـ وفى النهاية خـــلا وخرب ، ذلك المنزل الصغير الطاهر الآمن
ـ وتساقط طينه من السقف والسكوة ، وانهارت أشواكه وحشائشه من السطح
— ولم يعد يصلح مقرا للنوم ، كما لم يعد مكانا للراحة والسكينة .
— وذهب ذلك البناء الجميل أدراج الرياح ، وأصبح خرابا ما كان عامرا ، وله وجود وكيان .

وما عمر أحد قط ذلك العش الخرب مرة أخرى
— وكم سر ساقى الفلك الهرم ، حين رأى الكأس غاصة بالدم .
— وكثيرا ما شغف بسفك دم طفل ، وذلك بأن طوى بساط أم .
— فربما أن الصياد عديم الولد[1] .

. . .

(١) الأصل الفارسى هو :

آمده شب وتيره گشت لانه — وآن رفته نيامده از سفر باز
طفلان بخيال آب ودانه — خفتند ونخاست ديگر آواز
از بامك آن بلنـــد خانه — كس روز عمل نكرد پرواز
يكباره برفت ازميانه — آن شادى وشوق ونعمت وناز
زان گمشدگان نكرد كس ياد

=

الأم المعلم والحارس :

توضح لنا پروين فى كثير من القصائد والقطع دور الأم بالنسبة لأولادها، وكونها المعلم الأول لهم، تعلمهم كيف يستقبلون الحياة الجديدة وكيف يتكيفون معها، وما المخاطر والصعاب التى ستواجههم، وكيف يتخلصون من هذه الصعاب. كما أن الأم تحمل نفسها الصعاب حتى تجنب وليدها المخاطر، فهى تقوم بدور الحارس الأمين على الطفل :

فقد وجهت الشاعرة الحديث إلى عصفور صغير راقد فى عشه تدعوه إلى تعلم الحركة والطيران حيث جاءت نوبته بعد أن قامت الأم بتوفير كل شىء له، وتعليمه كيف يستقبل الحياة الجديدة، وبينت مقدار ما تحملته الأم فى سبيل تعليمه والمحافظة عليه، ومما قالته پروين ما ترجمته :

— هكذا تحطمت تلك البيضة، وربتك الأم فى أحضانها .

— وأجلستك تحت جناحها حين رأتك ضعيفا هزيلا .

آن مسكن خرد پاك ايمن　　خالى وخراب ماند فرجام
افتاد گلش ز سقف وروزن　　خار وخسكش بريخت از بام
آرامگهى نه بهر خفتن　　بامى نه براى سير و آرام
برباد شد آن بناى روشن　　نابود شد آن نشانه ونام
ديگر نشد آن خرابى آباد
شد ساقى چرخ پير خرسند　　پرديد زخون چو ساغرى را
خون ريخت بكام كودكى چند　　برچيد بساط مادرى را
فرزند مگر نداشت صياد

(تركيب رقم ٥٢)

— وكثيرا ما خرجت إلى الجبل والصحراء ، ولكى تمدك بالحب والفاكهة .

— وكثيرا ما طارت حتى تعلمك فى النهاية الطيران من غصن إلى غصن .

— وكم علمتك قوانينه وأصوله .

— علمتك ما تعرفه الآن عن مضرة الحبس ، وفتنة الشباك .

— وعلمتك ألا تطير إلى الشارع والسقف ، حتى تصبح قادرا .

وتحملت كل هذه الآلام بلا مقابل ، حتى أدركت أنت التجربة فى النهاية .

وها قد مضت ، وتركت لك العمل[1] .

والأم تقوم دواما بدور الحارس أما الصغار فالكنز الذى تتولى الأم حراسته بكل ما وهبها الله من قوة ، فقد قالت حمامة أم لفرخها :

---

(١) الأصل الفارسى هو :

آن بيضه بهم شكست ومادر　　در دامن مهر پروراندت
چون ديد ترا ضعيف وبى پر　　زير پر خويشتن نشاندت
بس رفت بكوه ودشت وكهسر　　تا دانه وميوه‌اى رساندت
بسيار پريد تاكه آخر　　از شاخه بشاخه‌اى پراندت
آموخت بسيت رسم ورفتار
داد آنچيست چنانكه دانى　　از زحمت حبس وفتنهٔ دام
آموخت همى كه تا توانى　　بيگاه مپر ببرزن وبام
برد اينهمه رنج رايگانى　　چون تجربه يافتى سر انجام
رفت وبتو واگذشت اينكار

— أنا هنا كالحارس، وأنت كالكنز، أنت فى احتياج إلى الراحة، أما أنا فلى الألم[1].

والأم المفكرة هى التى تبصر أبناءها بمخاطر الطريق، وتنصحهم بالابتعاد عن هذه المخاطر، فالطفل الصغير لا يعرف المخاطر لأنه عديم التجربة، وواجب الأم لكونها المعلم الأول أن تجنبه الدخول فى تجارب قاسية، بل تبصره بالمخاطر، لا أن تترك الصغير يخوض غمار التجربة المدمرة، فقد صورت پروين فى قطعة عنوانها « أم بعيدة التفكير » دجاجة جمعت صغارها وأخذت تشرح لهم مخاطر الطريق وصعابه ومظاهر الخداع فيه، حتى تجنبهم الوقوع فريسة الكوارث، ومما قالته هذه الأم البعيدة التفكير ما ترجمته :

— هكذا قالت الدجاجة لصغارها : أيها الصغار، لقد حلت نوبة العمل.

— اطلبوا رزقكم، فأول وظيفة للطائر الصغير، هى معرفته كيف يلتقط الحب.

— صياح الشوق ولعب الأطفال مدته أسبوع، وذلك إن تحسنوا الاستماع وقت النصح.

— لا تبتعدوا عن الحظيرة بدونى مطلقا، فأى اعتبار لكم وحدكم فى هذه المحلة وفى هذا الشارع ؟

— واختفوا بعيداً عن طيور الصيد، فقد قيل لجماعتنا إن الصقر عدولنا.

— ويجب ألا تضيق صدوركم بالحظيرة مطلقا، فهذا المنزل جد واسع، وكم هو طاهر مشرق.

---

(١) الأصل الفارسى هو :

من اينجا چون نگهبانم تو چون گنج

ترا آسودگى بايد ، مرا رنج

— وحيثما يوجد الماء والحب والمرج والخضرة ، فهناك دليل على خداع الصغار[1] .

وإذا كان على الأم أن تنصح وترشد ، فواجب الأبنـــاء أن يحسنوا الاستماع والامتثال للنصح ، والعمل بإرشادات الأم ، وإلا ذهب كل شيء أدراج الرياح ، وأصبح نصح الأم عديم الجدوى ، وتـكون النتيجة أن يقع الابن فيما لا تحمد عقباه ، نتيجة لهذا العقوق وعدم الامتثال لنصح الأم ..

ففي قطعة عنوانها (قوس القضاء) صورت الشاعرة فأرا صغيرا لم يمتثل لنصح أمه المجربة فأداه عقوقه إلى الوقوع في فخ كان فيه هلاكه ، ومن أبياتها :

---

(١) بامرغكان خويش، چنين گفت ماكيان
كاى كودكان خرد ، كه كار كردن است
روزى طلب كنيد ، كه هر مرغ خرد را
أول وظيفه ، رسم وره دانه چيدن است
فرياد شوق وبازى طفلانه ، هفته ايست
گر بشنويد ، وقت نصيحت شنيدن است
بى من ، زلانه دور نگرديد هيچيك
تنها ، چه اعتبار در اين كوى و برزن است
از چشم طائران شكارى ، نهان شويد
گويند با قبيلهٔ ما ، باز دشمن است
از لانه ، هيچگاه نگرديد تنگ دل
كاينخانه بس فراخ وبس پاك وروشن است
جائى كه آب ودانه وگلزار وسبزه است
آنجا ، فريب خوردن طفلان ، مبرهن است
(قطعة رقم ١٨٣)

— قالت الأم بحنان لفأرها الصغير : ما أكثر المحن والمصائب فى طريقنا

— فلا تخطف قطعة جبن من حديد معقوف ، فهذه اللقمة ليست غذاء ، وإنما هى قاتلة .

— فغضب الفأر الصغير وقال : صهى ، إن عقلى أكبر من عقلك .

— فكل إنسان يعرف مكانه ، ولا مكان لنصح الآخرين وإرشادهم .

— قال هذا الحديث ، وخرج من الجحر ، ونظر نظرة سريعة صوب الشمال واليمين .

— فرأى فى فخ حديث الطلاء ، قطعة جبن معلقة فى قطعة من الحديد

— قفز الفـــأر الصغير بشوق ، ودخل ، وما أن قفز ، حتى ارتفع صوت الباب.

— فكم أصابته المحن من جراء الطعام ، وقد أحاطت القطعة الحديدية بمعصمه الأيمن !

— وهكذا الطفل الذى يهرب من الوعظ والإرشاد ، إذا سقط ببئر ، فلا تسل لم حدث هذا ؟[1].

* * *

---

(١) النص الفارسى هو :

موشكى را بمهر ، مادر گفت
كه بسى گير ودار در ره ماست
زآهنين ميله ، گردكان مرباى
كه چنين لقمه ، خون دل ، نه غذ است
موشك آزرده گشت وگفت خموش
عقل من بيشتر ز عقل شماست

الإنجاب أمنية كل أم :

كل زوجة تتمنى أن تـكون أما تشرف على تربية أبنائها وتتعب من أجلهم ، فالإنجاب يشعر الأم بذاتها وكيانها ، كما أنه استمرار للحياة ، وكم تشعر الزوجة بالاضطراب والحيرة لو قدر لهـــا أن تفقد نعمة الإنجاب وشرف الأمومة . .

فقد نظمت پروين مثنويا بعنوان (أمنية أم) يمثل فلاحا مسنا شعر بالبرد وقت السحر فجلس تحت شجرة وأشعل نارا ليهزم البرودة التي سرت في جسمه ، فملا لهيب النار حتى وصل إلى عش حديث التـكوين لطائر أعده لاستقبال مولوده الجديد ، فرفع الطائر صوته شا كيا با كيا ، لأن النار قد أسلمت أمنيته ـ إنجاب صغير ـ إلى ريح العدم ومما قالته پروين على لسان الطائر الأم :

= هركسى جاى خويش ميداند
پند واندرز ديگران بيجاست
أين سخن گفت وشد زلانه برون
نظرى تندكرد ، برچب وراست
ديد دو تله نو رنـــگين
گردكانى درآهنى پيداست
موشك أز شوق جست وشد بدرون
تا كه أوجست ، بانگ در برخاست
بهر خوردن ، چوكرد گردن كج
آهنى رفت برگلويش راست
كودكى كاو زپند ووعظ گريخت
گربچاه است ، دم مزن كه چراست
(قطعة رقم ١٥٨) .

— حين ارتفع لهيب النار ودخانها ، رفع طائر صوته بالصياح فجأة.

— لايجوز أن تشعل النار هنا ؛ لا أحرق الله لك متاعا .

— إن يحرق شخص هذا العش ، فهو بالنسبة لى يحرق العالم كله .

— كثيرا ما قفزت بشوق من الحلقة والأسر ، لأننى أرغب فى إنجاب صغير ذات يوم.

— والآن توارت تلك الساعة السعيدة ، والآن خلا هـذا العش من ألحان المسرة.

— وفى كل خطوة تخطوها أملٌ ورغبةٌ ، ولا يخفى أن لكل قلب أمنية[1] ..

وعادة تسبق فترة الإنجاب فترة إعداد طويلة لاستقبال المولود المنتظر

---

(١) چوآتش دود كرد وشعله سرداد
بناگه طائرى اواز درداد
نشايد كاتش اينجا برفروزى
مبادا خانمانى را بسوزى
بسوزد گركسى اين آشيانرا
چنان دانم كه ميسوزد جهانرا
بسى جستم بشوق ازحلقه وبند
كه خواهم داشت روزى مرغكى چند
هنوز آنساعت فرخنده دور است
هنوز اين لانه بى بانگ سرور است
بهر كامى كه پوئى كامجوئيت
نهفته هردلى را ارزوئيت
(مثنوى رقم ٥٠)

وتوفير كل ما سيحتاجه بعد وصوله إلى عالم النور مودعا العالم المظلم داخل رحم أمه ، وفى هذه الفترة تشغل الأم بإعداد المخدع والثياب والغذاء لهذه الدرة الجديدة التى جاءت نتيجة لتفاهم وطيد الصلة بين أبوين ، ونتيجة لتعاهدهما على الإخلاص ..

وقد أشارت پروين إلى هذه الفترة السابقة على الإنجاب وما تحتاجه إلى إعداد وترتيب ، وكذلك فترة الإنجاب نفسها ، وما تقوم به الأم من عمل دائم متواصل لتوفير السعادة لصغيرها الجديد ، فقالت ما ترجمته :

— كانت هذه الدار الطاهرة من قبل ، مخدعا لطائرين سعيدين

— انهمكا فى بناء العش ، وتعاهدا على أن يكونا حبيبين

— وبمرور الزمن عليهما فى سعادة ، ظهرت لهما عدة بيضات .

— ذلك ما كان يتمناه الأب ألف مرة ، ومنها سيكون الطفل الذى طالما انتظرته الأم

— وما أكثر ما تحملته من تعب وما قامت به من رعاية

— كانت تجلس أحيانا منعمة النظر ، على السقف أو النافذة وقد تولت الحراسة

— وكم لزمت العش ، وقد تعلمت حديث العطف والمحبة .

— وبمقدار ما تساقط من ريشها ، بقدر ما قدمت روحها نثارا .

— حتى وضح السر الخفى (١) .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

اين خانه پاك ، پيش ازاين بود

آرامگه دو مرغ خرسند =

أما إذا رزقت الأم بمولود لزمت جواره دائما لاتبارحة خوفا عليه واشفاقا بضعفه ، حتى لاتلم به نائبة إن تركته وحيدا بلا إشراف وبلا رعاية ولو لفترة قصيرة ، وقد عبرت پروين عن هذا الإحساس وذلك الشعور بطريق الرمز كعادتها ، فقد دعت عصفورةٌ حمامةً ليتجولا فى الحدائق ، ولكن الحمامة اعتذرت بأنها لاتستطيع مغادرة العش ففيه صغار فى إحتياج إلى رعايتها ، كما أنها فى شوق إليهم ولهفة عليهم ؛ ومما قالته الحمامة الأم ما ترجمته :

— قالت لها ، ستعلمك الحياة حديث المحبة ، حين تصبحين ذات يوم مثلى أمًّا .

= كرده به گل آشيانه اندود
يكدل شده از دو عهد وپيوند
از گردش روزگار خشنود
آورد بديد بيضه‌اى چند
آن يك ، پدر هزار مقصود
وين مادر بس نهفته فرزند
بس رنج كشيد وخورد تيمار
گاهى نگران ببام وروزن
بنشست براى پاسبانى
يك چند به لانه كرد مسكن
آموخت حديث مهربانى
آنقدر پرش بريخت ازتن
آنقدر نمود جانشفانى
تا راز نهفته پديدار

(تركيب رقم : ٦٣) .

— وحين يمتلىء عشك بالصغار ، ان يكون لك عمل إلا عمل الأمهات

— واليوم الذى توقفت فيه عن التمريض ، كنت أمتع فيه نظرى ، كما تفعلين أنت .

— والطائر الذى يرعى صغيرا ، كم هو سعيد ، والغصن الذى تقطف منه الثمار ، كم هو أخضر مورق .

— ما أجمل صياح الشوق ولعب الأطفال ، وما أجمل تلك اللحظة التى تقضى فى سقف العش الصغير الحقير .

— وكم أخشى أن أذهب فيسرق شخص هذه الكنوز ، كما أخشى أن تحل بالعش شرارة نار فجأة

— ولا تفوق أى وظيفة آلام الأم عذوبة وحلاوة، ولم أر سجلا أكثر بهجة من هذا (١) :

* * *

(١) النص الفارسى هو :

گفتا حديث مهر بياموزدت جهان
روزى توهم شوى چو من ايدوست مادرى
گرد توچون كه برشود از كودكان خرد
جز كار مادران نكنى كار ديگرى
روزيكه رسم وراه پرستاريم نبود
ميدوختم بسان تو ، چشمى به منظرى
خوشبخت،طائرى كه نگهبان مرغكى است
سرسبز ، شاخكى كه بچينند از آن برى
فرياد شوق وبازى أطفال ، دلكش است
وانكه به بام لانه خرد محقرى =

هكذا أطالت پروين الحديث عن الأمومة والطفولة ومقدار تعلق المرأة بالإنجاب وسهرها فى سبيل الإشراف على أولادها فهل هذا التفكير يمثل فترة من حياة پروين أم أنه تفكير لازمها منذ قالت الشعر حتى ودعت هذا العالم ؟ :

الملاحظ أن جميع القطع والأبيات التى قالتها پروين عن الأمومة والطفولة ومقدار تعلق الأم بأبنائها وحبها إياهم وحرصها على سلامتهم والعمل على راحتهم ، كل هذه القطع ترجع إلى فترة ما قبل الزواج فجميع هذه القطع التى سبق الاستشهاد بها صدرت فى الطبعة الأولى ، لذا يسهل علينا استنتاج الدوافع التى كانت تشجع پروين على الحديث عن الأمومة والطفولة وهى تتمثل فى شعورها كأى فتاة فى سن الزواج بآمال المستقبل الباسم المشرق فى أن تكون زوجة وربة بيت لها مكانتها فى بيتها ولها الكلمة العليا فيه ، ثم أمنيتها فى أن تنجب وتسهر وتشقى من أجـــل أولادها ومن أجل الإشراف عليهم والعناية بهم ، ثم إذا بها تتزوج وتفشل فى زواجها فتفقد الأمل الذى كان يراودها فى أن يكون لها بيت ومكانتها فيه مكانة العمود الرئيسى فى أى مبنى ، وتفقد الأمل فى أن تنجب ويكون لها ذرية

= ترسم كه گر روم ، برد اين گنجها كسى
ترسم در آشيانه فتد تا كه آذرى
شيرين نشد چو زحمت مادر ، وظيفه‌اى
فرخنده تر نديدم ازين ، هيچ دفترى
(قطعه رقم : ٩٣) ..

تسهر من أجلهم وتتعب فى الإشراف عليهم وتشغل نفسها بتربيتهم . كلها آمال ذهبت أدراج الريح بذلك الزواج الفاشل مما جعلنا لا نجد لها حديثا عن الأمومة والطفولة بعد الطلاق ، إذ كيف تستطيع التعبير عن نعمة حرمت منها ، وشرف ضاع من يدها وأمنية أصبح من المحال تحقيقها إلا إذا عاودت الكرة وتزوجت ، وهذا ما لم يحدث بالنسبة للشاعرة .

(ب) الإصلاح الاجتماعي

كانت إيران إبان الفترة التي عاشتها پروين — شأنها في ذلك شأن دول المشرق كله — تعيش حياة اجتماعية تتسم بالقسوة والشدة في كثير من مظاهرها ، وذلك كأثر من آثار الاحتكارات الاستعمارية والضغوط الامبريالية التي كانت تسيطر على مقدرات هذه الشعوب ، مما جعل الكثيرين من مواطني الشرق ، ومنهم الإيرانيون ، يشعرون بالعنت والشدة وصلف الحياة .

ولما كانت پروين تتمتع بإحساس مرهف وشعور رقيق ، فقد هالها ما لحق بوطنها من دمار وخراب ، فجعلت من ديوانها منبرا لبث دعوتها الإصلاحية ، ووسيلة لحث القادرين على مساعدة الأيتام والمساكين ، كما اهتمت بالدعوة إلى نشر العلم والتعليم لأنه السبيل الأول لرقي أمتها وتخلصها مما تعيش فيه من تخلف ، ودعت أيضاً إلى العمل للحاق بالتقدم الذي وصلت إليه كثير من البلدان الأخرى .. إلى غير ذلك من أهـــداف الإصلاح الاجتماعي التي أشارت اليها . .

وأول هذه الأهداف الاجتماعية تتمثل في :

١ – العطف على الأيتام والفقراء والعجائز

أولا : العطف على الأيتام :

كان لبروين قلب رقيق مرهف يحس بآلام المتوجعين والمتألمين ، ومن أكثر من اليتيم إحساسا بالحرمان والألم ؟ لذا نجد بروين تشاركه إحساسه العميق بالحزن والألم فتتكلم بلسان حاله لتوضيح الفاقة التى تسيطر عليه ، والحرمان الذى يكتنف حياته والنسيان الذى يحيط به من كل جانب فلا يذكره أحد ، ولا يتذكره إنسان ، فتحاول جاهدة أن تلفت أنظار ذوى القلوب الرحيمة صوب الأيتام فيقدمون يد العون لهؤلاء الصغار الذين حرمتهم يد القدر من ذويهم فعاشوا بلا عائل ولا معين ..

والديوان به الكثير من الأبيات والقطع التى تناولت بروين فيها بالشرح والتوضيح قصة المسغبة التى يعيش فيها هؤلاء الأيتام ، ومنها قطعة بعنوان (مسكينة) تتحدث فيها الشاعرة عن طفلة صغيرة تلبس الممزقات قادتها قدماها بلا شعور منها صوب حفل اجتمع فيه الأطفال من سنها ، ولكنهم كانوا قد لبسوا أفخر الثياب ، لذا تبرموا بها وقطبوا الجبين لقدومها ، وأخذت هذه تجذب ثوبها وتعرى تلك ركبتها ، وتتحدث ثالثة عن اضطراب شعرها ، وتساءلت رابعة عن خلو وجهها من الأصباغ . . . فشعرت المسكينة بالاضطراب واعتمل الحزن فى قلبها ، فبدأت تنعى حظها ، وتبين مقدار ما أصابها من الفلك بعد أن سلبها أمها ، فكم كانت بأمها سعيدة راضية ، والآن أصبحت ذليلة بفقدان أمها ، ومن بين ما قالته المسكينة ما ترجمته :

— غسلت والدتى يدها من الوجود ، فلم تمسح يد الشفقة برأسى .

— أصابعى هى مشط شعرى ، لأن أحدا لم يشتر لى مشطا .

— ما أجمل لعب الأطفال ، ولكن لم يختر نى أى طفل للعب معه .

— ما فائدة الطفولة للطفل الذى لم يضحك ، ولم يقفز ، ولم يجر .

— قد تقطع ما كان لحذائى الأخضر من رباط ، كما تلاشى ما كان لحذائى الأحمر من لون .

— لم أرتد رداء العيد ، كما أننى ، لم أذهب إلى الحمام ليلة العيد .

— أنتن لم تهربن منى عبثا ، فكل من رأى مصابا ، ولى بعيدا عنه .

— بالغذاء والطعام يجمل الطفل، ولكن كيف استطيع امتلاك الغذاء والطعام؟

— لم يمسك أحد بيدى فى هذا الطريق ، لذا سرعان ما ارتعدت قدمى بعد خطوة واحدة .

— كم كنت البارحة حتى الصباح غاية فى الثراء ، وذلك بالجواهر التى انحدرت من عينى .

— لقد قبلت أم ابنها، فليت هذا قد اتفق مع قدرة القلب على التحمل.

— فحيثما رأيت أما تقبل ابنها ، كانت الدمعة تتساقط على وجنتى تقبلها.

— سعيد ذلك الطفل الذى يحظى بالأم ، ومبصرة تلك العيون التى تكتحل برؤية وجه الأم.

— أمى هى جوهرى فى هذا الدهر ، ولكن غراب الدنيا قد سلبنى جوهرى(١) ..

---

(١) النص الفارسى هو :

مادرم دست بشست ازهستى

دست شفقت بسر من نكشيد =

وقطعة أخرى تصور طفلا يتيما يعمل خادما ، وذات يوم انكسر منه وعاء ، فتحرج من العودة إلى منزل سيده خوفا من التأنيب والعقاب ، ثم يتذكر حاله ومقدار البؤس الذى يعيش فيه بعد فقد أمه ، ومقدار الفرق بين حياته وحياة من لم يفقد أمه ، وأنه أصبح شريدا لا يجد دارا يسكنها ولا قلبا يعطف عليه ، ومما قاله هذا اليتيم :

شانهٔ موی من ، انگشت من است
هیچکس شانه برایم نخرید
خوش بود بازی اطفال ، ولیك
هیچ طفلیم ببازی نگزید
بهره از کودکی ، آن طفل چه برد
که نه خندید ونه جست ونه دوید
پارهٔ سبز مرا بند گسست
موزهٔ سرخ مرا رنگ پرید
جامهٔ عید نکردم دربر
سوی گرمابه نرفتم شب عید
خیره از من نرمیدید شما
هرکه آفت زده ای دید ، رمید
به نوید ُوبه نوا طفل خوش است
من چه دارم ز نوا وز نوید
کس درین ره نگرفت ازدستم
قدمی رفتم وپایم لغزید
دوش تاصبح ، توانگر بودم
زان گهرها که زچشم غلطید
مادری بوسه بدختر میداد
کاش این درد به دل میگنجید

— ماذا أفعل لو طلب منى عوضا ، ليس الخجل والكسوف بأقل من الموت .

— كم رأيت أشياء ، ولم أطلبها ، وقلبى ما هو إلا قلب ، وليس فولاذا .

— لم أر وجه أمى مطلقا ، وما أضاءت عين طفل يتيم مطلقا .

— ناديت بشوق كل أم ، فإذا بها تقول لى : إنها ليست أمى .

— إن كنت قد عدمت الجوهر بجيدى ، فدموعى هى جوهر قرطى

— الفطير للأطفال ، أما أنا فلا أجد الخبز الجاف لآكله .

— سألنى غلام : أين مسكنك ؟ قلت : هناك حيث لا مسكن مطلقا .

— ولم أقرأ دروسى أبدا ، فماذا أفعل ، وقد عدم قنديلى الزيت ؟

— يقول الجميع : لا تجلس فى مواجهتنا ، وهكذا لا وجود لمقعد خال بأى مكان لنا .

— لم أذهب إلى الحديقة مع الأطفال ، فالعجب والخيلاء ليسا من نصيب المساكين .

— لقد قذفنى الفلك بكل حجر فى حوزته ، حتى لم يبق له حجر واحد بقلاعه .

من كجا بوسه مادر ديدم
اشك بود آنكه ز رويم بوسيد
خرم آن طفل كه بودش مادر
روشن آن ديده كه رويش ميديد
مادرم گوهر من بود زدهر
زاغ گيتى ، گهرم را دزديد
(قطعة رقم : ٨٣) ..

— ماذا أفعل وقد خربت دار الزمان ، والقلب لا يجد أمنه من جفوتها[١] ..

. . .

---

(١) الأصل الفارسي هو :

چكنم ، گر طلب كنم تاوان
خجلت وشرم ، كم زمردن نيست
چيزها ديده ونخواسته‌ام
دل من هم دل است ، آهن نيست
روى مادر نديده‌ام هرگز
چشم طفل يتيم ، روشن نيست
خواندم از شوق ، هركه رامادر
گفت بامن ، كه مادر من نيست
اشك من ، گوهر بنا گوشم
اگرم گوهرى به گردن نيست
كودكان را كليج هست ومرا
نان خشك از براى خوردن نيست
كودكى گفت ، مسكن تو كجاست
گفتم ، انجاكه هيچ مسكن نيست
درسهايم نخوانده ماند تمام
چكنم ، در چراغ روغن نيست
همه گويند پيش ما منشين
هيچ جا ، بهر من نشيمن نيست
من نرفتم بباغ با طفلان
بهر پژمردگان ، شگفتن نيست

وإذا كانت القطعتان السابقتان قد تحدثت الشاعرة فيهما عن يتيم فقد أمه ، فهناك أكثر من قطعة تصور حال من فقد أباه ، ومنها هذه القطعة التى تصور حال طفل يتيم وحال أمه المسكينة بعد أن فقدا العائل الوحيد لهما ، فعاشا فى مسغبة وحرمان، فالطفل يشكو الفاقة والضياع والجوع ، ويسأل أمه عن أبيه فتقول له : لا تسل عنه فقد عاش كادحا ، وما استطاع أن يحصل على كسرة خبز إلا بإراقة دم قلبه ، دون أن يجد عونا أو مساعدة من أحد .

وهذه ترجمة لجزء من الحوار الذى دار بينهما :

— بالأمس بكى طفل وقد أمسك بأذيال أمه ، وقال : لِمَ لَمْ يعرنى أحد من أبناء القرية أى نظرة ؟

— ولم لا يميل الأطفال إلى مصاحبتى ؟ ربما من فقد أباه ، ليس طفلا !

— كم بكيت كثيرا ، أملا فى حذاء ، فلم كانت كل هذه الدموع والأمانى بلا جدوى ؟

— وما وجد غيرى بين هذا الطين وهذه الأمطار ، من عدمت قدمه الحذاء ، وعدم رأسه الغطاء .

— يأ كل جيراننا الحلان والطيور ، ولم يتحمل شخص غيرى وغيرك — يا أمى — الهموم .

چرخ ، هرسنگ داشت برمن زد
دیگرش سنگ ، در فلاخن نیست
چه کنم ، خانهٔ زمانه خراب
که دلی از جفاش ، ایمن نیست
(قطعة رقم : ١٢٨) ..

— كثيرا ما يسخرون من وصلات ردائي ، فربما أن والدي قد عدم الدينار والدرهم .

— ضحكت (الأم) وقالت : من يطعنك بالفقر ، لم يدرك شيئا عن جواهر دموعك .

— لاتسل عن حياة أبيك ، لأنه ما حاز شيئا بغير الفأس والمنجل والبلطة .

— كم تحمل الهموم ، ولم يعتبره أحد مجرد إنسان ، فقد عاش ضائعا ، لأنه ما ملك ضيعة ولا فضة ولا ذهبا .

— من الخطأ أن تكون للطفل الفقير أي رغبة ، فالغصن الذي تدلى من العاصفة ، ما ارتفع مطلقا(١) ..

(١) الأصل الفارسي هو :

دی ، کودکی بدامن مادر گریست زار
کز کودکان کوی ، بمن کس نظر نداشت
اطفال را بصحبت من ، ازچه میل نیست
کودك مگر نبود ، کسی کو پدر نداشت
من در خیال موزه ، بسی اشك ریختم
این اشك وآرزو ، زچه هرگز اثر نداشت
جز من ، میان این گل وباران کسی نبود
کو موزه ای بپا وکلاهی بسر نداشت
همسایگان ما بره ومرغ میخورند
کس جز من وتو ، قوت زخون جگر نداشت
بر وصله های پیرهنم خنده میکند
دینار ودرهمی ، پدر من مگر نداشت

وأحيانا يكون اليتم بفقد الأم وأحيانا يكون بالطلاق ، ففراق الأم لأولادها مهما كان السبب ، ذو أثر مدمر على هؤلاء الأولاد وبخاصة لو تزوج الأب زوجة أخرى ولم تكن زوجة الأب رحيمة بأبناء زوجها وبدأت تفرق في المعاملة بين أبنائها وأبناء زوجها ، وقد صورت پروين قسوة زوجة الأب تصويرا رائعا وذلك على لسان طفلة يتيمة فقدت أمها وحكم عليها القدر أن تعيش تحت وطأة زوجة أب لا يعرف قلبها معنى الرحمة ، ومما قالته الطفلة اليتيمة ماترجمته :

— بدأت فتاة صغيرة بالشكاية قائلة : إن الكارثة قد أفقدتني أمي .

— وجاءت بأخرى وجلست بالمنزل ، فأوجدت معها عادات وتقاليد جديدة.

— قذفت بحذائي الأحمر بعيدا ، ثم ارتدت أردية والدتي .

— باعت عقدي وطوقي الذهبيين ، وصنعت لنفسها قلادة من الذهب والفضة .

— أحرقت أصابعي بالنار والماء ، وصنعت لاصبعها خاتما .

— أرسلت ابنتها إلى المدرسة ، واستثنني المهملة ، عديمة التدبير .

= خنديد وگفت ، آنكه بفقر تو طعنه زد

از دانه‌هاى گوهر اشكت ، خبر نداشت

از زندگانى پدر خود مپرس ، از آنك

چيزى بغير تيشه وداس وتبر نداشت

بس رنج برد وكس نشمردش بهيچكس

گمنام زيست آنكه ده وسيم وزر نداشت

طفل فقير را ، هوس آرزو خطاست

شاخى كه از تگرگ نگون گشت بر نداشت

(قطعة رقم : ١٥١) ..

— كانت تحقر أقوالى دواما ، وكم وجهت الطعان إلى قلبى صباح مساء.
— كلما حل بى التعب والوهن ، زادت من جفوتها وظلمها .
— وكلما رأت دموعى غزيرة ، ضحكت كثيرا مع ابنها وابنتها.
— قبلت طفلتها على مقربة منى ، فكان تقبيلها وقع مائة خنجر على نفسى.
— ودواما تقص على أبى عيوبى ، وكم كانت تجهد نفسها بحثا عن عيوب لى .
— كانت تبلى طوال الليل بالكنس والرفو ، كما جعلتنى طوال النهار شريدة السقف والباب .
— أما أبى فلم يفطن لآلامى ؛ إذ صدق كل ماقالته عنى .
— هكذا ماتت أمى ، وتركتنى كسفينة بلا تراس فى خضم الدهر .
— كانت أمى جناحى وريشى ، ثم ماتت ، وبالجناح والريش يحلق الطائر !![1].

• • •

(١) النص الفارسى هو .
دخترى خرد ، شكايت سر كرد
كه مرا حادثه بى مادر كرد
ديگرى آمد ودرخانه نشست
صحبت از رسم وره ديگر كرد
موزهٔ سرخ مرا دور فكند
جامهٔ مادر من در بر كرد
ياره وطوق زر من بفروخت
خود گلوبنـــد زسيم وزر كرد =

هذه مجرد أمثلة لاهتمام پروين بالطفولة المشردة ، التى شردها اليتم ، فهى فى حاجة إلى عناية ورعاية الدولة والأفراد ، والملاحظ أن پروين تناولت هذا الموضوع فى قطع الديوان التى نشرت فى الطبعة الأولى(١) ، و كذلك فى القطع التى قالتها بعد ذلك(٢) ، وإذا ماقارنا ماورد بالطبعة الأولى وماأضافته إلى

= سوخت انگشت من از آتش وآب
او بانگشت خود انگشتر كرد
دختر خويش به مكتب بسپرد
نام من ، كودن ولى مشعر كرد
بسخن گفتن من خرده گرفت
روز وشب دردل من نشتر كرد
هرچه من خسته وكاهيده شدم
اوجفا وستم افزونتر كرد
اشك خونين مرا ديد وهمى
خنده‌ها با پسر ودختر كرد
نزد من دختر خود را بر سيد
بوسه اش كاردو صد خنجر كرد
عيب من گفت همى نزد پدر
عيب جوئيش مرا مضطرد كرد
شب بجاروب ورفويم بگماشت
روزم آوارهٔ بام ودر كرد
پدر از درد من آگاه نشد
هرچه او گفت زمن ، باور كرد
مادرم مرد . ومرا در يم دهر
چويكى كشتى بى لنگر كرد
مادرم بال وپرم برد وشكست
مرغ ، پرواز ببال وپر كرد
(قطعة رقم ٨٥)

(١) منها القطع رقم:٦٢، ١٥١، ١٨٠ . (٢) منها القطع رقم:٨٣، ٨٥، ١٣٨ .

الطبعات الأخرى فاننا نجد أن الأخيرة منها كانت أكثر توفيقا ودقة فى التعبير عن الأحاسيس والمشاعر ، وأكثر فيها لمسية اليتيم وآلامه وأحزانه ولعل هذا يرجع إلى :

١ — لاشك أن الشاعرة كلما تقدم بها العمر عاما بعد عام ، كلما نضجت قريحتها وأصبحت أقدر على اختيار الأساليب المؤثرة والألفاظ الموحية والتعبيرات الأكثر دقة وتأثيرا فى نفوس القارئين ، ولذا جاءت القطع الأخيرة أفضل من سابقتها .

٢ — حدث أن توفى أبوها بعد عامين من طبع الديوان لأول مرة ، وقبل الطبعة الثانية بأربعة أعوام ، حيث صدرت الطبعة الأولى عام ١٣١٤ ش والطبعة الثانية عام ١٣٢٠ ش ولعل پروين قد قالت القطع الأخيرة بعد وفاة أبيها ، فكانت على الرغم من بلوغها الثلاثين تشعر بمرارة اليتم ، فجاءت قطعها الأخيرة أكثر صدقا فى التعبير وذلك لأنها صدرت عن إحساس صادق وتجربة ذاتية ..

ثانيا : العطف على الفقراء والضعفاء :

وإذا كان قلب پروين قد رق لحال الأيتام ، فإنه تأثر كذلك بما يعيش فيه الفقراء والمساكين من مسغبة وفاقة تفوق كل وصف وأكثرت من الحديث عنهم ، ودعت ذوى القلوب الخيرة للعطف عليهم ، وجاءت دعوتها فى صورة أبيات متفرقة بين قصائد الديوان أو فى قالب قصص رمزية أو مباشرة فى المثنويات والقطع .

فقد قالت پروين :

— أما سمعت أن راحة العظماء ، لا تتم إلا بتوفير الراحة للفقراء ؟[1]

(١) الأصل الفارسى هو .

شنيده اى كه آسايش بزرگان چيست براى خاطر بيچارگان نياسودن

(قطعة رقم ٥١)

(٢) الأصل الفارسى هو .

دل بيچاره ومسكين مخراش امروز رسد انروز كه بى ناخن ودندانى

(قصيدة رقم ٣٩)

كما قالت أيضاً :

— لا تؤذ اليوم قلب العاجز المسكين ، فربما يأتى اليوم الذى تعدم فيه أظافرك وأنيابك[١] .

وقالت كذلك :

— سعيد ذلك الغنى الذى تأثر قلبه بغم المسكين العاجز

— ومن تناول طعامه مع الجائعين ؛ فكان نصيبه من المائدة نصف رغيف[٢] .

من أقوالها أيضاً :

— إذا كان لك ساعد قوى أيها البطل ، فارحم ، مااستطعت ، الضعفاء[٣] .

وهذه الأبيات مجرد أمثلة لما جاء متفرقا بين قصائد الديوان وقطعة ، وهى تحمل فى طياتها دعوة صريحة لمساعدة الفقراء والعطف على المساكين والرأفة بالضعفاء ، ولكن لم تقتصر الدعوة على أبيات متفرقة بل تعدتها إلى

---

(١) الأصل الفارسى هو :

نيكبخت آن توانگرى كه بدل
غم مسكين ناتوانى داشت
چاشت را با گرسنگان ميخورد
در سفره نيم نانى داشت
(قصيدة رقم ١٥)

(٢) چو نيروى بازوت هست ، اى توانا
بدرماندگان رحم كن تاتوانى
(قصيدة ٤١)

قطع بأكملها حاكت فيها بعض القصص التي تصور حال الفقراء والمساكين منها هذه القصة التي تصور حال الضعفاء وموقف الأقوياء منهم ، ذلك عن طريق الرمز فقد وقع عصفور صغير في الشباك ثم رأى طائر الهما فطلب منها أن تمد له يد المساعدة لتخلصه من هذا الأسر، ولكنها ترفعت عنه وتعالت عليه. وقالت : كيف تساعد الهما تعس الحظ مثلك ؟ فتوسل إليها مرة أخرى لكي تنقذه مما هو فيه . ولكنها لم تعره التفاتة وتركته ومضت تتبختر في الحديقة وبعد إنقضاء يوم كامل أدركت خطأها وأسرعت لكي تنقذ العصفور المسكين ولكن بعد فوات الأوان ، حيث وجدته ريشا مبعثرا ...

وقد أنهت پروين القصة بعدة أبيات تدعو فيها القوى لمساعدة الضعيف والغنى للإحسان إلى الفقير ، وألا يتكبر الإنسان على المساكين ، وألا يعيش المرء في برجه العاجي بعيدا عن مشاكل الفقراء والمعوزين ..

ومما قالته پروين ماترجمته :

— لقد أضاءت عين قلبك ، حتى تضيء مصباح التعساء .

— وهكذا ارتفعت شجرة السرو بالحديقة، حتى تسقط ظلها على ورود الروضة

— فلتسل عن الضعفاء مااستطعت ، ولتخش زمن الضعف

— وتعلم من الشمس أصول الإشراق ، فهي تشع نورها على الماء والتراب

— سعيد من استحسن تقديم العون ، فما أن ملك الثروة والجاه حتى قدم العون

— وموفق ذلك الذى أعان ضالا ، ورفا الممزقات بلطف وسماحة

— لاتشح بوجهك أيها الصديق — بعيدا عن المساكين ، حتى يجنبك الله تكبر الفلك

— لوجلسنا فى محيط السماء السابعة ، ولم نطلب الخير لكل شخص ، كنا فى غاية الخسة(١).

وإذا كانت پروين قد دعت فى قصائدها وقطعها الى العطف على الضعفاء والإحسان الى الفقراء ، فإنها دعت أيضا إلى أن يكون الإحسان بعيدا عن كل رياء بل يجب أن يكون إحسانا يقصد به وجه الله وحده ، فقد أعطى عظيم درهما لمسكين ، وطلب منه أن يدعو له بالتوفيق ، فأخبره المسكين بأن

---

(١) الاصل الفاسى هو :

از آنت هست چشم دل ، فروزان
که بفروزی چراغ تیره روزان
بگلشن ، سرو ازان بفراشت پایه
که برگلهای باغ افکند سایه
بپرس از ناتوان تا توانی
بترس از روزگار ناتوانی
زمهر ، آموز رسم تا بناکی
که بخشد نور بر آبی وخاکی
نکوکار ، آنکه همراهی روا داشت
نوائی داد ، تا برگ ونوا داشت
خوش انکوگمرهی را جستجو کرد
به نیکی ، پارگیها را رفو کرد
متاب، ایدوست ، بر بیچارگان روی
مبادا بر تو گردون تابد ابروی
اگر بر دامن کیوان نشستیم
چو خیر کس نمیخواهیم ، پستیم

(مثنوی رقم ١٤٤)

الإحسان يجب ألا يرتبط برياء ولا بدعاء ، بل يجب أن يكون لمجرد الإحسان نفسه ، ومما قالته پروين فى هذا الصدد :

— لا يجوز طلب الأجر من المسكين ، كما لا يجب سفك دم العطاء والإحسان .

— أحسن إلى المسكين والمعدم ، لأن الإحسان نفسه سيجلب الدعاء .

— قد منحت قوة ساعديك ، لتأخذ بيد كل ضعيف وعاجز .

— ولا تستسلم للغرور ، فأول فرض على الأغنياء هــــو الإحسان إلى الفقراء .

— ولتدرك أحوال المحتاجين ، يا من تملك مصباح السعادة وكنز الغناء.

— وقت العطاء والانفاق ، يجب ، يا پروين ، ألا يعمر القلب إلا بالله وحده[1] .

---

(١) نشايد خواست از درويشى پاداش
نبايد كشت ، احسان وعطارا
تو نيكى كن بمسكين وتهيدست
كه نيكى ، خود سبب گردد دعارا
از آن بازوت را دادند نيرو
كه گيرى دست هر بيدست وپارا
مشو خود بين ، كه نيكى با فقيران
نخستين فرض بودست اغنيارا
زمحتاجان خبر گير ، ايكه دارى
چراغ دولت وگنج غنارا
بوقت بخشش وانفاق ، پروين
نبايد داشت در دل جز خدارا
(قطعة رقم ٧٢)

ثالثا : الرأفة بالعجائز والشيوخ :

إذا كانت پروين قد أسهبت فى الحديث عن الأيتام والمساكين الضعفاء، فقد خصصت كذلك بعض قصص الديوان للحديث عن العجائز وشرح حال المسنين ومقدار ما ألم بهم من ضعف يستحقون معه ، أن يركن كل منهم إلى الراحة ويخـلد الى الاستقرار ، وأن تتكفل الدولة أو الاغنياء بتوفير احتياجاتهم ، ليقضوا البقية الباقية من أيامهم فى راحة ، وهذا حقهم .

هذه قصه تصور حال عجوز تشكو حالها وما وصلت إليه من ضعف وذلك فى حديث توجهه إلى مغزلها ، وعلى الرغم من هذا فهى لا تستطيع التوقف عن العمل، لأنها لو توقفت ماتت جوعا ، إذ أن الأغنياء والقادرين لا يهتمون بحالها وحال أمثالها من المساكين وذلك لأنهم لم يذوقوا هموم المساكين ، وأنى لهم أن يحسوا بأحاسيسهم ، ومن بين ما قالته هذه العجوز ؛ ما ترجمته :

— قالت عجوز لمغزلها وهى تغزل ، لقد صبغت الدنيا شعرى بالبياض لـكثرة ما غزلت من قطن .

— ما أكثر ما أحنيت عليك ظهرى ، وأجهدت عينى ، حتى ضعف نور عينى وانحنت قامتى .

— لا تخلو يد غير يدى من كل متاع الحياة ، فـكل شخص فى الوجود قد اشترى لنفسه أردية الشتاء .

— من أين يسقط ضياء على نافذة المساكين، إن توارت الشمس المشرقة

— سالت دماء قلبى من أناملى لـكثرة ما رقعت ورفوت .

— لم يبق فى أرديتى كلها مكان يستحق أن يوصل ، لأن ما وصلته قد تمزق مرات ومرات .

— كثيرا ما نمت جائعـــة ، ومشامى كل ليلة ، تشم رائحة الطعام بمنزل الجيران .

— وكم تنهمر الدموع من عينى سيلا لكثرة ما رأت من أحداث وخطوب .

— لم أصبح الحظ يشيح بوجهه بعيدا عن المساكين ؟ ولم يسارع الإقبال بالفرار بعيدا عن البائسين ؟

— فيا پروين ، إن الأغنياء لم يتذوقوا غم المسكين ، فلا تدق هذا الحديد البارد عبثا [1] .

---

(١) النص الفارسى هو :

بادوك خويش ، پيرزنى گفت وقت كار
كاوخ ز پنبه ريشتنم موى شد سفيد
از بس كه برتوخم شدم وچشم دوختم
كم نور گشت ديده ام وقامتم خميد
جز من كه دستم از همه چيز جهان تهيست
هركس كه بود ، برگ زمستان خودخريد
نور از كجا به روزن بيچارگان فتد
چون گشت آفتاب جهانتاب ناپديد
از رنج پاره دوختن وزحمت رفو
خونابهٔ دلم ز سر انگشتها چكيد
يك جاى وصله در همهٔ جامه ام نماند
زين روى وصله كردم ، ازآن روزهم دريد =

لقد وفقت پروين فى هذه القطعة وذلك لاختيارها مسنة تحترف مهنة النسيج وهى من الصناعات الرائجة فى إيران منذ قرون عديدة ، ولـكنها إبان الفترة التى عاشتها پروين كانت تمر بمحنة ، حتى أصبح من الأفضل التخلى عن هذه الصناعة لأنها لم تعد تدر ربحا معقولا .

فإذا كان حال النساجين من الرجال قد تدهور فـكيف يكون حالة امرأة مسنة تعمل بالنسيج ، لابد وأن الـكساد قد سيطر على سوقها ، ومما زاد الأمر صعوبة ؛ ضعفها وعدم قدرتها على مواصلة العمل . وأخيراً ألا تستحق هذه المرأة أن تجد ضمانا لها ضد الشيخوخة والعجز !

وقطعة أخرى مستمدة من واقع الحياة الإيرانية ، مستمدة من القرية واحتراف أهلها مهنة الزراعة ، والقطعة تتحدث عن عجوز مسنة تذهب إلى مزرعتها كل يوم ، ولـكنها ذات يوم وصلت إلى مرحلة الضعف لم تستطع معه الذهاب إلى المزرعة ، وأخذت تشكو حظها وضعفها فقالت :

- تأوهت عجوز بشدة مما يقدمها من ألم ، وقالت : ليس لى اليوم قدرة على الذهاب إلى المزرعة .

= من بس گرسنه خفتم وشبها مشام من
بوى طعام خانهٔ همسايگان شنيد
سيلابهاى حادثه بسيار ديده ام
سيل سرشك زان سبب از ديده‌ام دويد
دولت چه شدكه چهره ز درماندگان بتافت
اقبال ازچه راه ز بيچارگان رميد
پروين . توانگران غم مسكين نميخورند
بيهوده اش مكوب كه سردست اين حديد
(قطعة رقم ٦٠)

ـ أتعرف ، لم أمسك الدهر بأذيالي ؟ لأنني لم أملك في حوزتي غير الدمعة الساخنة .

ـ لم ترسل العجوز المحطمة من أجل العمل ، ولكنني لا أملك مقومات البقاء بالمنزل .

— حين أصبح الفقر رفيقي ، سمعت من الأصدقاء تلك الطعان التي لم تصبني من الأعداء .

— ولم تعد حمامتي إلى عشها مرة أخرى ، لعلها سمعت أني لم أعد أملك الذرة .

— وقطتي لم تهرب من الكوخ عبثا ، فلم أعد أملك بالمخزن جبنا ولا لحما .

— احترقت بنار الفقر حتى أصبحت مثل النار ، ومع هذا لم أعد أقوى على مغالبة برودة الشتاء .

— لم أحسد الخلق على ما يملكون مطلقا ، وكم أنا مسرورة لأنني لم أتسم بهذا الخلق مطلقا[1] . .

---

(١) النص الفارسي هو :

ز درد پای ، پیرزنی ناله کرد زار
کامروز ، پای مزرعه رفتن نداشتم
دانی ، زمن برای چه دامن گرفت دهر
من جز سرشك گرم ، بدامن نداشتم
پیر شکسته را نفرستند بهر کار
من برگ وساز خانه نشستن نداشتم
فقرم چوگشت دوست ، شنیدم زد وستان
آن طعنه ها ، که چشم ز دشمن نداشتم

هكذا تحدثت پروين عن شبح الشيخوخة وعجزها دون أن تعيش هذه الفترة القاسية من العمر فقد ماتت فى منتصف العقد الرابع من عمرها، ولكن إحساسها المرهف وشعورها الرقيق جعلاها تشارك الشيوخ والعجائز آلامهم وأحزانهم وتتحدث حديث المجرب المطلع ، والديوان سواء فى طبعته الأولى أو فى طبعته الثانية غاص بالأبيات والقطع التى تحدثت فيها عن المساكين والفقراء والضعفاء والشيوخ والعجائز ، ولاشك أن پروين جعلت من ديوانها الوسيلة التى تشارك بها شعبها آلامه وأحزانه فى فترة سادها الاضطراب والفوضى وقد زاد اهتمام ذوى السلطان بجمع الثروة والجاه ، كما أنها تأثرت باتجاه أبيها فى اختيار القصص التى يترجمها عن اللغات الأوربية كقصة (البؤساء) للأديب الفرنسى فيكتور هوجو وكقصة (امرأة صابرة أو ثورة الهند) التى ترجمها عن الانجليزية ، وهاتان القصتان لاتتحدثان إلا عن مصائب الزمن وكوارثه ، ولاشك أن پروين قد قرأت ماترجمه أبوها فتأثرت به ، وطبقته على مجتمعها ، فهالها أن فيه مآسى أكثر مما وجدته فى ترجمات أبيها فتفاعلت مع مجتمعها وحاولت أن تلقى الضوء على هذه الكوارث

= ديگر كبوترم بسوى لانه برنگشت
ماناشنيده بود كه ارزن نداشتم
از كلبه ، خيره گربهٔ پيرم نبست رخت
ديگر پنير وگوشت ، به مخزن نداشتم
من خود چو آتش ، از شرر فقر سوختم
پرواى سردى دى وبهمن نداشتم
هرگز مرا زداشتن ... رشك نيست
زان ... ميخورم كه چرا من نداشتم

(قطعة رقم ١٩٤)

وكأنها بذلك تطالب الدولة والمحسنين بإنشاء :

(ا) هيئة تتولى الإشراف على الضمان الاجتماعى ، وتقـــديم العون إلى الفقراء والمنكوبين .

(ب) ملاجىء لإيواء الأيتام ، تحمى عليهم طفولتهم وتشرف على تنشئتهم ليفيدوا وطنهم وأنفسهم . .

(ج) ملاجىء لإيواء الشيوخ والعجائز وتقديم المساعدة لهم فى وقت هم فيه أحوج مايكونون إلى كل يد رحيمة تمد لهم يد العون . .

٢ – الاهتمام بالعلم والتعليم

كانت إيران شأنها شأن الشرق كله فى زمن الشاعرة تفتقر إلى التعليم، فالجهل يعم الغالبية العظمى. لذا كان التأخر الحضارى باديا فى كل أوجه الحياة المختلفة، أما عن پروين فقد ساعدتها الظروف وحبتها بوالد مستنير قادر، فأتاح لها فرصة التعليم بالمنزل والمدرسة، فشعرت أن من واجبها أن تدعو شعبها لخوض غمار العلم والتعليم فهو الوسيلة الأولى لرقى أمتها وتخلصها من المعوقات التى حكمت على إيران بالتخلف، كما أن عملها فى حقل التدريس جعلها تزيد من الدعوة إلى الاهتمام بالتعليم، وبخاصة تعليم الفتيات حتى يتخلصن من حالة الضياع التى يعشن فيها . .

وقد ربطت پروين فى كثير من أبياتها بين العلم والفضل تشجيعا على ارتياد ميدان التعليم، فكل إنسان راغب فى الفضل سيجد العلم وسيلته إلى هذا الفضل، ومن بين ماقالته پروين للربط بين العلم والفضل ما ترجمته :

— غصن الوجود فاكهته العلم، وأول خطوة فى طريق الرفعة عمادها الفضل .

— بالفضل تصبح أفضل من شقائق النعمان بالأرض، وبالعلم تطير أعلى من الطائر المحلق فى السماء .

— الفضل هو المصباح الوهاج، والعلم هو الربيع بلا خريف[1] .

---

(١) الأصول الفارسية هى :

علم است ميوه شاخهٔ هستى را

فضل است پايه مقصد والا را =

(قصيدة رقم ١)

وإذا كانت قد ربطت بين العلم والفضل على أنهما وسيلة إلى الترقى، فقد ربطت بين العلم والروح الداعية لهذا الترقى، النزاعة إلى السمو، لذا لا انفصال بين العلم والروح، ولاغنى لأحدهما عن الآخر فقدقالت:

— العلم كالمدن والصانع، كامن فى تلك الروح، وصلة العلم بالروح كصلة المذياع بالكهربا.

— املأ مصباح الروح بزيت العلم، فضعف نور المصباح من قلة الزيت.

— أى صابون وأى مسحوق يجدى فى تطهير الروح من الدنس أفضل من العلم والتربية[1]..

= خوشتر شوى بفضل زلعلى كه در زمى است
برتر برى بعلم زمرغى كه در هواست
(قصيدة رقم ٩)

فضل است چراغى كه دلفروزست
علم است بهارى كه بى خزانست
(قصيدة رقم ١١)

(١) الأصول الفارسية هى:
چون معدنست علم، ودر آن روح كاركر
پيوند علم وجان سخن كاه وكهرباست
(قصيدة رقم ٩)

روغن بچراغ جاى ز علم افزاى
كم نور بود چراغ كم روغن
(قصيدة ٣٢)

براى شستشوى جان ز شوخ وريم آلايش
ز علم وتربيت بهترچه صابونى چه اشنائى
(قصيدة رقم ٤٠)

وإذا كان العلم وثيق الصلة بكل من الفضل والروح ، فما لاشك فيه أنه عظيم القيمة ، وأنه أساس كل ثروة حقيقية ، كما أن المعرفة أساس الافتخار لا الذهب والمال . وقد وضحت پروين قيمة العلم فى كثير من أبياتها منها ما ترجمته :

— نصف دانق من الفضل والعلم ، أفضل قيمة من كنز غاص بالجواهر

— العلم رأس مال الوجود ، لا كنز الذهب والمال ؛ ولذا يجب أن تثرى الروح من هذا الطريق .

— لا شبيه لكنز المعرفة ، حتى ولو غص منجم الدهر بالفضة والذهب .

— الفخر بالعلم لا بالثروة والعقار ، والفضل وحده هو الفارق بين الإنسان والحيوان[1] .

ولكن إذا كان العلم عظيم القيمة ، فلا يجب أن يكون وسيلة للتعالى والتكبر على الناس ، فالعلم يجب أن يتسم صاحبه بالتواضع . وقد قصت پروين قصة تنفر فيها من تكبر العالم ، إذ التقى عالم بجاهل ، فبدأ العالم يزهو

---

(١) الاصول الفارسية هى :

علم سرمايهٔ هستى است . نه گنج زر ومال
روح بايد كه ازين راه توانگر گردد
(قصيدة رقم ١٦)

همترازوى گنج عرفان نيست
هرچه در كان دهر ، سيم وزر است
(قطعة رقم ٦٤)

بادانش است فخر ، نه با ثروت وعقار
تنها هنر تفاوت انسان وچارپاست
(قصيدة رقم ٩)

بعلمه ويطعن الجاهل ، ويتسامى عليه ، فأخبره الجاهل بأن علمه هذا لاجدوى منه ، إذ المفروض أن يباعد العلم بين صاحبه وبين الغرور والعجب . ومن بين ماقاله الجاهل ماترجمته :

— لاتعتبر نفسك عبثا بلا نظير ، فلأم الدهر أبناء عديدون .

— لابريق لنور العلم لديك ، فكل مالديك غرور غير مثمر .

— إذا كان هذا فضل أهل العلم ، فهنيئا لمن لم يحظ بهذا الفضل (١) .

ولكى ترغب پروين فى العلم والتعليم تحدثت أيضا عن فائدته، وفوائد العلم كثيرة وهو مفيد فى كل ما يقدم الإنسان على فعله ، كما أنه خير سند يستند إليه الانسان فى بحر الحياة المضطرب الأمواج ، وقد تحدثت الشاعرة عن فوائد العلم فى أبيات كثيرة ، منها ماترجمته :

— لابد من سفينة العلم والعزم ، لمثل هذا البحر الملىء بالاضطراب ، عديم الشواطىء .

— العلم مفيد سواء فى الوطن أو فى الغربة ، وعود الطيب جيد الرائحة سواء فى الكأس أو فى النار .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

خويش را خيره بى نظير مدان
مادر دهر را بسى پسراست
در تو برقى ز نور دانش نيست
همه باد بروت بى ثمر است
اگر اين است فضل اهل هنر
خنكا آن كسى كه بى هنراست
(قطعة رقم ٦٤)

— أجل بالعلم الصدأ عن هـــذه المرآة ، لتعرف بالصيقل الصدأ من الدخان [1] .

وفى حديثها إلى الانسان الموفق السعيد الحظ جعلت العلم رأس مال التجارة حيث قالت :

— لقد جعلت العقل فاتحة لأوراق الحياة ، كما ملكت العلم رأس مال التجارة [2] .

ولكن لكى يكون العلم مفيدا يجب أن يخرج إلى حيز التطبيق العملى فى صورة عمل مثمر نافع ، إذ لاجـــدوى من علم حبيس فى رأس صاحبه :

(١) الأصول الفارسية هى :

يكى كشتى ازدانش وعزم بايد
چنين بحر پر وحشت بيكرانرا
(قصيدة رقم ٣)

علم نيكوستچه در خانه چه در غربت
عود خوشبوستچه در كاسه چه در بحر
(قصيدة رقم ٢٣)

بدانش ، زنگ ازين آئينه بزادى
بصيقل ، زنگ را دانى زدودن
(قطعة رقم ١٢٨)

(٢) الأصل الفارسى هو :

عقل را ديباچهٔ اوراق هستى ساختن
علم را سرمايهٔ بازارگانى داشتن
(قطعة رقم ٤٨)

— لم تشتعل شمعة بلا فتيل مطلقا ، وإن انعدم العمل ، فالعلم عديم الجدوى (١) .

وإذا كانت الشاعرة قد رغبت فى العلم ورفعت من قيمته ، لابد وأن تحقر من شأن الجهل ، وتنفر منه قارئ ديوانها ، حتى تكتمل الصورة وضوحا ، ويتم لها الوصول إلى مرامها ومن الأبيات التى تحدثت عن الجهل ما ترجمته :

الجهل يقيد قدميك وإن يجد فرصة يقيد يديك ، فلا تعطه فرصة الإحاطة بك .

— احترق بيدرنا بنار الجهل ، ولا ذنب للبرق ولا للشمس (٢) ،

وكما يرفع العلم من شأن صاحبه فان الجهل يقضى على مالصاحبه من قدر ومكانة :

---

(٢) النص الفارسى هو :

هيچگه شمع بى فتيله نسوخت تا عمل نيست ، علم بى اثراست

(قطعة رقم ٦٤) .

(٣) النص الفارسى :

جهل پاى توببندد چويابد دست

فرصت هست ، مده فرصت جولانش

(قطعة رقم ٢٤)

زآتش جهل ، سوختن خرمن ما گنه برق وآفتاب نبود

(قطعه رقم ١٦٣)

— من مثلك لايشترى بنصف دانق ، فالرجل الجاهل أسوأ من الحيوان(١).

وكما عقدت پروين صلة بين العلم والفضل ، عقدت صله كذلك بين الجهل والعجب حيث قالت :

—الجهل عظمة غير مرغوبة ، فهو بشر ، والعجب سلامة مرذولة ، فهو بلاء(٢).

وما دام الإنسان مصادقا الجهل ، فلا بد وأن يكون معطل الفكر والعقل لأن الجهل لايتفق والعقل ، وفي هذا تقول پروين :

سلطان العقل لايمكن أن يصادقك ، مادام الجهل حاكم أمورك(٣).

* * *

(٤) الأصل الفارسى هو :

چون توئى را به نيم جو نخرند

مرد نادان زچارپا بتراست

(قطعة رقم ٦٤)

(١) الأصل الفارسى هو :

جهل بلندى نپسندد چه است

عجب سلامت نپذيرد بلاست

(قصيدة رقم ٨)

(٢) النص الفارسى هو :

يارى نكند باتو خسرو عقل

تا جهل بملك تو حكمرانست

(قصيدة رقم ١١).

٣ — الدعوة إلى العمل

تناولت بروين قضية العمل والتفانى فيه، وبذل الجهد والعرق وبخاصة فى فترة الشباب فى كثير من أبيات قصائدها ومثنوياتها، كما أوردت حكايات كثيرة إما مباشرة أو رمزية الغرض منها تشجيع قارئى ديوانها على العمل..

وقد تناولت بروين هذه القضية من زوايا عدة، تكاد تكون قد أحاطت بكل ما يتصل بمحيط العمل والإخلاص فيه، فقد رغبت فيه، ووضحت أن الأفعال خير من الأقوال كما وضحت أن أفضل فترة للانتاج والعمل هى فترة الشباب..

وهذه أهم الجوانب التى ناقشتها فى دعوتها إلى العمل وبيان قيمته:

(١) الترغيب فى العمل والإخلاص فيه:

دعت بروين فى كثير من أبيات قصائدها وفى قطعها إلى ضرورة السعى والعمل المتواصلين، وإلى ضرورة الإخلاص فى كل عمل يؤدى، فقد قالت:

— إن كنت حى القلب فتيقظ دائما وقت السعى، وإن كنت عاملا فأسرع الخطى فى كل عمل.

— لا يصبح الشخص عظيما إلا بالعمل العظيم، وماذنب الزمن إن لم تنتج أى عمل.

— إذا كان العمر لحظة أو برهة ، فليس قصيرا إن استغل فى عمل (١) .

هذه مجرد أمثلة مختصرة لتناولها العمل والدعوة له فى أبيات متفرقة ، ولكن إلى جانبها مجموعة من المثنويات والقطع ، تحكى كل واحدة منها حكاية مضمونها الترغيب فى العمل وضرورة الإخلاص فيه ، منها قصة ذئب أرسل رسالة إلى كلب القطيع يطالبه فيها بإرسال حمل ؛ لأن لديه ضيفا يريد إكرامه ، ويحذره من التأخير فى تنفيذ هذا الأمر ، فثورة الذئب عارمة ، ولكن الكلب لم يأبه بالتهديد ، وامتنع عن إرسال الحمل وأخبره أن مهمته الحراسة لا السرقة ، كما أنه مستعد لأن يفتك بالذئب إن اقترب من القطيع . وأنه لن يتخلى عن مهمته التى وكل إليه القيام بها ، مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة وتعب ، ومما قاله الكلب ما ترجمته :

لا أربى جسدى من أجل النوم والأكل ، وإنما أحمل روحى على كفى وأتقدم برأسى .

---

(١) النصوص الفارسية هى :

بگشاى گركه زنده دلى وقت پويه چشم
بردار گركه كارگرى بهركار گام
(قصيدة رقم ٢٦) .

كسى بزوگك نگردد مگر زكار بزرگ
گراز تو كار نيابد ، زمانه راچه گناه
(قطعة رقم ١٦١) .

عمر گريك دم وگريك نفس است
تابكارش توان زد ، كم نيست
(قطعة رقم ١٥٠) .

— لقد شريت بغالى الثمن لكى أعمل ، لا أن تتملكنى الحيرة إن اشتدت وطأة العمل .

— لن تستطيع الدخول إلى الحظيرة إن لم تقتلنى ، ومادام لى فم ، فلن تستطيع أن تخيط فى[1] . .

وقصة أخرى على النقيض من السابقة تصور العاقبة الوخيمة للتكاسل فى العمل وعدم الإخلاص فيما يوكل للانسان من مهام ، فقد غفل أحد الرعاة عن حراسة القطيع واستسلم للنوم . فانتهز الذئب هذه الفرصة الذهبية وانقض على القطيع تقتيلا وتمزيقا ، وقد تكرر هذا العمل لمدة أيام وليال حتى قضى الذئب على عدد كبير من القطيع . وذات مرة استيقظ الراعى من نومه فجأة فأمسك بالذئب وانهال عليه ضربا ، ولكن الذئب وبخه ، وقال له :

— لابد من التدبير وقت العمل ، ولكن أى تدبير هذا وقد تأخر عن وقت العمل .

— لايجوز النوم وقت الحراسة ، فاذا وجد الراعى ، وجب عليه ألا يغفل عن الذئب .

— أيها المسكين ، لابد من الرعاية للراعى ، وعلى الحارس أن يقاوم النوم بالليل .

---

(١) النص الفارسى هو :

من از براى خور وخواب ، تن نپروردم
همیشه جان بکف وسر بر آستان دارم
مرا گران بخریدند ، تا بکارآیم
نه آنکه کار چوشد سخت ، سرگران دارم
مرانکشته ؛ بآغل درون نخواهى شد
دهان من نتوان دوخت تادهان دارم
(قطعة رقم ١٦٤) .

— أخفيت عن نفسك عيب عملك ، فنمت وقت رعى القطيع.

— نمت ، فأصبح الأمر عسيرا ، ولا يمكن إنجاز عشرة أعمال بيد واحدة

— والحارس الذى لا يفكر فى الذئب الشرير ، يكون فى النهاية ذئب قطيعه [1] .

حسنا فعلت پروين حين رفعت من مكانة الكلب ، ذلك الحارس الأمين الذى يضحى بنفسه فى سبيل القيام بعمله على خير وجه ، بينما أحطت من مكانة ذلك الراعى المتكاسل الذى جنى ثمار إهماله وتخاذله عن الحراسة والرعاية ،

---

(١) النص الفارسى هو :

بوقت کار ؛ باید کرد تدبیر
چه تدبیری ؛ چو وقت کار شد دیر
نشاید وقت بیداری غنودن
شبان نبودن ز گرگ آگه نبودن
شبانی باید ؛ ای مسکین ، شبان را
توان شب نخفتن ، پاسبان را
تو ، عیب کارخویش ازخود نهفتی
بهنگام چرای گله ، خفتی
توخفتی ، کار از آن گردید دشوار
نشاید کرد بایکدست ، ده کار
شبان فارغ از گرگ بداندیش
بود فرجام ، گرگ گلهٔ خویش
(قطعة رقم ١٦٥)

وهكذا يكون الأمين فى عمله المخلص فى أدائه . محل تقدير الجميع ، أماالعامل المتخاذل فلا يستحق إلا كل تعنيف وإزدراء ، كما لا يستحق أجرا ، بل المفروض أن يطالب بتعويض عما سببه إهماله من خسارة ، فقد قالت پروين :

— لا يقدم إنسان أجرا لعامل نائم ، فالدنيا ميدان عمـــل وليست مخدع نوم(١) .

ولـكى تشجع پروين على العمل حاكت قصصا عن كل مايضرب به المثل فى السعى والاجتهاد فى العمل وبخاصة النملة والعنـكبوت ، لعل الإنسان يدرك ، أن واجبه وهو أعظم المخلوقات أن يكون أفضلها سعيا وراء رزقه ، وسأكتفى بسرد قصة بطلها عنـكبوت يعنف كسولا على تخاذله وتـكاسله ، وهذه ترجمة لبعض أبيات هذه القصة الطريفة :

— انزوى كسول بزاوية متها لـكا متعبا متألما ، مع أنه قوى البدن

— فرأى عنكبوتا على الباب منهمكا فى العمل ، منزويا عن برد الزمان وحره

— لقد انهمك فى العمل بمغزل الهمة ، ولم يعرف غير طريق السعى والعمل .

— كان يعطى درسا بلا نطق ولا كلام ، وكان يقدح فكره مع الخيوط الجديدة .

---

(١) النص الفارسى هو .

مزدور خفته را ندهد مزد ، هيچكس
ميدان همت است جهان ، خوابگاه نيست
(قطعة رقم ١٣١)

— وعلى هذه الطريقة يعمل المجربون ، فما أن توجد الكرة حتى يضربوها بالصولجان .

— العمل متوفر ولكن ينقصه العامل ، والدائرة مائة نقطة ، ولكن ينقصها الفرجار .

— هكذا انهمك العامل فى عمله ، كما شغل المعمارى بتشييد مبناه .

— قال الكسول : أى عمل تافه هذا ؟ إن السماء لتبرأ من ممارسة هذا العمل .

— إن العمل فى هذه الحياة كالجبال ، أما أنت فلا يهتم بك أحد يا شبيها بقشة تبن .

— قال (العنكبوت) : لست خبيرا بأسرارى ، لذا كثر ضحكك على بابى وجدارى .

— سواء أكان عملنا سهلا أو صعبا ، فقد تطلب عاملا ، وذلك لأنه عمل .

— نحن من البداية نساجون دواما ، وهذه حرفتنا ما حيينا .

— لقد سعينا ما وجدنا الفرصة ، فنسجنا ونسجنا ، ونسجنا .

— وهكذا أصبح عملى ، فما عملك أنت ؟ إذا كان رصيدنا صفرا . فما رصيدك أنت ؟

— أقمنا خيمة السعى هذه ، حتى تعرف قيمة الوقت الثمين .

— اقتصر صباغا ، إن وجدت الأصباغ فى الحياة ، فقد أصبحت الفرصة كالبرق وهى لاتعرف التأخير .

— إن وجد بناء وجب رفعه ، فما أكثر مايوجد اليوم وينعدم غدا[١] .

---

(١) النص الفارسى هو :

كاهلى درگوشه اى افتاد سست خسته ورنجور ، اما تندرست
عنكبوتى ديد بردر ، گرم كار گوشه‌گير از سرد وگرم روزگار
دوك همت را بكار انداخته جزره سعى وعمل نشناخته
درسها ميداد بى نطق وكلام فكرها ى پخت بانخهاى خام
كاردانان ، كار زينسان ميكنند تا كه گوئى هست ، چوگان ميزنند
كار آماده ولى افزار نه دائره صدجا ولى پركار نه
كار كرده صاحب كارى شده اندر آن معموره معمارى شده
گفت كاهل كاين چه كار سرسريست آسمان ، زين كاركردنها بريست
كوهها كارست درين كارگاه كس نمى بيند ترا ، أى پركاه
گفت آگه نيستى ز اسرار من چند خندى بر در وديوار من
كار ما گر سهل وگر دشوار بود كارگر ميخواست ، زيرا كار بود
ما تمام ازابتدا بافنده ايم حرفت ما اين بود نازنده ايم
سعى كرديم آنچه فرصت يافتيم بافتيم وبافتيم وبافتيم
كارما اينگونه‌شد ، كار توچيست بارماخالى است ، دربارتوچيست
مازديم اين خيمه سعى وعمل تا بدانى قدر وقت بى بدل
رنگرز شو ، تاكه درخم هست رنگ برق شد فرصت ، نميداند درنگ
گربنائى هست بايد بر فراشت اى بسا امروز كان فردا نداشت

(مثنوى رقم ٩٠)

(ب) الأعمال خير من الأقوال :

وضحت پروين أن القول وحده لايقدم خيرا لصاحبه . بل يجب أن يكون العمل محور اهتمام الإنسان ، فقيمة الإنسان بعمله . وقد قالت پروين مرغبة فى العمل ؛ منفرة من الثرثرة .

-- لابد من العمل حيث يجب العمل . وأى فضيلة فى الثرثرة .

— أى جدوى من القول العابث اللاهى . فلتحسن العمل . إذ لا فائدة من القول (١)

وفى حكاية دارت أحداثها بين نملة ساعية وبلبل لاه يوجه البلبل الدعوة للنملة لكى تتخلى عن العمل وتستريح بعض الوقت وتزامله فى لهوه ولعبه بالحديقة حيث الورود والرياحين . فكان جواب النملة :

— أنت تعتمد على الكلام أما أنا فعلى العمل. وهكذا إدخرنا الفضل . وادخرت أنت العار .

— الحجر أكثر رونقا من الحيلة . والعمل أغلى قيمة من الثرثرة (٢) .

(١) الأصل الفارسى :

اندر آنجا كه كاربايد كرد چه فضيلت براى گفتاراست
(قطعة رقم ٧٦)

ازگفتهٔ ناكردهٔ بيهوده چه حاصل
كردار نكوكن ، كه نه سوديست گفتار
(قطعة رقم ٩٧) .

(٢) الأصل الفارسى هو :

توبسخن تكيه كنى ، من بكار
ما هنر اندوخته ايم وتو عار
لانه دلفروز تراست از چمن
كار ، گرانسنگتراست از سخن
(مثنوى رقم ٦٧)

(ح) التوقيت فى العمل :

لا إنفصال بين العمل والزمن ،فكل عمل يجب أن يكون لهزمن محدود لينجز فيه ، وإلا دب التكاسل والتراخى . وماتم إنجاز العمل مطلقا ..

وقد وضحت پروين الصلة بين الزمن والوقت فى مثنوى بعنوان « رفو الوقت » وهو يبدأ بعتاب رقيق توجهه إبرة إلى رفاء تطالبه بمنحها فرصة للراحة ولو لبعض الوقت . فهى لم تعد قادرة على العمل ليلا ونهارا . فيرد عليها الرفاء بهدوء ويخبرها بأنه مضطر إلى مواصلة العمل ليلا ونهارا قبل أن تضيع الفرصة من يده ، ثم لا يستطيع مزاولة العمل بعد ذلك . كما أنه لابد وأن يعمل طوال الوقت . إذ لا يمكن الفصل بين الوقت والعمل . وإلا ضاع الوقت وفسد العمل :

— اجتهد كثيرا فالعمر قصير ، وأحسن العمل فالفرصة واحدة .

— حين تعلم المجربون الرفو ، خاطوا قطع الوقت الممزقة .

— لابد من رفو العمر بالعمل . ولابد من تطويل الوقت القصير بالفضل

— إن فصلت العمل عن الوقت ؛ أفسدت هذا أبليت ذاك[1] ..

(١) النص الفارسى هو :

جهد رابسيار كن ، عمر اندكى است
كار را نيكو گزين ، فرصت يكى است
كار دانان چون رفو آموختنـد
پاره هاى وقت برهم دوختند
عمر را بايد رفو باكار كرد
وقت كم را باهنر بسيار كرد
كار را از وقت ، چون كردى جدا
اين يكى گردد تباه ، آن يك هبا
(مثنوى رقم ١١١)

وعلى هذا وجب على الإنسان ألا يؤخر عمل اليوم إلى الغد . فمن يدرى ماذا يحدث غدا . وقد قالت ماترجمته :

— إن تؤخر عمل اليوم إلى الغد . فماذا تفعل إن لم تبق أنت إلى الغد .

— لن تستطيع غدا التفكير مرة أخرى فى إنجاز ما يمكنك عمله اليوم .

— كن عاقلا مفكرا وقت التدبير . ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد (١).

(د) الخبرة والتجربة ودورهما فى إزدهار العمل :

كلما زادت خبرة العامل وتجربته ، زادت فرص نجاحه وتوفيقه فالخبير بأى عمل قادر على إنجاز مايوكل إليه من مهام بمهارة وإتقان ، على عكس عديم الخبرة عديم التجربة الذى يزاول العمل لأول مرة . لذا تدعو پروين مواطنيها إلى التجريب واكتساب الخبرة . وقد أوردت دعوتها هذه فى أبيات متفرقة وفى قالب حكاية كذلك . ومن الأبيات التى تدعو إلى التجريب واكتساب الخبرة . ماترجمته :

— يجب أن يتم العمل كما ينجزه ذوو الخبرة . وأى طريقة أفضل من المهارة والخبرة .

---

(١) چوكار تو ز امروز بفردا
چه كارى كنى چون بفردا نمانى
(قصيدة رقم ٤١)

فكر فردا نتوانى كه كنى ديگر
مگر امروز كه در كشور امكانى
(قصيدة رقم ٣٩)

گه تدبير ، عاقل باش وبينا ره امروز را مسپار فردا
(مثنوى رقم ١٢٤)

— لابد لك من التجربة أولا قبل العمل . فالصاعقة فى موسم الحصاد بلاء وأى بلاء .

— مع أن العمل والنجاح يتسمان بالصعوبة . فإن الهمة والخبرة يذللان صعوبتهما(١) .

كما ساقت حكاية ملخصها أن قطا قد بلغ من الكبر عتيا ، وحل به الضعف والهوان فوجدت الفئران فرصتها الذهبية لتعثو فى البيت فسادا ، تحطم هذا وتلتهم ذاك فتألم القط لهذا الخراب وذاك الدمار . واستجمع قواه ، وقال لابد وأن أتوجه إلى المخزن واستخدم تجاربى وخبرتى القديمتين حتى أخيف الفئران ، ولا أبقى لها بالمخزن أثرا . وما أن توجه صوب المخزن وزمجر كالأسد ، وقفز هنا وهناك ، حتى خافته الفئران ، وتجمدت مكانها ، فأمسك بالبعض منها وفتك بها ، فخافته بقية الفئران وولت هاربة من المكان ، وهكذا أفادته خبرته السابقة وتجاربه السالفة فى القضاء على عدوه بالدار ، وهذه ترجمة لأبيات من هذه الحكاية :

— حين رأى القــــط ذلك الخراب والدمار ، سار إلى المخزن بخطوات متثاقلة .

---

(١) الأصول الفارسية هى :

چون كار آگهان كار بايست كردن
چه رسم ورهى بهتر از كار دانى
(قصيدة رقم ٤١)

تجربه ميبايدت اول ، نه كار صاعقه در موسم خرمن ، بلاست
(قطعة رقم ١٣٥)

گرچه دشواربود كار وبرومندى
همت وكارشناسى كند آسايش
(قصيدة رقم ٢٤)

— وحدث نفسه قائلا : كيف حدث هذا . ومازال هناك رمق فى القلب والروح والجسد .

— مع أننى عاجز عن الاتيان بأى عمل ، إلا أننى خبير بتجارب الزمن .

— فإن أنظر بغضب صوب الفئران ، فإنها جميعا ستغلق أعينها من الخوف .

— ثم زمجر زمجرة عاصفة وذلك من باب الحيلة ، فخافته الفئران ، وألزمها الخوف مكانها .

— وما أن أمسك بعدد من الفئران ، حتى طرح الألم عن جسده وود الوهن مخالبه (١) ..

---

(١) الأصل الفارسى هو :

گربه چو دید آن ره ورسم تباه
پای کشان ، کرد به انبار راه
گفت بخود ، کاین چه در افتاد نست
تارمقی در دل وجان وتن است
گرچه نمیآیدم از دست ، کار
آگهم از کارگه روزکار
گرکه بینم سوی موشان بخشم
جمله ببندند ز اندیشه چشم
برزنخ از حیله بیفکند باد
موش بترسید وزترس ایستاد
موشك چندی ، چو بدینسان گرفت
رنج زتن ، درد ز دندان گرفت
(مثنوی رقم ١٥٢)

أما إذا عدم الانسان الخبرة ، فإنه يصبح ألعوبة فى يد الزمن تحركه الأيام هنا وهناك ، بلاوعى منه ، وبلا إدراك . فقد قالت پروين :

— الفلك شديد الخداع لعديم التجربة . وأنت عديمها . لذا فهو يدحرجك ألف مرة فى كل خطوة[١] .

لذا جعلت الشاعرة تقديم النصح لعديمى التجربة فرضا على كل صاحب خبرة لأن الخبرات ميراث الإنسانية جميعها ، ولا يصح أن يبخل بها خبير على عديمها مطلقا :

— تقديم النصح لعديم التجربة فرض ، وكذا إطلاعه على الأسرار[٢] .

(٥) الإعتماد على النفس :

دعت پروين إلى الاهتمام بالعمل لما له من أهمية فى حياة الشعوب والأفراد ومن فوائده العديدة أن يكسب الإنسان قوته معتمداً على نفسه دون حاجة لأن يعرض نفسه لذل السؤال فيعطيه هذا ويمنعه ذاك ، فيريق ماء وجهه عبثاً وهو قادر على الكسب والعمل والإنتاج والحصول على القوت بعرق جبينه . .

وقد أكثرت پروين من الحكايات التى تدعو القارىء لكى يعتمد

---

(١) النص الفارسى هو :

هزار بار بلغزاندت بهر قدمى
كه سخت خام فريبست روزگار وتو خام
(قصيدة رقم ٢٧)

(٢) النص الفارسى هو :

فرض است نيازموده را پند واگاه نمودنش و اسرار
(مقطع رقم ١٩٦)

على قوة ساعديه ، وأفضلها حكاية تصور فقيراً وقد جلس على قارعة الطريق غاية فى الذل والمسكنة ، وأخذ يتأوه مما به من آلام ؛ إذ أنه عديم المسكن والمأكل ، وأنه بلا نظير فى عدمه وفقره ، وكم حاول استجداء الخلق ، فصده أكثرهم ، ثم أطال فى شكايته حتى جاءه رد الله عز وجل على هيئة حديث سمعه بأذن قلبه قائلا له :

— حدثه الله الودود فى أذن قلبه ، قائلا : إن لم تكن موفقا ، فالجرم جرمك .

— اخط خطوة واحدة فى طريقى ، حتى أقربك منى عشرين خطوة .

— نحن لم نرسلك بلا زاد ، فقد منحناك ما يجب منحه .

— لقد منحناك يدا حتى تعمل ، فإن وجد الدرهم ، فبإمكانك جعله دينارا .

— ومنحناك قدما لكى تنتقل من مكان إلى مكان ، ولتخلص نفسك من كل ضيق .

— ومنحناك العين حتى يشعر قلبك بالأمان ، فيضىء أمامك طريق الحياة .

— نحن لم نترك إنسانا جائعا ، وقد رفعنا هذا البناء من أجل الخلق .

— هذه القوة الكامنة فى ساعدك ، شاهد حظك ، وكذلك ما فى كتفك .

— أيها الجاحد ، منحتك الكنوز التى لم يستطع شخص قط إحصاءها

— كنزك هو العقل والرأى والعزم والهمة ، وأفضل كنز هو سعيك وتعبك .

— حين طلب العارفون الحظ منا ، طلبوا اليد والساعد القويين .

— ونحن لا نقول : لا تطرق بابنا سائلا ، ولكن إن تطرق هذا الباب، فلا تطرق بابا آخر .

— ومن انكب على خوان الكرام ، نابية من اللئام [1]

---

(1) النص الفارسي هو :

گفتش اندر گوش دل ، رب ودود
گر نبودی کاردان ، جرم تو بود
تو براه من بنه گامی تمام
تامنت نزدیك آیم بیست گام
ما ترا بی توشه نفرستاده‌ایم
آنچه می بایست دادن ، داده ایم
دست دادیمت که تا کاری کنی
درهمی گرهست ، دیناری کنی
پای دادیمت که باشی پا بجای
وارهانی خویش را از تنگنای
چشم دادم تا دلت ایمن کند
بر تو راه زندگی ، روشن کند
ماکسی را ناشتا نگذاشتیم
این بنا از بهر خلق افراشتیم
این توانائی که در بازوی تست
شاهد بخت است ودر پهلوی تست
گنجها بخشیدمت ، ای ناسپاس
که نگنجد هیچکس را در قیاس
عقل ورای، وعزم وهمت ، گنج تست
بهترین گنجور ، سعی ورنج تست =

وإلى جانب الحكايات توجد بالديوان مجموعة كبيرة من الأبيات المتفرقة التي تدعو القارىء إلى الاعتماد على النفس منها ما ترجمته :

— تكفل بعلاج أمورك لأن الآخرين لن يتكفلوا بدية جرمك .

— لا تطلب طعامك من سواعد الخلق ، إن كان لك ساعد قوي مجرب

— الدهر لا يتمم عمل أحد ، فأكمل عملك بنفسك .

— لم تقبل أن يتفضل عليك الأنذال بقارعة كل طريق ؟ ولم تطرق كل باب أملا في رغيف ؟ (١) .

عارفان ، چون دولت ازماخو استند
دست وبا زوى توانا خـواستند
ما نميگوئيم سائل در مـزن
چون زدى اين در ، در ديگر مزن
آنكه بر خوان كريمان كرد پشت
از لئيمان بشنود حرف درشت
(مثنوى رقم ٩٥)

(١) الأبيات الفارسية هي :
تيمار كار خويش تو خود خور ، كه ديگران
هرگز براى جرم تو ، تاوان نميدهند
(مقطعات رقم ٢٠٧)

نان خود از بازوى مردم مخواه
گركه تورا بازوى زور آزماست
(قطعة رقم ١٣٥)

دهر ، بر كار كس نپردازد
هم تو ، بر كار خويشتن پرداز
(قطعة رقم ١٤٨)

چه كشى منت دونان بسر هر ره
چه روى در طلب نان بسوى هر در
(قطعة رقم ٢٣)

(و) الشباب والعمل :

إذا كان على الإنسان أن يسعى معتمدا على نفسه ، فخير فـــترة للعمل والسعى المتواصلين تتمثل فى فترة الشباب ، قبل أن يلحق بالإنسان عجز الشيخوخة فلايستطيع مزاولة عمل ولا كسب قوت ، بل يجب أن يعمل الإنسان فى شبابه ما يعود عليه بالنفع فى شيخوخته ، فحصاد الشيخوخة نتاج لما يزرع فى زمن الشباب ، وقد قالت پروين ما ترجمته :

— لتدرك أن قوة وجلد الشيخ نتيجة للسعى والعمل فى موسم الشباب

— من الأفضل الاجتهاد فى زمن الشباب ، فلا وجود لعصر أو زمن أفضل منه .

— لا تنم أيها الشاب فارغ البال ، لأنك فى زمن المشيب ستتذكر أيام الشباب بكل حسرة (١) :

لذا وجب على الإنسان أن يستعذب العمل الشاق فى فترة الشباب حتى يجد راحته فى زمن المشيب ، فهذا حطاب يشعر بحلاوة العمل الشاق مادامت

(١) الأبيات الفارسية هى .

هشدار كه توش وتوان پيرى سعى وعمل موسم شبابست

(قصيدة رقم ٢٣)

بروزگار جوانى ، خوش است كوشيدن

چرا كه خوشتر ازين ، وقت وروزگارى نيست

(قطعة رقم ٨٠)

مخسب آسوده اى برنا كه اندر نوبت پيرى

بحسرت ياد خواهى كرد ايام جوانى را

(قصيدة رقم ٤)

له قوة الشباب ، والقدرة على العمل ، ويحذر من اللهو والعبث فى هذه الفترة ففترة الشباب لاتعوض ، ولاتقوم بثمن :

— هكذا غنى حطاب بالصحراء ، فقال : ما شعر إنسان قط بالذلة من أقتلاع الأشواك .

— مادمت تملك الشباب والتدبير والقوة فهذه الأعمال لاتعد عملا شاقا

— فاجنح صوب اليقظة والتعقل ، إذا رأيت أن حظك ليس مواتيا .

— كم بعت ماتود شراءه ، فمتاع الشباب لايباع بالسوق .

— فترة الشباب فترة السعى والعمل ، لافترة التكبر والغرور .

— لايجب التقاعس عبثا ، ما دامت الروح غير متعبة والجسد غير سقيم [1] :

---

(١) النص الفارسى هو :

بصحرا ، سرود اينچنين خاركن
که از کندن خار ، کس خار نيست
جوانى وتدبير ونيروت هست
بدست تو ، اين كارها كارنيست
به بيدارى وهوشيارى گراى
چو ديدى كه بخت تو بيدار نيست
چو بفروختى ، از كه خواهى خريد
متاع جوانى ببازار نيست
جوانى ، كه كار وشايستگى است
كه خود پسندى وپندار نيست
نبايست بر خيره از پا فتاد
چوجان خسته وجسم بيمار نيست
(قطعة رقم ١٢٢)

كما عقدت پروین فی أكثر من قطعة حوارا بین شاب وشیخ ، محور الحوار فی النهایة تقدیم النصح للشباب بأن یستغل فترة شبابه دون إضاعتها فی لهو وعبث ، وإلا ندم ولكن بعد فوات الأوان ، فقد شكا شاب فقره وضنك عیشه أمام شیخ وأنه لم یحظ یوما واحدا بالسعادة ، فیرد علیه الشیخ بلطف قائلا له :

— إذا كانت لك قوة الشباب ، فأحسن استغلالها فلا ثروة مطلقا تشبه رأسمال الشباب .

— ما دامت القوة لم تسلب من ساعدیك ، فلا وجود لزمن الضعف والعجز والألم

— لا بد أیها الصدیق من تحمل الألم فی عالم الحیاة ، أما القلب المیت فلا یستحق الحیاة [1] :

وإذا كان الشباب بهذه القیمة الغالیة فمن الضروری أن یحافظ الإنسان علی شبابه ویستثمره فیما یعود علی وطنه وعلی نفسه بالنفع ، فالشباب ثروة لا تدانیها ثروة أخری ، إنه ثروة تفوق الذهب والفضة قیمة ، فالذهب والفضة یمكن استعادتهما إذا فقدهما الإنسان ، أما الشباب إذا ولی فلن یستطیع الإنسان استعادته مرة أخری ، وقد وضحت پروین هذه الحقیقة فی حوار دار بین نرجسة ذابلة ووردة متفتحة ، فقد سألت النرجسة الوردة أن تبیعها

---

(١) چو دستگاه جوانیت هست ، سودی کن
که هیچ سود ، چو سرمایهٔ جوانی نیست
ز بازویت نربودند تا توانائی
زمان خستگی وعجز وناتوانی نیست
بملك زندگی ، اید وست رنج باید برد
دلی که مرد ، سزا وار زندگانی نیست
(قطعه رقم ١١٥)

شبابها بالذهب والفضة ، ولـكن الوردة رفضت لأن الشباب لايقوم بثمن ولا يباع مطلقا مهما كان الثمن المدفوع فيه ، وهذه ترجمة لأبيات من هذا الحوار :

— نـكست نرجسة ذابلة رأسها غما وخجلا ، حين أبصرت ماالورود البستان من جلوة :

— وألقت بآمالها إلى وردة متفتحة ، وأسرتْ إليها بما فى نفسها من هم دفين .

— لم أرفع رأسى من التراب فى هذه الأرض ، وقد أصبحت رمزا لمصائب السماء .

— فلتبيعينى شبابك بالفضة والذهب ، فالفضة والذهب مفتاحا التوفيق

— فأجابت قائلة : هـكذا دستور الحياة ، وهو أن يـكثر السمو كما يـكثر الانحطاط فى هذا الوجود .

— فى هذا المـكان حيث يـكون الشباب لحظة والعمر ليلة ، من العبث أن تطلبى الخلود .

— اغتنمى الفرصة من كنز الزمن ، لأن لص الدهر سيسلب هذا الـكنز بلا ثمن .

— فاحتفظى بذهبك وفضتك ، ففى هذا السوق ، لم يبع أحد شبابه بذهب أو فضة [1] .

* * *

(١) النص الفارسى هو :

خميد نرگس پژمرده ای زانده وشرم
چو دید جلوهٔ گلهای بوستانی را
فكند بر گل خود روی دیدهٔ امید
نهفته گفت بدو این غم نهانی را =

والملاحظ أن پروين تكلمت كثيراً عن العمل وضرورته وفائدته فلم هذا الاهتمام كله؟ لاشك أن اهتمام پروين بالعمل يرجع إلى عـــدة أسباب أهمها .

١ — إيمان پروين بمبادىء دينها الإسلامى الحنيف وما يدعو اليه الدين من سعى وراء الرزق وإخلاص فى العمل جعلها تدعو قارئ الديوان إلى التفانى فى العمل والاخلاص فيه فالدين دين عمل ، وما العبادة إلى عمل فى أغلبها ، والدليل على ذلك قولها : —

— الدين يطالبك بالعمل ، والعمل يتطلب الإخلاص ، وهذا الألم لايعالج بالكلام [1] .

= كه بر نكرده سر از خاك ،در بسيط زمين
شدم نشانه بلاهاى آسمانى را

بمن جوانى خود را بسيم وزر بفروش
كه زر وسيم كليد است كامرانى را

جواب داد كه آئين روزكار اينست
بسى بلندى وپستى است زندگانى را

در آن مكان كه جوانى وعمر شبى است
بخيره ميطلبى عمر جاودانى را

ز گنج وقت ، نوائى ببركه شبرو دهر
برايگان برد اين گنج رايگانى را

توزر وسيم نكهدار كاندرين بازار
بسيم وزر نخريده است كس جوانى را

(قطعة رقم ٧١)

(١) النص الفارسى هو :
دين از تو كار خواهد ، وكار از تو راستى
اين درد با مباحثه درمان نميشود
(قصيدة رقم ١٩)

٢ — وكذلك إيمان پروين بوطنها ، جعلها تشجع أبناء وطنها على العمل وبخاصة لتعمير ذلك الخراب الذى سيطر على كل مظاهر النشاط الإنسانى فى إيران نتيجة لفترات الاضطراب الاجتماعى والسياسى التى قضت على مظاهر التقدم والعمران فى إيران ، وهى القائلة .

— لابد من كثرة العمل والعمال يا پروين ، وذلك لتعمير أى أرض خربـــة (١) .

٣ — كما كانت پروين بطبعها شغوفة بالتحصيل دؤبة فى السعى منذ طفولتها — ولا شك أن فتاة هذه طباعها ، لابد وأن يتفق العمل ونفسيتها فتكثر من الحديث عنه وتشجع قارئها على التفانى فيه وبذل الجهد والعرق فى سبيل حرفته ، وعدم التوانى والتكاسل عن العمل ، لأن الكسل لايتفق وطباع الشاعرة .

---

(١) النص الفارسى هو :

بس كاركر بايد وكارها ، پروين
در آبادى هر زمين خرابى
(قطعة رقم ١١٦)

٤ ـ التعريض بالحكام

تعرضت پروين للحكم والحكام فى شعرها ، فكان أغلب ماقالته هجوما وسخرية ، ونقدا مريرا ، وتنديدا بظلم الحكام وجورهم ، وذلك لأن الحكم وبخاصة فى الأيام الأخيرة من عهد الدولة القاجارية اتسم بالظلم واللهو والعبث وإهمال حقوق الرعية ، وبخاصة الكادحين منهم ، ونتيجة لغفلة السلاطين ، ضاعف حكام الولايات من ظلمهم وتعسفهم ، لذا دعت پروين هؤلاء الحكام والمسئولين أن يكونوا على علم ودراية بأحوال الرعية، وألا يغفل السلطان عن متابعة ولاته خوفا من أن يبطشوا بأفراد الشعب ، وإذا لم يستجب الحكام لمهام وظائفهم وجب على الشعب دك صروح الطغيان والقضاء على الطغاة من حكام وولاة .

فقد نظمت الشاعرة قطعة بعنوان « شكايت پيرزن » بمعنى « شكوى عجوز » تشكو فيها هذه العجوز ظلم الحكام وقسوتهم فى حديث موجه إلى السلطان قباد أحد ملوك الدولة الساسانية[١] وفيه تقول ماترجمته :

— فى يوم الصيـــــد ، قالت عجوز لقباد : لا نتاج لنار فسادك إلا دخان الآهه .

— اجنح ذات يوم من طريق الصيد إلى خصى ، فليس جرما الاطلاع على حال ساكنى الأخصاص .

---

(١) وقد اختارت (قباد) لأمة اتسم الفساد وكثرت الفتن فى عهده ، والتعاون مع أعداء ايران ضد أهلها ، لذا يضرب به المثل فى الظلم والطغيان .

— سلبنى اللص اللحاف ، ولم يرجع الراعى القطيع ، فلا أمن ولا طمأنينة بإقليمك مرة أخرى .

— من الجفاف ذبلت جذور قرعى ، فقد سلبت أنت ماء القناة ، وعدمت البئر الماء .

— فداحة الخراج تضيق الدنيا أمام أعيننا ، فالقمح لك ، ولا نصيب لنا غير التبن .

— لم تر العين فى أذيالك إلا الدنس ، ولا مراقب لعيوبك الواضحة الجلية .

— حكمت ظلما ، وقلت إنه الحق ، وارتكبت المفاسد ، وقلت إنها عين الاصلاح .

كم رأيت الظلم من الكلب بأعتابك ، ولا وجود فى هذه الأعتاب إلا للوضيع والبخيل .

— خرب كل مسكن وكل قرية نتيجة ظلمك ، ومن كان على شاكلتك لص مغير لا سلطان .

— أصابك الموت عندما أصبحت أسير ذئب الطمع ، والميت فى غير احتياج للعرش والتاج .

— لا يوجد صديق واحد لا يضمر لك العداوة ، وليس لك بين كل جندك محارب مقدام .

— يتحمل الجميع الآثار السيئة لأفعالك الدنيئة ، فلا تصدق أن اليوم العبوس ليس من أجلك أيضاً .

— ستتحمل الشدة من الدهر كلما تتشد مع الخلق ولاخطأ فى حساب الفلك[١] ..

* * *

---

(١) النص الفارسى هو :

روز شكار ، پير زنى با قباد گفت
كاز آتش فساد تو ، جز درد آه نيست
روزى بيا به كلبهٔ ما از ره شكار
تحقيق حال گوشه نشينان گناه نيست
دزدم لحاف برد وشبان گاو پس نداد
ديگر به كشور تو ، امان وپناه نيست
از تشنگى ، كد وبنم امسال خشك شد
آب قنـــات بردى وآبى بچاه نيست
سنگينى خراج ، بما عرصه تنگ كرد
گندم تراست ، حاصل ما غير كاه نيست
در دامن تو ، ديده جز آلودگى نديد
بر عيبهاى روشن خويشت ، نگاه نيست
حكم دروغ دادى وگفتى حقيقت است
كار تباه كردى ، وگفتى تباه نيست
صد جور ديدم ازسگ ودربان بدرگهت
جز سفله وبخيل ، درين بارگاه نيست
ويرانه شد ز ظلم تو ، هر مسكن ودهى
يغما گراست چون توكسى، پادشاه نيست
مردى در آنزمان كه شدى صيد گرگ آز
از بهر مرده ، حاجت تخت وكلاه نيست
يكدوست از براى تونگذاشت دشمنى
يك مرد رزمجوى ، ترا درسپاه نيست =

وقطعة أخرى تحكي قصة طفل صغير وضع على رأسه تاجا من الورود متشبها بالملوك وتمنى أن يكون حاكما له عرشه وبلاطه ، فمر به حكيم وهو على هذه الحال،فنصحه بأن يلقى التاج عن رأسه، فهناك فرق كبير بينه وبين الملوك، فهو مازال طاهر القلب ، أما الملوك فقد جلل الظلم والسوء قلوبهم بالسواد ... إلى غير ذلك من المعانى التى تعد هجوما جريئا على الحكام عامة ، ومما قاله پروين على لسان الحكيم ماترجمته :

— مر به حكيم فقال : أيها الغلام، من المسلم به أن من مثلك ليس سلطانا .

— روحك الآن طاهرة من دنس الجسد ، كما أن قلبك خال من السوء

— أنت أكثر رفعة من ذلك ، إذ لا أثر لصراخ المتألمين والمتظلمين على بابك.

— أنت لم تنهب مال خلق الله ، وليس غذاؤك ونارك من نتاج الدم والدمعة والآهة.

— الآن كنزك آمن من مضرة الشيطان ، ولا صلة لك بالرياء والمراءاة.

— لن يسلبك أحد جواهر تاجك ، ولكن تاج السلطان يوجد أحيانا ويسقط حيانا.

= جمعی سیاهروز سیهکاری تواند
باور مکن که بهر تو روز سیاه نیست
سختی کشی زدهر ، چو سختی دهی بخلق
در کیفر فلک ، غلط واشتباه نیست
(قطعة رقم ١٣١)

— أنت لم تذهب إلى مدرسة العجب والتكبر ، ولاأثر لجند الغرور والهوى فى موكبك

— الملاك مرشدك ، أما الملوك ، فلا مرشد لهم إلا شيطان النفس

— الشياطين هم شهود محكمة السلطان،ولكن لاشاهدا بحضرك إلا الحق

— أنت لاتحفر بئرا فى طريق خلق الله ، لذا خلا طريق حياتك من رهبة البئر(١)

---

(١) النص الفارسى هو :

برو گذشت حكيمى وگفت ، كاى فرزند
مبرهن است كه مثل تو، پاد شاهى نيست
هنوز روح تو ز الايش بدن پاكست
هنوز قلب تو را نيت تباهى نيست
ترا بس است همين برترى كه بردر تو
بساط ظلمى وفرياد داد خواهى نيست
تو ، مال خلق خدا را نكرده اى تا راج
غذا وآتشت ، از خون واشك وآهى نيست
كسى جواهر تاج تورا نخواهد برد
وليك تاج شهى ، گاه هست وگاه نيست
نرفته اى به دبستان عجب وخود بينى
بموكبت ز غرور وهوى ، سپاهى نيست
ترا فرشته بود رهنمودن وشاهانرا
بغير اهرمن نفس ، پير راهى نيست
شهود محكمهٔ پاد شاهى ، ديوانند
ولى بمحضر تو غير حق ، گواهى نيست
تو ، در گذر گه خلق خدا نكندى چاه
به رهگذار حيات تو ، بيم چاهى نيست
(قطعة رقم ١٧٨)

ومن أجمل ما كتبته پروين حوار طريف بين قطرتى دم ، إحداهما سقطت من يد سلطان والأخرى سقطت من قدم حطاب ، وقد دعت قطرة دم السلطان القطرة الأخرى ليتحدا معا ، ولـكن قطرة دم الحطاب رفضت هذا العرض قائلة لها : من الأفضل لى أن أتحد مع دمعة يتيم أو مع قطرة دم عليل لأن الفرق بينى وبينك عظيم ، فأنت قطرة دم سلطان ، أما أنا فلست إلا قطرة من دم حطاب مسكين . .

وهذه ترجمته لبعض ماقالته قطرة دم الحطاب :

— ضحكت قائلة : كم من فروق بينى وبينك ، أنت من يد سلطان ، وأنا من قدم عامل

— من الأفضل لى أن أتحد وأزامل دمعة يتيم ، وقطرة دم عليل .

— أقبلت أنت إلى الوجود من فراغ القلب والمسرة ، أما أنا فمن انحناءة الظهر والمشقة .

— ودوما أعدوا لك الطعام بمطبخ السلطان ، أما أنا فبنار الآلهة ، ودمعة العين .

— اكتسبت أنت لونك من إشراقة الحجر الصافية ، أما أنا فمن وخز الشوك وحرقة الكبد [1]

---

(١) النص الفارسى هو :

بخنده گفت ، ميان من وتو فرق بسى است

توئى ز دست شهى ، من ز پاى كارگرى

براى همرهى واتحاد باچـــوى مى

خوش است اشك يتيمى وخون رنجبرى

تواز فراغ دل وعشرت آمدى بوجود

من از خميدن پشتى وزحمت كمرى =

وكأن پروين تريد القول بأن قدم الحطاب على الرغم مما بها من جروح وتشققات ، أفضل بكثير من يد السلطان الناعمة الملمس الجميلة المنظر المزدانة بالجواهر ، ولكنها لم تنغمس ذات يوم فى عمل مفيد للشعب ، وبناء للوطن .

* * *

لم تكتف پروين بالتهجم على الملوك والتهكم عليهم ، بل قدمت لهم النصح أيضاً فقد وضحت لهم كيف يكون السلطان عادلا مع رعيته مراعيا أمور أمته ، مراقبا لولاته ، حتى لا يتفشى ظلمهم بين مواطنيهم . كل هذه النصائح قدمتها فى صورة رسالة وجهها بزرجمهر الحكيم إلى الملك أنوشيروان، يجمل بنا أن نترجم معظم أبياتها :

— كتب بزرجمهر إلى أنوشيروان قائلا : تتم سعادة الخلق ، وتتحقق أمانيهم بفضل السلطان .

— إن يجتهد الملوك فى تعمير المملكة ، فما الحاجة لتعمير البلاط ؟

— لم يحطون من تعب المساكين المتواصل ؟ ولم يضاعفون بالظلم المال والجاه ؟

= ترابه مطبخ شه ، پخته شد هميشه طعام
مرابه آتش آهى وآب چشم ترى
— تو از فروغ مى ناب ، سرخ رنگ شدى
من از نكوهش خارى وسوزش جگرى
(قطعة رقم ١٨٧).

— إن كنت معوج السير ، فلا تـأمل الآخرين الاستقامة ، فإن يروا منك خطأ واحدا يرتـكبوا مائة جريرة .

— إن توفر لدى جيشك العقل والرأى والعدل وفن الهجوم ، فإن جيش الشيطان يخشى هذا الجيش .

— أرسل بنفسك رد رسالة المظلوم ، فـكثيرا ما يخطىء كتابك .

— إذا كان الفلك قد أودع زمام الأمور فى يدك ، فلم يشرف الأخرون على أمور الخلق ؟

— إن تبخل بالنظر ذات يوم إلى دفتر الحـكام ، فإنهم يسودون ألف دفتر من دفاتر الإنصاف .

— إن يصبح القاضى سارقا ، والمفتى لصا ، فهما يمهلان الـكاذب والمسىء شاهدين .

— لن يحمل الحاسدون الأقوياء تظلم الضعيف الراغب فى الإنصاف ، إلى مسامع السلطان .

— ابتعد عن التـكبر والعجب ، فهذان الشريكان قد اتفقا على إتلاف كل فرصة .

— لتخش آهة المظلومين ، فقد جلسوا فى جوف الليل ، وكلهم نفور من السلطان .

— إن يرتـكب السلطان المظالم ، فإن الخلق أملا فى النجاة ، يحسبون الليل والنهار والعام والشهر .

— فلا تـكن هكذا ، وإلا فقد كمن ألف لص فى طريقك وسينقضون على موكبك .

— لاتغفل ؛ حتى لاتلوى السماء أذنك   فهذا العمل يحدث دائما لجذب الانتباه[١]

---

(١) النص الفارسي هو :

نامه به نو شيران

بزرگمهر به نوشیروان نوشت که خلق
زشاه ، خواهش امنیت ورفاه کنند
شهان اگر که به تعمیر مملکت کوشند
چه حاجت است که تعمیر بارگاه کنند
چرا کنند کم از دسترنج مسکینان
چرا به مظلمه ، افزون بمال وجاه کنند
چوکج‌روی تو، نبویند دیگران‌ره راست
چویك خطا زتو بینند ، صدگناه کنند
به لشکر خرد ورای وعدل وعلم گرای
سپاه اهرمن ، اندیشه زین سپاه کنند
جواب نامهٔ مظلوم را، تو خویش فرست
بسابود ، که دبیرنت اشتباه کنند
زمام کار ، بدست توچون سپرد سپهر
بکار خلق ، چرا دیگران نگاه کنند
اگر بدفتر حکام ، ننگری یك روز
هزار دفتر انصاف را سیاه کنند
اگرکه قاضی ومفتی شوند سفله ودزد
در وغگو وبد اندیش را گواه کنند
بسمع شه نرسانند حاسدان قوی
تظلمی که ضعیفان داد خواه کنند

لوقدر لكل حاكم أن يضع هذه النصائح الغالية قلادة فى صدره يستلهم منها النصح والإرشاد لما فسدت الدنيا ، ولصلح حال الرعية على الدوام ، ولحظى الحاكم بحب شعبه له . ولكن يبدو أن الحاكم الظالم لا يستجيب لنصح ولا يستمع إلى إرشاد ، لذا فإن پروين تدعو إلى الثورة على مثل هؤلاء الحكام الظالمين وسفك دمائهم عقابا لهم على سفك دم الأبرياء ، ولكى يكون قتلهم عبرة لمن يأتى من بعدهم من الملوك فقالت ماترجمته :

— سيتحرر هؤلاء المقيدون من قيد العبودية إن يحركوا أجنحتهم شوقا إلى الخلاص .

— لن يتحمل اليتيم والعجوز هذا القدر من الألم ، إن يضرموا النار فى منزل المغير .

— لن يقتل الخلق بأمر السفلة الجائرين ، إن يسأل الابن عن قاتل أبيه.

— ما أثمرت ولا أورقت شجرة الظلم والجور مطلقا ، إن تضربها يد المجازاة بالفأس .

= بپوش چشم ز پندار وعجب کاین دو شریك
برآن سرند ، که تا فرصتی تباه کنند
بترس زاه ستمدیدگان ، که در دل شب
نشسته اند که نفرین بپادشاه کنند
چوشاه جور کند ، خلق در امید نجات
همی حساب شب وروز وسال وماه کنند
هزار دزد ، کمین کرده اند بر سر راه
چنان مباش که بر موکب توراه کنند
مخسب ، تا که نپیچاند آسمانت گوش
چنین معامله را بهر انتباه کنند
(قطعة رقم ١٩٢)

ـ إن يصاب سيء الطوية على المقصلة ، فلن يحل محله من هو أسوأ منه في الجبروت [1] .

وإذا كانت پروين قد طالبت بسفك دم الظالم الحاكم ، فإنها قد وجهت عتابا مريرا إلى كل من يقع عليه ظلم الحكام ، ولا يثور لكرامته واسترداد حقه ، ودك حصون الطغاة فقد قالت :

ـ إلى متى تفقد روحك تحت وهج الشمس أيها الكادح ؟ وإلى متى تريق ماء وجهك من أجل لقمة العيش أيها الكادح ؟

ـ لاجزاء لك إلا التوبيخ والعقاب من كل هذه الذلة ، التي تراها من الشمس والتراب والرياح أيها الكادح .

ـ سل عن حقوقك المهضومة ، فما أكثر خوفك من كل سلطان وصاحب منزلة أيها الكادح .

(١) النص الفارسي هو :

ز قيد بندگى ، اين بستگان شوند آزاد
اگر بشوق رهائى ، زنند بال وپرى
يتيم وپيره زن ، اينقدر خون دلى نخورند
اگر بخانه غارتگرى فتد شررى
بحكم ناحق هر سفله ، خلق را نكشند
اگر ز قتل پدر ، پرسشى كند پسرى
در خت جور وستم ، هيچ برگ وبار نداشت
اگر كه دست مجازات ، ميزدش تبرى
اگر كه بدمنشى را ، كشند بر سر دار
بجاى او ننشيند بزور اوو بترى
قطعة رقم ١٨٧)

- واسفك كزال (١) دماء كل أولئك الذين امتصوا دماءك ، ثم خضب بهذا الدم يدك وقدمك أيها الكادح .

- فى رواق العلم يتواجد الأمراء وأولادهم ، فماذا تريد أنت فهمه من الكتاب ، أيها الكادح ؟

- ونافذ كل ما يكتبه الحكام فى هذا الدفتر ، لأن أحدا لا يحاسبهم أيها الكادح (٢) .

* * *

---

(١) زال والد رستم بطل إيران إبان العصر الأسطورى ، وكان نصير الشعب الإيرانى ضد كل ظالم وبخاصة أعداء الإيرانيين من الطورانيين .

(٢) النص الفارسى هو :

تا بكى جان كندن اندر آفتاب اى رنجبر
ريختن از بهرنان از چهره آب اى رنجبر
زينهمه خوارى كه بينى ز آفتاب وخاك وباد
چيست مزدت جز نكوهش باعتاب اى رنجبر
از حقوق پايمال خويشتن كن پرسشى
چند ميترسى ز هرخان وجناب اى رنجبر
جمله آنان را كه چون زالو مكندت خون بريز
وندر آن خون دست وپائى كن خضاب اى رنجبر
در خور دانش اميرانند وفرزندانشان
تو چه خواهى فهم كردن از كتاب اى رنجبر
هرچه بنويسند حكام اندرين محضر رواست
كس نخواهد خواستن زيشان حساب اى رنجبر

(قطعة رقم ٦١)

ويرى بيرتلس أن هذا الاتجاه يعد اتجاها جريئا ، وأنه كلام شجاع يجرى على لسان امرأة ، ما سمع قط مثله من امرأة قبل ذلك الوقت [١] .

ولكن الملاحظ أن پروين كانت جرأتها محدودة ، حقيقة أنها هاجمت الظلم والظالمين . ولكنها لم تجرؤ على ذكر أحد معاصريها بالاسم وتخصه بهجومها ، وعوضاً عن ذلك لجأت فى هجومها إلى التعريض بحكام ايرانيين اتسموا بالجور والظلم خلال العصور التاريخية القديمة . وليس هذا عيبا ، فكون پروين امرأة جعلها تخشى مجابهة الظالمين صراحة حتى لاتتعرض لأى مضايقات سياسية ، فقد كانت بطبيعتها تكره السياسة والانخراط فيها لأنها تسبب لمحترفيها الهموم والاضطراب ، فقد قالت ما ترجمته :

ـ أين العارفـــون ببواطن الحكم والسياسة ؟ إن أساسهما الهموم والاضطراب ، أيها الكادح [٢] :

* * *

(١) Bertels. Otcherk Ostari Persidoskoy Literaturi, Leningerad 1928, p. 163

(٢) مردم آنا نند كو حكم وسياست آگهند
كارگر كارش غم است واضطراب اى رنجبر
(قطعة رقم ٦١)

تعليق عام على الشعر الاجتماعى .

لقد لاحظنا بعد هــــذا العرض أن الجانب الاجتماعى قد حظى بعظيم الاهتمام من الشاعرة وحسن رعايتها . ولم تقتصر فى حديثها على مايهم المرأة من مواضيع اجتماعية كالأمومة والطفولة ومكانة المرأة فى المجتمعات الشرقية بل تعدته إلى معظم جوانب الحياة الاجتماعية فى عصرها . تناولت هذه الجوانب باهتمام بالغ وبنظرة تتسم بالواقعية وعمق الفهم . .

ولقد كان اهتمامها هذا ، وواقعيتها من أهم الأسباب التى رفعت من قدرها بين شعراء عصرها ، وجعلت النقاد يهتمون بدراستها والتعليق على شعرها ، ثم إعلاء مكانتها لكونها أول امرأة بين شاعرات الفرس تخوض غمار هذا المجال ، وتجعل ديوانها فى خدمة مجتمعها ، ولذا فهى تعد مصلحة اجتماعية من الطراز الأول ، مصلحة اتسمت بأنها عاشت مشاكل شعبها وفهمتها ، فأخذت تنادى بالإصلاح ، دون أن تتسم دعوتها الاصلاحية بأى شطط أو بعد عن الواقع الذى يعيشه مجتمعها . .

ولعل كون دعوتها الإصلاحية هذه نابعة من وجدان الشعب وضميره وأحاسيسه هى التى جعلت الجميع يقبلون على ديوانها يقتنونه حتى وصل عدد نسخ طبعاته الخمس إلى ثلاثة وخمسين ألف نسخة ، وذلك لأن كل إيرانى مثقف شعر بأن الشاعرة تتكلم عنه وعن أحاسيسه فأقبل على ديوانها يقتنيه ويسعد بقراءته . .

* * *

(الشعر الأخلاقى)

كان الديوان بالنسبة لپروين كالمنبر بالنسبة للخطيب، فقد وقفت الشاعرة بين أبياته توجه نصحها وإرشادها ، داعية الخلق جميعا للتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأن تكون المثالية الأخلاقية هى السمة التى تقسم بها طباعهم وأن تكون صلة الإنسان بأخيه قائمة على الاحترام والإكبار ، لا على التكبر والغرور والعجب ، وأن تكون نفس الإنسان قانعة راضية بما وهبنا الله من نعم وفضل ، دون جشع أو طمع ، وأن يكون الإنسان يقظا حذرا ، متجنبا وساوس الشيطان وإخوان السوء . . . إلى غير ذلك من الأخلاقيات التى تسمو بالأفراد والمجتمعات ، وهى فى كل ذلك تبغى الصالح العام ومصلحة الأفراد ، حتى ولو تشددت فى نصحها أحيانا ، وفى هذا تقول ما ترجمته :

— لا تضجر إن كنت أنصحك نصحا مرا ، وتذكر أن المرارة صفة الدواء [1] .

وهذه بعض مبادىء الأخلاق التى دعت إليها پروين فى شعرها :

١ — التخلى عن التكبر والغرور والعجب :

كثيرا ما نفرت پروين من التكبر والغرور ، ولعل حديثها فى هذا الخصوص يفوق حديثها عن أى مبدأ أخلاقى آخر ، وقد اعتبرت العجب

(١) الأصل الفارسى هو :

گرچه تلخ میدهمت ترشرو مباش
تلخى بياد آر كه خاصيت دوا

(قصيدة رقم ٩)

والغرور والتكبر مظاهر سلوك تؤدى إلى هلاك الإنسان وسقوطة من أعين الناس ، وإذا كنا جميعا من طين واحد ، فما الداعى للتكبر والغرور ، بل على الإنسان أن يعرف قدر نفسه ، دون أن يباهى الناس بفضل منحة الله إياه ، وليعرف أن كل إنسان مهما صغر أو كبر له مكانته وقدره ، وقد تناولت پروين التنفير من التكبر والغرور والعجب فى كثير من أبيات قصائدها وكذلك فى حكاياتها وقطعها . .

فقد نظمت حكاية تتحدث عن عالم يسخر من جاهل ويزهو عليه بعلمه وفنه ويقول له كل من كان على شاكلتك لا يشترى بنصف دانق ، أما نحن فلنا مكانتنا وتقديرنا ، ويتهافت الخلق على صداقتنا ، فعرف الجاهل من كلامه مقدار مايتملكه من غرور وتكبر ، وأنه لم يفد عن علمه بل إن الجاهل فى هذه الحالة أفضل منه . ومما قاله الجاهل ماترجمته :

— العجب بناء جد منخفض ، بلا عتبة ، وبلا سقف ، وبلا باب .

— لا تعتبر نفسك عبثا بلا نظير ، فلأم الدهر أبناء عديدون.

— أى معرفة لدى المتكبر المغرور ، وأى ثمار وأوراق لغصن العجب ؟

— لقد عرفت من الحديث مقدار كلامك ، وهو أن هذا السفط خال من كل جاف ورطب .

— لا بريق لنور العلم لديك ، فكل ما لديك غرور غير مثمر .

— إذا كان هــــذا فضل أهل العلم ، فهنيئا لمن كان من غير أهل العلم [1] . .

وكما لا يتفق التكبر والعلم ، لا يتفق التـكبر والزهد أيضا ، فالزاهد يجب أن يتصف بالتواضع ، لأن التواضع وثيق الصلة بالزهد أما إذا تـكبر الزاهد وتعالى ، فقد ضاع زهده ، وفقد احترام الناس ، لأنه أصبح بعيدا كل البعد عن الزهد بمعناه الحقيقي ، ولقد وجد زاهد بمدينة شيروان ، وكانت سمعته تملأ الآفاق ، كما كان في مقدوره شفاء كل مريض وذات يوم جاءته أمرأة عجوز من بلاد الصين تطلب منه الشفاء لعينها التي حرمت نعمة الإبصار ، وزادت العجوز من توسلاتها ، ولـكن الشيخ لم يأبه بها ، ولم يستمع إلى توسلاتها وواصل سجداته ، وما أن انتهى حتى بدأ يظهر ، كل ما في جعبته من غرور وتـكبر ، فتملك الغضب العجوز ، وقالت ما ترجمته :

---

(١) النص الفارسي هو :

چون بنائی است بست ، خود بینی
که نه اش پایه ونه بام ودر است
خویش را خیره . ـــیر مدان
مادر دهر رابسی پسراست
خویشتن خوه ر چـه معرفتست
شاخه عجب را چه برگ وبراست
از سخن گفتن تو دانستم
که نه خشك اندرین سبد ، نه تراست
در تو برقی ز نور دانش نیست
همه باد بروت بی ثمر است
اگر این است فضل اهل هنر
خنکا آن کسی که بی هنراست
(قطعة رقم ٦٤)

— قالت له : ما هذه السجدة ؟ وما هذا التسبيح؟ لابد من البكاء عليك وعلى أفعالك .

— قد أسرعت والعجب فرسك ، ومضيت مضيعا حملك ومتاعك .

— أحرقت أطرافك بنار العجب والغرور ، فاحترقت كل هذه الورود بنار شوكة واحدة .

— لم أصبحت نفسك عنيدة محتالة ؟ ولم أصبح زهدك إيمانا في الكفر ؟

— الطاعة بلا صدق وصفاء ست إلا عدما ، وليس كل هذا إلا رياء ومراءاة [1] ..

• • •

كما نظمت پروين كثيرا من الحكايات الرمزية على ألسنة الحيوان والطير والنبات تنفر فيها من العجب والغرر ، ومنها حكاية تدور حول الحكمة القائلة : رحم الله امرءا عرف قدر نفسه ، وبطلا هذه الحكاية فيل ونملة ، فقد رأت النملة فيلا وأعجبت بمنظره وقوته ، وقالت محدثة نفسها : لم لا أكون مثل الفيل في القوة والقوت ، كفي ما أتحمله من ألم وتعب في سبيل الحصول على الغذاء . فسمعها الفيل ونصحها بعدم السير وراء الهوى والغرور وإلا هلكت إذا مااقتربت منه دون أن يشعر بوجودها تحت قدمه، ولكنها لم تمتثل للنصح،ومأأن خطت أول خطوة حتى سقطت أسفل قدم الفيل،

(١) النص الفارسي هو :
گفت اين سجده و تسبيح چيست   بر توا وكردار تو ، بايد گريست =

وهكذا زهقت روحها نتيجة لتكبرها وعدم معرفتها بقدرها ، وقد قالت پروين تعليقا على هذه الحادثة ماترجمته :

— الروح بلا تكبر كالذهب الخالص ، أما العجب فنار وأى نار

— لقد أصبحنا فتيلا لهذه الشعلة المتوهجة ، لأننا أشعلنا بأطرافنا نار العجب .

— أصبحنا جميعا فى جوار هذه النار ، فتحولنا إلى رماد، وذلك قبل أن يدركنا الماء .

— حمل كل إنسان قدر طاقته ، وحذاء كل فرد بحجم قدمه [١] .

• • •

= عجب ، سمند توشد وتاختى ‌ ‌ ‌ رفتى وبار وبنه انداختى
دامنت از اخگر پندار سوخت ‌ ‌ ‌ آنهمه گل، زاتش يك خارسوخت
نفس‌تو، چون خود سر ومحتاله شد ‌ ‌ ‌ زهد تو،چون كفردوصد ساله شد
طاعت بى‌صدق وصفا ، هيچ نيست ‌ ‌ ‌ اينهمه جوروى وريا ، هيچ نيست
(مثنوى رقم ١١٧) .

(١) النص الفارسى هو .

روح بى پندار ، زر بى غش است
آتشست اين خود پسندى، آتش است
پنبهٔ اين شعلهٔ سوزان شديم
آتش پندار را دامان زديم
جملگى همسايهٔ اين اخگريم
پيش اوآن كآبى رسد خاكستريم
بارهركس ، در خور يارى اوست
موزهٔ هركس براى پاى اوست
(مثنوى رقم ٧٥)

وأقبح الناس خلقاً من يتكبر على صاحب الفضل عليه ، وذلك الإنسان هو من ينطبق عليه القول الحكيم « اتق شر من أحسنت إليه » أشارت پروين إلى هـذه الحكمة فى أكثر من حكاية ، إحداها تحكى قصة برعمة حديثة التفتح هالها أن تجد التراب الأسود فى جوارها فبدأت تسخر من هذا الجوار فأخبرها التراب بأنه صاحب الفضل عليها وعلى غيرها ولكنه مع ذلك لا يتكبر ولا يتعالى على غيره ، بل إنه راض بمكانته المتواضعة التى قسمها الله له . وهذه أبيات تحكى مضمون هذه الحكاية :

— فى الصباح قالت وردة حديثة التفتح مفعمة بالغرور ، لماذا كان التراب الأسود فى جوارى ؟

— ضحك التراب ، وقال : من المسلم به ، أننا لم نجالس بعضنا البعض عبثاً .

— الجميع نتاج هـذا التراب الأسود ، سواء فى ذلك النخيلة الجميلة أو الحديقة العطرة .

— الجميع أطفال مدرستى ، سواء فى ذلك الوردة أو الخضرة على جانبى النهر .

— كنت رداء لك أيام الشتاء ، وحين قوى عودك تخلصت من الرداء .

— لم أتصف بشىء غير التواضع ، مع أن الحديقة تستمد جمالها منى .

— أنت مغرورة بحسنك ، ألم تسمعى أن الفلك عربيد ؟

— إن كنت أنا معتماً عديم القيمة ، فكل ما استحسنه الخالق جميل طيب .

— لن ينمو الورد بلا تراب ، وحيثما وجد التراب ، وجد الورد .

— وفى النهاية سنصبح كلنا تراباً مثل ذلك التراب الموجود بالطريق والحارة[1] .

* * *

(١) الأصل الفارسي هو :

صبحدم ، تازه گلی خود بین گفت
کازچه خاك سیهم در پهلوست
خاك خندید که منظوری هست
خیره باهم ننشستیم ، ای دوست
همه ازدولت خاك سیه است
که چمن خرم وگلشن خوشبواست
همه طفلان دبستان منند
هر گل وسبزه که اندراب جواست
پوستین بودمت أیام شتا
چوشدی مغز ، رهاکردی پوست
جز تواضع نبود رسم ورهم
گرچه گلزار زمن چون مینواست
تو ، بدلجوئی خود مغروری
نشنیدی که فلك ، عربده جواست
من اگر تیره وگر ناچیزم
هرچه راخواجه پسند ، نیکواست
گل بی خاك نخواهد روئید
خاك ، هرسوی بود ، گل زانسواست
همگی خاك شویم آخر کار
همچوآن خاك که در برزن وکواست

(قطعه رقم ١٧٥)

٢ — التخلى عن الطمع والتحلى بالقناعة :

الطمع فى رأى پروين مهلكة وأى مهلكة فالإنسان الذى يسلك طريق الطمع ، سرعان ما يصرعه طمعه ويقضى عليه ، فعلى الإنسان أن يحتاط لنفسه ، وأن يباعد بينها وبين الجشع والطمع ، لأن الطمع كداء بلا دواء ، وهذا الداء يقضى على العقل ، فقد قالت پروين ما ترجمته :

— لا تجعل نفسك صريع الطمع ، فليس كل داء يرجى له الشفاء .

— من شدة الحرص والطمع بليت لحمة العقل كاضطربت خيوط السدى.

- كن ذا همة واجنح نحو أفضل الأعمال ، حتى لا يصبح حانوت الطمع متجراً لك .

- تجارة العجب والطمع أساس الفساد ، فآه من تلك اللحظة التى يقبل الشراة عليها[1] . .

---

(١) النص الفارسى هو :

خويش را دردمند آز مكن
كه نه هر درد را اميد دواست
(قطعة رقم ١٥٨)

جامهٔ عقل زبس در گرو حرص بماند
پود پوسيد وبهم ريخته شد تارى چند
(قصيدة رقم ١٧)

همت كن ، وبه كارى اوين فيكتر گراى
دكان آز بهر تو دكان نميشود
(قصيدة رقم ١٩)

سودمان عجب وطمع دكه وسرمايه فساد
آه ازآن لحظه كه آيند خريدارى چند
(قصيدة رقم ١٧)

وإلى جانب التنفير من الطمع فى هذه الأبيات المتفرقة وفى غيرها، حاولت پروين أن ترغب فى القناعة وضرورة التحلى بها ، وتعلى من قدر ذلك الرجل القنوع الذى لا يتخلى عن قناعته مهما كانت وسائل الإغراء . فقد عرض كنز نفسه على مسكين وقال له : كفاك ما قاسيت من ألم وتعب بالحياة ، لقد منحتك السماء كنزاً ، فحز لنفسك قصراً عظيماً ، فرفض المسكين الكنز وكان مما قاله ، ما ترجمته :

- قال (القانع) : يا صديق ، لن يكون نصيبى من الكنز غير المحنة والألم . .
- الأفضل لك أن تبحث عن طموح جرىء ، لأن قلوبنا خالية من الرغبة .
- إذا قيدنا شيطان الطمع ، فلم الغم لو قيد شيطان الفلك أيدينا ؟
- إذا كان كل كنز فى حراسة ثعبان ، فأنا غير طامع فى الكنز ولا فى الثعبان .
- وإذا كثر الذهب بالمنزل ، فسيأتيه اللص من الباب أو الجدار .
- قد ذبل جسدى ولم تذبل روحى ، ولن أطلب شيئاً من إنسان مادمت لم أتحول إلى عدم .
- الأفضل أن يكون سحر الشيطان بلا تأثير ، والأفضل أن تقيد عدوى النفس بالسلاسل .
- أنا لا أخشى الطريق ولا قطاعه ، لأننى خالى الوفاض من الدينار[١] .

ومن الحكايات الطريفة التى ساقتها پروين لتسخر من الطمع والجشع ، حكاية قاضٍ حديث العهد بالقضاء دفعه حرصه وطمعه إلى أن ارتكب

جريمة قتل عندما رفض أحد المتقاضين دفع رشوة لأنه لا يملكها ، وكان هذا القاضى الحديث العهد قد ذهبت إلى مجلس القضاء نيابة عن أبيه القاضى الذى أقعده المرض عن الذهاب إلى مجلس القضاء ، وهذه ترجمة لأبيات من المثنوى تحكى هذه الحكاية الطريفة :

- أصاب البوار تجارة المكر ، طوال المدة التى قعد فيها القاضى عن الكسب والعمل .
- ولم يحضر أى شخص رسالة أخرى، تحوى حملا، سكراً، ديكا، أو رداء .
- وما تواجد أحد قط على بابه فى منتصف الليل ، وما أحضر له أى إنسان كيس ذهب .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

بگفت اى دوست ، مارا حاصل از گنج
نخواهد بود غير از محنت ورنج
ترا بهر كه جويد نام جوئى
كه مارا نيست در دل آرزوئى
چوما بستيم ديو آز را دست
چه غم گرديو گردون دست مابست
چوشد هرگنج را مارى نگهدار
نه اين گنجينه ميخواهم ، نه آن مار
چو زر گرديد اندر خانه بسيار
گهى دزد از در آير ، گه‌ز ديوار
ز تن ز ان كاستم كاز جان فكاهم
چو هيچم نيست ، هيچ از كس نخواهم
فسون ديو ، بى تاثير خوش تر
عدوى نفس ، در زنجير خوشتر
هراس راه وبيم رهزنم نيست
كه دينارى بدست ودامنم نيست

(مثنوى رقم ٧٣)

- ولم يحضر له أى بزار بخيل ، ثوباً كشميريا تحت إبطه .
- ولم يضع أى تاجر غشاش ، ذهباً تحت مسند القاضى طلباً للصمت .
- وحينما خارت قواه ، وزاد ضعفه ، نادى ابنه المثول أمامه .
- وقال : هكذا أغلقت الأيام متجرى ، ولم تعد لى قدرة على القيام بأى عمل .
— فاجلس أنت مكان أبيك ، واحمل من بعدى كل ما حملته .
— لقد مرت أيامى سعيدة مما صدته من الخلق ، فانشر شباكك يابنى ، كما نشرتها أنا من قبل .
— وأعط الحق لمن تعرفه غنياً ، حتى ولو كان الحق فى جانب الفقير المعدم .
— وتقبل حديث الظالم مهما قال ، وخذ كل ما تريده من المظلوم .
— واجتهد فى رواج عملك مثلما فعلت ، واحلب كل من تراه باللبن غنياً
— قال : حقاً ، سوف أسوس العدالة جيداً ، كما سأخدم كل إنسان حسب مكانته .
— ومرت ساعات الصباح وقد جلس بالمجلس ، ثم عاد مساء ، وقد تخضبت يداه بالدم .
— قال : حينما ذهبت إلى المجلس فى الصباح ، أقبل من الطريق غلام مزارع .
— كان نافراً من أتباع المعدة ، وقال : إنهم قد اعتدوا على مساء بالقصر .

— لقد خربت دارى من جورهم ، وأصيب طفلى ذو الأعوام الستة بالجنون بسببهم .

— سرقوا سمنى ، وأحرقوا حصادى ، قتلى حملى ، وأشعلوا النار فى ماعزى .

— لو كان هذا المجلس من أجل العدالة ، فلا بد من رؤية أى ظلم هذا وأى تعنت .

— فقلت : تخل عن هذا التفكير المحال ، فإن ترغب فى الإنصاف فلتدفع ذهباً .

— قال : إننى لا أتقاضى ديناراً واحداً عن عملى ، فقلت له : لا أقل من مائة دينار .

— هكذا قلت : ادفع ، وقال هو : لا . هكذا رحل ، ومضيت أنا فى إثره .

— حين أغلظ لى القول قتلته، وانتهت القصة فلا تغضب نفسك ؛ يا أبت !!

— لقد طلبت أنت الذهب ، وهو لا يملكه ، لذا لم يكن لأحاديثه نتيجة أخرى(١) .

---

(١) النص الفارسى هو :

مدتى ، قاضى ز كسب وكار ماند
آن متاع زرق ، بى باوار ماند
كس نيآورد ديگر نامه اى
برهاى ، قندى ، خروسى ، جامه اى
نيمه شب ، ديگركسى بر در نبود
صحبتى ازبدره هاى زر نبود =

= بر نمیآورد بزاز دغل
طاقهٔ کشمیری ، از زیر بغل

زر ، دگر ننهاد مرد کم فروش
زیر مسند ، تا شود قاضی خموش

چون همی نیروش کم شد ، ضعف بیش
عاقبت روزی ، پسر را خواند پیش

گفت ، دکان مرا ایام بست
دیگرم کاری نمیآید زدست

تو بمسند برنشین جای پدر
هرچه من بردم ، تو بعد از من ببر

خوش گذشت ازصید خلق ، ایام من
ای پسر ، دامی بنه چون دام من

حق برآنکس ده که میدانی غنی است
گر سراپا حق بود مفلس ، دنی است

حرف ظالم ، هرچه گوید می پذیر
هرچه از مظلوم میخواهی بگیر

در رواج کار خود ، چون من بکوش
هرکه را پر شهد تر بینی ، بدوش

گفت آری ، داوری نیکو کنم
خدمت هرکس بقدر او کنم

صبحگاهان رفت ودر محضر نشست
شامگه برگشت ، خون آلوده دست

گفت ، چون رفتم بمحضر صبحگاه
روستائی زاده‌ای آمد ز راه =

٣ — تجنب الرياء والتظاهر :

يجمل بالإنسان أن يكون واضحاً صريحاً فى تصرفاته بعيداً عن التظاهر والنفاق فى علاقاته ولهذا دعت پروين الجميع لكى يتخلوا عن النفاق والرياء وأن يبدى الإنسان ما يكن فى قلبه ، ولقد جاءت هذه الدعوة فى صورة أبيات متفرقة بين القصائد على وجه الخصوص ، فقد قالت پروين ماترجمته :

= كرد نفرين بركسان كدخداى
که شبانگه ریختندم در سرای
خانه‌ام ازجورشان ویرانه شد
کودك شش ساله ام ، دیوانه شد
روغنم بردند وخرمن سوختند
بره‌ام کشتند وبز بفروختند
گر که این محضر برای داوری است
دید باید ، کاین چه ظلم وخود سری است
گفتم این فکر محال از سر بنه
داوری گرنیك خواهی ، زر بده
گفت ، دیناری مرا در کار نیست
گفتمش ، کمتر ز صد دینار نیست
من‌همی گفتم بده ، اوگفت نی
اوهمی رفت ومنش رفتم زپی
چون درشتی کرد بامن ، کشتمش
قصه کوته گشت ، رو در هم مکش
چونکه زر میخواستی وزرنداشت
گفته‌های او اثر دیگر نداشت
(مثنوی رقم :١٨٩)

- كتاب الرياء بلا ورق ولا كتابة ، كما أن شجرة الهوى بلا جذر ولا أغصان .

- ماذا يعود عليك من بذر بذور النفاق والرياء ، وأى نفع تجنيه من تضخم كيس اللصوصية[١] .

كما سخرت پروين من أولئك الذين يدعون الزهد ويرتدون ثياب الزهاد وقلوبهم بعيدة كل البعد عن الطهر ، فقد قالت :

- يقبل العوام يدك وأنت أسير النفاق ، ويسميك الخواص أسداً وأنت تخشى القط[٢] .

كما سردت پروين قصـــــة ثعلب ادعى أنه تخلى عن مكره وخداعه واعتدائه على الطير الضعيف وافتتح محلا لحياكة الأردية ، فمرت بمتجره دجاجة فدعاها لزيارة المتجر وقد خدعها بأنه سيبيعها ذيله الجميل . وما أن

(١) البيتان الفارسيان هما :

چو كتابيست ريا بى ورق وبى خط

چو درختيست هوى بى بن وبى أغصان

(قصيدة رقم٣١)

چه نصيبت رسد از كشت دوروئى وريا

چه بود بهره ات از كيسه طرارى چند

(قصيدة ١٧)

(٢) البيت الفارسي هو :

عوامت دست ميبوسند وتوپا بند سالوسى

خواصت شير ميخوانند وتواز گربه ترسانى

(قصيدة رقم ٤٠)

دخلت المتجر لترى الذبل حتى انقض عليها والتهمها، وقد قالت پروين ما ترجمته :

— خدعت الدجاجة بهذا المكر ، ومضت إلى مسكن الثعلب .

— ليتها علمت أن الثعلب جائع ، وأن ذلك ليس متجراً ، بل هو متجر الرياء .

— ما أن فتحت فمها تساوم حتى أسالت مخالب الثعلب الدم من عنقها[1] ..

وقد تحدثت پروين عن الرياء ، ونفرت منه ، لأنها بطبيعتها كانت تكره الرياء والتظاهر ، وكان ظاهرها كباطنها دواماً ، فقد قالت عنها ناظرة مدرستها مسز شولر : « من الصفات البارزة التى كانت تميز هذه الفتاة الفاضلة والتى تسترعى النظر أكثر من غيرها صداقتها وصراحتها ، ولم يتوفر لدى أى شخص على الإطلاق ما كانت تتمتع به فى هذا الخصوص فهى لم تدع الصداقة مطلقاً ، كما لم تكتب عن فكرة أو عقيدة قط إلا وكانت تؤمن بها وباصطلاح الإيرانيين كان قلب پروين مرآة صافية ، وكان يعكس شخصيتها الحقيقية فقط .... »[2] ..

---

(١) النص الفارسى هو :

ماكيان را آن فريب از راه برد
راست اندر تلهٔ روباه برد
كاش ميدانست روبه ناشتاست
وان نه دكان است ، دكان ريا است
تادهن بگشود بهر چند وچون
چنگ روباه از گلويش ريخت خون
(مثنوى رقم ١٠١) .

(٢) مجموعهٔ مقالات . . ص : ٢٨ :

٤ — خير الناس أنفعهم للناس :

أفضل خلق الله من يعمل لتحقيق السعادة لغيره أولا ، ولنفسه ثانياً ، ويتحمل المتاعب والمشاق فى سبيل الآخرين ، ويكون فى أخلاقه إيثار لمصلحة البشرية جمعاء ولو على حساب نفسه ، وقد قالت پروين على لسان حبة لوبيا توجه الحديث إلى حبة فاصوليا :

— مع أننا فى تعب ومشقة ، إلا أننا سعداء لأن الخلق فى احتياج إلينا[1] .

كما قالت وهى تتحدث عن الليل :

— لقد ظل الحارس يقظاً ، وما أجمل الاستيقاظ من أجل النائمين[2] .

وقد تحدثت پروين عن ذلك الإنسان الذى يعطى الخلق كل اهتمامه ، وجهده ، وقالت إن مثل هذا الإنسان هو من يستحق صفة الطهر ، وقد

---

(١) البيت الفارسى هو ،

گرچه در زحمتیم ، باوخوشیم
که بما نیز ، خلق راست نیاز
(قطعة رقم ١٤٨)

(٢) البيت الفارسى هو ،

عسس بیدار ماند ، آری چه نیکوست
برای خفتگان ، بیدار بودن
(قطعة رقم ١٢٨) .

قالت پروين فى حق هذا الإنسان الطاهر قصيدة كاملة ، هذه ترجمتها :

— هل تعلم من ذا الذى يستحق صفة الطهر ، إنه من لم يدنس الوجود الطاهر .

— ولا يبلى روحه السامية فى مصائب الجسد الحقير الذليل .

— الغرور والعجب لصان ، لذا فهو لا يسلك معهما طريقاً قط .

— لا يستريح فى حياته مطلقاً ، حتى يوفر سبل الراحة للخلق .

— هو الذى يتخلى عن الغرور ، فى ذلك اليوم الذى يعلو فيه نجمه .

— وهو الذى لا ينمى ماله وجاهه ، والآخرون جائعون مساكين .

— وإذا أصبح مفتياً وحاكما فى محكمة ، فإنه لا يحكم بالهوى ، حتى ولو رأى الذهب .

— ولا يقيم لنفسه سقفاً مرتفعاً ، حتى يخلع على العارى رداء .

— ولا يحمل أذيال طفله ، ما دام يرى طفلا يتيماً .

— فإن تجد إنساناً بهذه الصفات ، لجاز لك أن تخلع عليه اسم « الملاك »[1] .

---

(١) النص الفارسى هو .

دانى كه را سزد صفت پاكى
آنكو وجود پاك نيالايد
در تنگناى پست تن مسكين
جان بلند خويش نفرسايد
دزدند خود پرستى وخود كامى
با اين دو فرقه راه نپيمايد=

وعلى النقيض من هـذا المـلاك يوجد البعض ممن يعيشون فى أبراجهم العاجية ، ولا يحاولون التخفيف من آلام الخلق ، بل على العـكس يحاولون الإضرار بهم ، وإلى هؤلاء تقول پروين :

— إن كنت لا تقبل الظلم لنفسك ، فلا تـكن على خصال العقرب وطبع الثعبان .

— لا تقبل الضرر لغيرك ما دمت لا تقبله لنفسـك ، ولا تحمل إنساناً حملا لا تستطيع أنت حمله .

— إن تحرق أطراف خلق الله ، فستمسك النار بثيابك وأطرافك .

— كل من استملح الإضرار ، أصابه الضرر ، وكل من حفر بئراً وقع فيها .

= تا خلق از و رسند بآسايش
هرگز بعمر خويش نياسايد
آنروز کاسمانش بر افرازد
از توسن غرور بزير آيد
تا ديگران گرسنه ومسکينند
برمال وجاه خويش نيفزايد
در محضرى که مفتى وحاکم شد
زر بيند وخلاف نفرمايد
تا بر برهنه جامه نپوشاند
از بهر خويش بام نيفرايد
تا کودکى يتيم همى بيند
اندام طفل خويش نيارايد
مردم بدين صفات اگر يابى
گر نام او فرشته نهى ، شايد
(قصيدة رقم ٢٠)

— إن ترغب فى ألا يلحق بقلبك ضرر ، فلا تصوب سهامك بلا سبب إلى قلوب الخلق(١) .

* * *

٥ — مجموعة أخلاقيات :

هناك بالديوان دعوة إلى عدة مبادىء أخلاقية غير التى ذكرتها ، وقد جاءت هذه الدعوة فى صورة أبيات متفرقة أو فى قطعة واحدة ، وأهم هذه المبادىء الأخلاقية ما يلى :

(١) الأبيات الفارسية هى :

گرستم از بهر خويش مى نپسندى
عادت كژدم مگير وپيشهٔ ثعبان
(قصيدة رقم ٣٠)

بكس مپسند رنجى كوبراى خويش نپسندى
بدوش كس منه بارى كه‌خود بردنش نتوانى
(قصيدة رقم ٤٠) .

دامن خلق خداى را چو بسوزى
آتشت افتد به آستين وبه دامان
(قصيده رقم ٣٠)

هركه آزار رواداشت شد آزرده
هركه چه كند در افتاد بچاه اندر
(قصيدة رقم ٢٢)

گر نخواهى كه رسد بردلت آزارى
بردل خلق مزن بى سببى نشتر
(قصيدة رقم ٢٢)

(أ) التنفير من الخمر والمخدرات :

— أيها الأدمى لتمعن النظر ، فقد وصلت إلى حد الضياع بسبب الخمر ووصلت إلى الخراب بسبب المخدر .

— إن تفقد كل شيء بالمنزل ، فلا عجب لأنهم يسرقون متاعك وأنت صريع الخمر .

— لم تعبر الحيـــاة هازلا ثملا ؟ ولم تجنح نحو السكر وتضحك العقلاء عليك ؟

— الهوى والحرص والسكر قرناء ، فأينما حـــلوا اتسم فعلهم بالسوء[1] .

---

(١) الابيات الفارسية هى .

تو آدمى نگر كه بدين رتبت
بيخود ، زباده است وخراب از بنگ
(قصيدة رقم ٢٥) .

درخانه گر كه هيچ ندارى شگفت نيست
كالات ميبرند وتو خوابيده‌اى مدام
(قصيدة رقم ٢٦) .

چرابا هزل ومستى بگذرانى زندگانى را
چرامستى كنى وهوشيارانرا بخندانى
(قصيدة رقم ٤٠)

هوى وحرص ومستى ، خواجه تاشند
سيه كارند ، در هرجا كه باشند
(مثنوى رقم ١١٣)

(ب) التنفير من الغيبة والنميمة :

شكا مشط ظلم الناس فى حديث وجهه للمرآة ، فردت عليه المرآة قائلة :

قالت له : كل من يحصى عيب شخص فى غيبته ، كان عدواً لكل قلب زانه ولكل وجه جمله[1] .

كما قالت وردة لشوكة تسخر من رائحتها .

— لا تعيبى الخلق كالمشط ، فهو يواجه الشعر ، ثم يعيب الإنسان فى غيبته .

— لنبتعد عن ذلك الشخص الذى يقتل الخلق بالإشاعات لأنه أسوأ الأشرار جميعاً[2] .

(جـ) التنفير من البخل :

— لا تجمع أمتعة البخل فهى غبار ودخان ، ولا تلق بإبرة الغضب ، فإنها تتحول خنجراً .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

گفتاهر آنكه عيب كسى در قفا شمرد

هر چند دل فريبدورو خوش كندءدوست

(قطعة رقم ٥٣) .

(٢) الأصل الفارسى هو :

چون شانه ، عيب خلق مكن مو بموعيان

درپشت‌سر نهند كسى راكه عيبجوست

وانكس كه نام خلق بگفتار زشت كشت

دورى گزين كه ازهمه بدنامتر هموست

(القطعة السابقة) .

— ذلك الذى أغلق بابه يوم الكرم ، لن يستطيع أن يفتح قفل باب الحق[1] .

(د) التنفير من الكذب والحث على قول الصدق :

— مزرعة الكذب لاتثمر ثمار الحقيقة ، كما أن هذا المجرى الجاف لن يصبح نبع الحياة .

— يجب التجرد بطناب الصدق من بئر الكذب والذلة والخسة .

— لاتخف حين تتكلم وقل مايجب أن يقال ، فما أقبح فعل السيف فى الغيام وقت النزال .

— قولى الحق ، يابروين ، ولم الخوف ، اذ لا يجوز إخفاء الحق من أجل الباطل[2] . .

---

(١) البيتان الفارسيان هما :

توشهٔ بخل میندوز که دود است وغبار
سوزن کینه مرتاب که خنجر گردد
(قصیده رقم ١٦)

آنکه درش ، روز کرم بسته بود
قفل در حق نتواند گشود
(مثنوی رقم ١١٧)

(٢) الأبيات الفارسية هى .

کشت دروغ بار حقیقت نمیدهد
این خشك رود چشمهٔ حیوان نمیشود =
(قصيدة رقم ١٩)

(ه) التنفير من الجريمة :

ألقى القبض على سافك دماء وزج به فى السجن ، ثم حكم عليه بالإعدام ، فما أن ترك وحيدا فى غرفة السجن المظلمة ودهمه الليل ، حتى أصابته حالة من صحو الضمير ، فندم على مافعل ، وتمثل له حبل المشنقة فزاد من خوفه واضطرابه ، فتمنى لو أنه لم يفعل ماارتكب من جرائم ، وهذه ترجمة عدة أبيات من هذا المثنوى الممتع :

— حدث سجين سيء الحظ نفسه ، وقد كبل بالقيود الثقال فى سجن مظلم .

— قال : أقبل الليل وانعدمت الرؤية ، كما أغلق الباب فى وجهى مرة أخرى .

— الأرض حجرية ، الباب حجرى ، الحائط حجرى ، وقد ضاق الفضاء والقلب والفرصة والعمل .

= از چاه دروغ وذل وبد نامی
باید طناب راستی رستن
(قصيدة رقم ٣٢)

وقت سخن مترس وبگو آنچه گفتنی است
شمشير روز معركه زشت است در نيام
(قصيده رقم ٣٦)

حقيقت گوی شو ، پروين ، چه ترسی
نشايد بهر باطل ، حق نهفتن
(قطعة رقم ١٢٨)

— لا تحسن نهاية مرتكب السوء مطلقا ، وليس له إلا هذا المكان المخيف المظلم .

— هكذا كانت نهاية سفك الدماء ، فالفتنة تتولد من إثارة الفتنة .

— إن ترغب العين فى النوم لحظة ، فإننى أرى المشنقة أحيانا والطناب أحيانا .

— فى اللحظة الأولى التى تكشف فيها فعلى الدنىء ، كانت يدى قد خضبت بالدماء .

— وقالت كل قطرة دم سفكت : لقد أرجعتنى إلى بداية الخليقة .

— وواريت ذلك السيف الملوث التراب ، فأظهره الله الطاهر .

— سيحملوننى لألقى جزائى من الزمن ، وسيحملوننى من هذه الأعتاب إلى أعتاب المشنقة .

— سيعصبون هذه العين الجسورة ، التى لوثت هذا القلب الطاهر النقى .

— سيجرنى الجلاد من هذه اليد ، سيجرنى قريبا منه .

— ستمسك بد بقفاى حتى تقيد يدى ، ثم أسحب وأعلق بمكان مرتفع .

— والآن أدرك أن من أراد الإضرار ، سيرى الضرر بذلك المكان المرتفع .

— ولن تتولد من هذه الرفعة إلا الخسة ، فليجنب الله كل شخص مثل هذه الرفعة .

— حينما أضع قدمى أجد أمامى ، من قتلته وقد سقط فى هذا المكان المظلم

— وذات ليلة دبت الروح فى ذلك الجسد الميت ، فوجه الاتهام لى فجأة.

— ما رأيته جعلنى أرتعد من رؤيته ، فقد وضح ذلك الجرح برقبته

— وحيثما جلست ، جلس معى ، وكان يومىء لى بيده وبعينه .

— وحين جلست بالطريق ، جلس ، وحين وقفت مرة أخرى ، وقف .

— فما نهاية هذا الأمر الصعب ؟ وأى صلة لى به فى هذه الظلمة ؟

— وذات ليلة أسر فى أذنى قائلا : لابد لك من كفن مثلى .

— هكذا تكون نهاية الأعمال السيئة ، فإن تزرع الشوك ، ينبت شوكا .

— وهكذا جزاء النفس الخسيسة ، فإن تسفك الدماء ، تُسفك دماؤك .

— فلا تسلك هذا الطريق الوعر بقدم واهية ، ولا تقتل فما خبت نار الدم إلا بالدم [١] . .

---

(١) النص الفارسى هو :

بزندان تاريك ، دربند سخت
بخود گفت زندانى تيره بخت
كه شب گشت وراه نظر بسته شد
برويم دگر باره ، دربسته شد
زمين سنگ ، درسنگ ، ديوار سنگ
فضا ودل وفرصت وكار ، تنگ
سرانجام كردار بد ، نيك نيست
جزاين سهمگين جاى تاريك نيست
چنين است فرجام خون ريختن
رسد فتنه ، از فتنه انگيختن
اگرديده لختى گرايد بخواب
گهى دار بينم ، زمانى طناب
نخستين دم ، از كردهٔ پست من
خبر داد ، خونين شده دست من =

= مرا باز گشت ، أول کارمشت
همی گفت هر قطره‌ٔ خون ، که کشت
من آن تیغ آلوده ، کردم بخاك
پدیدار کردش خداوند پاك
پی کیفر روزگارم برند
بدین پای ، تاپای دارم برند
ببندند این چشم بی باك را
که آلوده کرد این دل پاك را
بدین دست ، دژخیم پیشم کشد
بنزدیکی دست خویشم کشد
بدست از قفا ، دست بندم زنند
کشند وبجائی بلندم زنند
بدانم ، در آن جایگاه بلند
که بیند گزند ، آنکه خواهد گزند
بجز پستی ، از آن بلندی نزاد
کسی را چنین سر بلندی مباد
بهرجا نهم پا ، درین تیره جای
فتاده است آن کشته ام پیش پای
شبی ، آن تن بی روان جان گرفت
مرا ناگهان از گریبان گرفت
چو دیدم ، بلرزیدم أز دیدنش
عیان بود آن زخم ، بر گردنش
نشستم بهر سوی ، با من نشست
اشارت همی کرد باچشم ودست
چو راه اوفتادم ، براه او فتاد
چوباز ایستادم ، بجای ایستاد
سر انجام این کاردشوار چیست
درین تیرگی ، بامنش کارچیست

لقد أجادت پروين تصوير الحالة النفسية للقاتل بعد أن ثاب إلى رشده ، وقد اقترب من حافة الموت ، فطاردته صورة القتيل ، وأقلقته وحرمت عينيه النوم ، فندم وأخذ ينصح غيره بألا يفعل فعلته البشعة مرة أخرى وإلا أصبح مصيره أسود كمصيره ، حيث أن الجزاء من جنس العمل ، ولا مفر من العقاب لـكل مسيء سواء أ كان العقاب فى الدنيا أم فى الآخرة . .

شبى گفت آهسته در گوش من
که چون من ، ترا نيز بايد كفن
چنين است فرجام بدكارها
چو خارى بكارى ، دمد خارها
چنين است مزدورى نفس دون
بريزند خونت ، بريزى چو خون
مرو زين ره سخت با پاى سست
مكش ، چو نكه خو نرا بجز خون نشست

(مثنوى رقم ١٣٣)

تعليق عام على الشعر الأخلاق :

كانت پروين اعتصامى تتمتع بخلق قويم ، وبخصال حميدة أثنى عليها كل من تحدثوا عن شخصيتها . وقد رأت أن يكون ديوانها منبرها الذى توجه من عليه النصح والإرشاد لمواطنيها لكى يتحلوا بجميل الخصال وبحميد الخلال، وأن ينبذوا ظهريا كل خلق سيء أو كل طبع مذموم، وقد شجعها على ارتياد هذا المجال عملها فى حقل التربية والتعليم ، فأرادت أن تكون معلمة كذلك بمدرسة الحياة ، وأن يكون جميع القارئين تلاميذها ، فأفاضت فى تعليم القارئين الخلق القويم ، وأكثرت من نصحهم كما يفعل المعلم بين طلابه داخل قاعة الدرس وخارجها . .

كما أن الطريقة التى قدمت بها پروين نصحها طريقة متأثرة بعملها التربوى ؛ فلم تقدم النصح فى أغلب الأحيان بطريقة مباشرة ، تنفر القارئين ، بل لجأت إلى الحكاية الطريفة الرمزية منها والواقعية ، وفى نهاية كل حكاية كانت تصرح بالحكمة المقصودة أو بالغرض الذى تعنيه الشاعرة، أو تقدم النصح عن طريق مناظرة ظريفة تجذب انتباه القارىء ويخرج فى النهاية بالحكمة المقصودة من غير أن يتسرب الملل إلى نفسه ، أو أن يشعر بالنفور . .

وقد كان اهتمام پروين بالموضوعات الأخلاقية بصورة واضحة جلية سببا من أسباب إكبار بعض النقاد لها وإنزالها منزلة عظيمة بين شعراء عصرها ، وبين شعراء الفارسية فى كل العصور[1] . .

. . .

(١) رجال آذربيجان در عصر مشروطيت ، ص : ١٩ .

« الشعر الصوفى »

تناولت بروين فى ديوانها كثيرا من المسائل الصوفية التى جاءت فى صورة أبيات متناثرة فى ثنايا الديوان بقسميه ، قسم القصائد وقسم القطع والمثنويات ، ولم تتناول بروين هذه المسائل الصوفية بشىء من التفصيل . وإنما تناولتها فى إشارات سريعة عابرة ، لذا جاءت خالية من الإغراق فى المصطلحات الصوفية التى تناولها كبار شعراء الصوفية السابقين أمثال العطار وجلال الدين الرومى وغيرهما ، كما لم تكن بروين بهذه الإشارات العديدة تتبع فرقة صوفية معينة تؤمن بمبادئها وتدعو لها وتروجها ، بل أنها كانت تتكلم عن المسائل الصوفية كلام الزاهد فى الدنيا أكثر من كلام صاحب الخرقة وقاطن الصومعة . .

وأهم الإشارات الصوفية التى زخر بها الديوان تدور حول هذه المسائل :

١ — الله :

تحدثت بروين اعتصامى عن الله عز وجل حديث المسلم الموحد فوصفته — عز وجل — بأنه صاحب الكمال وحده ، وصاحب الملك وحده ، وأن الجمال الحقيقى هو جمال الله دون سواه ، وأنه القادر ذو القدرة التى لاتحدها أى حدود ، وأن كل ما يفعله الله يتم لحكمة مقصودة ، وهذه الحكمة غالبا مايصعب على العقل البشرى إدراك كنهها . .

وقد قالت بروين فى وحدانية الله عز وجل ماترجمته :

— أنا وأنت عبدان والله واحد ، وهو واهب كل ماأعطى لك ولنا .

— لاتمضى صوب معبد الأصنام ، ولاتسمع نصيحة البرهمى ، ولاتعبد الصنم ، فهذا الملك لله وحده[١] . .

وأشارت الشاعرة إلى قصور العقل البشرى عن إدراك الحكمة الإلهية التى تكمن وراء كل عمل لله عز وجل . وذلك فى قصة مضمونها أن رجلا مسنا أصيب بالعوز ثم مرض طفلاه وطالباه بالطعام والدواء فلم يجد بالمنزل مايقدمه إليهما ، فهام على وجه يسأل الناس الصدقة والإحسان ، ولكنه لم يظفر من الأغنياء والموسرين بشىء على الإطلاق ، وأخيرا ذهب إلى منزل فلاح ، فتصدق عليه الفلاح المسكين بقدح من البر ، فوضع المسكين البر فى طرف ثيابه ، وعقد عليه عقدة ، ثم توجه إلى الله بالدعاء لكى يفك عقدته ، ويجد من يشترى القمح ليشترى طعاما ودواء لطفليه .

وفى تلك الآونه انفرط البر وتناثر على الأرض بعد أن فكت العقدة ،

---

(١) البيتان الفارسيان هما :

من وتو بنده ايم وخواجه يكى است
تو وما را هر آنچه داد ، او داد
(قطعة رقم ٢٠٤)

سوى بتخانه مرو ، پند برهمن مشنو
بت پرستى مكن ، اين ملك خدائى دارد
(قطعة رقم ١٩٧)

فرفع المسكين صوته حانقا وتوجه إلى الله معاتبا حيث قال : إننى ياالهى لم أسألك أن تفك هذه العقدة ، إنما سألتك أن تفك عقدة فقرى وألمى . . . ثم انحنى كى يجمع البر ، فوجد كيسا من الذهب ، وهنا أدرك خطأه ،وعرف أن الله لايفعل شيئا إلا لحكمة مقصودة ، ثم توجه إلى الله بالشكر ، وقال : إذا كان باب الله مفتوحا فلا جدوى من سؤال الخلق ، بل يجب أن يوجه السؤال لله وحده ، فلا كريم سوى الله عز وجل :

ومما قاله الفقير بعد أن عثر على كيس الذهب ، ماترجمته :

— سجد ، وقال : ياإلهى الودود ، من كان يدرينى أن الحكمة فيما فعلت.

— كل بلاء صادر عنك هو فى الحقيقة رحمة ، وكل فقر تجود به ، هو فى الحقيقة ثروة وسعادة .

— إنك أكبر من أن يدركك تفكيرى ، كما أنك مدبر كل أمر

— لقد خلصتنى من تلك الظلمة ، حتى أرى ذلك الوجه المشرق .

— إذا كان لإنسان نصيب من ألم أنت مسببة ، فإنك فى النهاية تكون طبيبه .

— لم يتصدق علىّ الأنذال ، حتى أعرف من يلوذ به المساكين .

— أنت تمنح السلامة للعاجز ، حتى يعرف أن مايملكه صادر عنك .

— قد جملت المسكين إلى الأعتاب حتى يعرف إلهه وخالقه .

— كنت أحتاج إلى الخلق ، مع أن باب الحق مفتوح على الدوام .

— كم رأيت أرباب المال ، ولكنك أنت الكريم وحدك ، ياإلهى ، ياذا الجلال .

— إنك سكبت برى ؛ لتمنحنى ذهبا ، وسلبتنى حبلى ؛ لتهبنى جوهرا.

— وأنت يا پروين ، ليس لديك أى فكر وعقل وتفكير ، وإلا لما توقف قدر الحق عن الغليان(١) . .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

سجده كرد وگفت ، كاى رب ودود
من چه دانستم ترا حكمت چه بود
هر بلائى كز تو آيد ، رحمتى است
هركه را فقرى دهى ، آن دولت است

توبسى ز انديشه بر تر بوده‌اى
هر چه فرمان است ، خود فرموده اى
زان بتاريكى ، گذارى بنده را
يا ببيند آن رخ تابنده را
گركسى را از تو دردى شد نصيب
هم ، سر انجامش تو گرديدى طبيب
رزق زان معنى ندادندم خسان
تا ترا دانم پناه بيكسان

تا توانى زان دهى بر تندرست
تا بداند كآنچه دارد زا ن تست
زان به درها بردى اين درويش را
تا كه بشناسد ، خداى خويش را

من به مردم داشتم روى نياز
گرچه روز وشب ، در حق بود باز =

وتحدث عن لطف الله عز وجل فى حكاية تدور حول قصة إلقاء موسى عليه السلام بالنيل ، وأن لطف الله أنقذه من الغرق ، فقد بكت أمه حين ألقته خوفا من أن يتخلى لطف الله عنه ، ولكن الوحى عاتبها على هذا الظن الخاطىء قائلا لها : إن لطف الله يشمل الجميع ، المؤمن منهم والكافر ، فلا داعى للخوف :

— حين ألقت أم موسى ابنها بالنيل ، طاعة لأمر الله الجليل .

— نظرت إليه من الساحل وكلها حسرة ، وقالت : يابنى الصغير ، ياعديم الذنب .

— إن ينسك لطف الله ، فكيف تتخلص من هذه السفينة عديمة الربان؟

— فجاءها الوحى قائلا : أى تفكير باطل هذا ؟ أهكذا يكون سالكنا فى هذه المنزلة ؟

— أنت لديك عشق ومحبة الأمومة فقط ، أما طريقتنا فهى العدل ورعاية الخلق .

— ليس أمر الحق عبثا ، فلا تحزنى ، إن ما أخذناه منك ، سوف نعيده إليك .

= من بسى ديدم خداوندان مال
تو كريمى ، اى خداى ذو الجلال
گندمم را ريختى ، تاز دهى
رشته ام بردى ، كه تا گوهر دهى
در تو پروين ، نيست فكر وعقل وهوش
ورنه ، ديگ حق نمى افتد زجوش
(مثنوى رقم١٦٦)

— من الأفضل أن تتركى انا من تحتضنيه ، فمتى كان حبك له أعظم من حبنا ؟(١)

كما أشارت الشاعرة إلى أن لطف الله لم يتخل عن رعاية النمرود على الرغم من كفره ، فكيف يمكن أن ينسى لطف الله موسى ، إذا كان هذا اللطف يشمل الكفار كذلك . وأخيرا تنهى پروين المثنوى بهذه الأبيات :

— إذا كنا نرعى العدو هكذا ، فكيف نتبرأ من النظر إلى أصدقائنا؟

— ذلك الذى أحسن إلى النمرود ، كيف يظلم موسى العمرانى ؟

---

(١) النص الفارسى هو :

مادر موسى ، چو موسى را به نيل
در فكند ، از گفتهٔ رب جليل
خود ز ساحل كرد با حسرت نگاه
گفت ، كاى فرزند خرد بى گناه
گر فراموشت كند لطف خداى
چون رهى ، زين كشتى بى ناخداى
وحى آمد كاين چه فكر باطل است
رهرو ما ، اينك اندر منزل است
در تو ، تنها عشق ومهر مادرى است
شيوهٔ ما ، عدل وبنده پرورى است
نيست بازى ، كارحق ، خود رامباز
آنچه برديم از تو ، باز آريم باز
به كه بر گردى ، بما بسپاريش
كى تو از ما دوست تر ميداريش

(مثنوى رقم: ١٨٢)

— هذا الكلا ليس على سبيل العبث ، يا پروين ، فحيثما وجد نور فهو قبس من أنوار الله(١) . .

* * *

أول ما يلفت النظر فى هذا المثنوى أن لطف الله عز وجل يشمل الجميع ، يشمل الأصدقاء والأعداء ، يشمل المؤمنين والكافرين ، وإن لم يكن هذا اللطف يشمل الكافرين لعدموا الوجود منذ الأزل ، ولما وجد كافر قط يتمتع بنعم الله التى لا تحصى ولا تعد ، وإذا كان لطف الله يعم الكافرين فمن المؤكد أن هذا اللطف يعم المؤمنين كذلك ، لذا يجب على المؤمن الموحد أن يتوكل على الله ، فهو نعم المولى ونعم المعين . .

* * *

٢ — القضاء والقدر :

يدور حديث پروين عن القضاء والقدر فى دائرة محورها العذاب والدمار ، ومحيطها الهلاك لجميع المخلوقات ، وأن الكل سواء أمام جبروت القضاء وسطوة القدر ، ولن يستطيع إنسان مهما أوتى من قوة أن يفر من جبروتهما :

---

(١) النص الفارسى هو :

ما كه دشمن را چنين ميپروريم
دوستان را از نظر ، چون ميبريم
آنكه با نمرود ، اين احسان كند
ظلم ، كى باموسى عمران كند
اين سخن ، پروين ، نه از روى هوى ست
هر كجا نورى ، از انوار خداست
(مثنوى رقم ١٨٢)

— لا يمكن مجادلة القضاء ، لأنه سيخرسك حتى ولو كان لك مائة فم .

— أينما يهجم القضاء ويشن حملاته ، فهناك وسيلة التسليم وأدب التمكين(١) .

وقد شبهت پروين القضاء والقدر بتشبيهات عديدة أهمها :

التشبيه الأول : القضاء صياد ماهر .

— أصبح الصياد والصيد كلاهما صيدا ، مادام القضاء قد امتلك قوسا وسهما .

— سيقتلك ذلك السهم المنطلق من قوس القدر ، حتى ولو كنت غاية في العنفوان(٢)

---

(١) باقضا ، چيره زبان نتوان بود
که بدوزند ، گرت صد دهن است
(مقطعات رقم٢٠٧)

اندر آنجا که قضا حمله کند
چاره تسليم وأدب تمکين است
(قطعة رقم ٢٠٩)

(٢) صيد وصياد هر دو صيد شوند
تا قضا تيرى وکمانى داشت
(قصيدة رقم ١٥)

ز کمان قدر آن تير که بگريزد
کشدت گرچه سراپاى شوى روئين
(قصيدة رقم ٣٥) .

التشبيه الثاني . القدر صقر جارح .

— لا تطر كصغار الحمام عبثاً حتى لا ينقض صقر القضاء عليك وأنت محلق .

— مادام شاهين القضاء ذا مخالب حادة ، فلا فائدة لك من مصالحته أو العراك معه .

— مخالب صقر القضاء تفعل فعلها وأنت في لعبك لاه ، كما يمضي الوقت مسرعاً كالبرق ، وأنت في مرقدك نائم (١) .

وهذه التشبيهات تثير سؤالا هاما . هل الإنسان ـ في رأي پروين ـ مسير أم مخير ؟

لكي نعرف رأيها بجلاء علينا أن نعرض لما قالته في الاختيار ثم ما قالته في الجبر ، ونحكم بعد ذلك أكانت پروين من أنصار هذا أو ذاك .

ماذا قالت في الاختيار ؟

نصحت پروين قارىء ديوانها أن يكون على بصيرة حتى لا تزل قدمه ويسقط ثم يقول إنه القضاء والقدر ، بل هو الإهمال وفقدان البصر :

— يسقط من السقف ، ثم يقول إنه القضاء ، لا إنه الجنون وليس نتيجة للتقدير والحظ .

---

(١) الأبيات الفارسية هي :

چو كبوتر بچه پرواز مكن فارغ
كه به پرواز گه نست قضا شاهين
(قصيدة رقم ٣٥)

چو شاهين قضا را تيز شد چنگ
نه از صلحت رسد سودى ، نه از جنگ
(مثنوى رقم ٦٩)

پنجهٔ باز قضا باز وتو در بازى
وقت چون برق گريزان وتو در بستر
(قصيدة رقم ٢٣)

– تمصب عينيك ثم تسقط بالبئر ، الذنب ذنبك وليس أمر القضاء والقدر[1] ..

الملاحظ أن هذه الأبيات وأمثالها يمكن أن تدخل ضمن نطاق دعوة پروين إلى العمل وبذل الجهد ، وعدم التواكل والتكاسل استنادا إلى أن كل شيء مقدر من الله عز وجل.

وعلى هذا فلا يمكن الاستناد إلى هذه الأبيات وأمثالها لنقرر أن پروين كانت تؤمن بمبدأ الاختيار .

* * *

وماذا قالت پروين عن الجبر ؟

لقد صالت وجالت فى هذا الأمر ، وأكثرت من الحديث فيه مما جعل القارىء ينسى فى غمار هذه الكثرة كل ما قالته عن الاختيار ، لأن ماذكرته من الاختيار جاء عرضا ، أما ما قالته عن الجبر فجاء صريحا واضحا غاية فى الوضوح.

ومن الأبيات التى ذكرت فيها مبدأ الجبر ما ترجمته :

— إن تمعن النظر فستجد يد القضاء تمسك بكل الخيوط ، لذا فلا فرار من تقدير السماء .

(١) البيتان الفارسيان هما :

دیوانگی است قصهٔ تقدیر و بخت نیست
از بام سر نگون شدن و گفتن این قضاست
(قصيدة رقم ٩)

دیده ببندی و در افتی بچاه
این گنه تست ، نه حکم قضاست
(قصيدة رقم ٨)

— كل ما تود الأيام فعله معنا ، تفعله ، دون أن يكون لأى إنسان فرصة الاختيار .

— لابد وأن تتحمل حمل التقدير ، فليس لإنسان أن يتخلص من هذا الحمل .

— لا يمكن فعل أكثر ولا أقل ، مما هو مقسوم من عالم القسمة والنصيب(١) ..

وإلى جانب هذه الأبيات توجد بعض القطع التى أدارت پروين الحديث فيها حول مبدأ الجبر ، وأن الإنسان مسير فى هذا الوجود ، منها تلك القطعة التى تصور دجاجة وقعت أسيرة بين مخالب ثعلب ، فأخذت تشكو ضعفها وذلتها للثعلب حتى يخلى سبيلها ، وقالت له : لا داعى لأن تلحق باسمك سوء السمعة أو توصف بسوء الطوية ، فقال لها ما ترجمته :

(١) الأبيات الفارسية هى :

چو بنگری ، هر سر رشته هابدست قضا
ره گريز ، ز تقدير اسمانى نيست
(قطعة رقم ١١٥)

هر آنچه ميكند أيام ميكند باما
بدست هيچكس ايدوست اختيارى نيست
(قطعه رقم ٨٠)

ترا بار تقدير بايد كشيد
كسى را رهائى از اين بار نيست
(قطعه رقم ١٢٢)

آنچه مقسوم شد از كارگه قسمت
دگر آنرا نتوان كرد كم وافزون
(قصيدة رقم : ٣٤)

— قال (الثعلب) : إن كنت سيء الطوية أو تافها ، فقد فعلنا فى هذا الطريق كل ما أمرنا به .

— وإذا كانت لى مخالب وأسنان قاطعة ، فهذه الثروة هى نصيبى من خزانة الحظ .

— أى غم لو كانت نيتى سيئة أو حسنة ، فهكذا خلقت وطبعت[1] .

• • •

وهكذا رأينا پروين قد تكلمت عن الجبر كلاما صريحا مقصودا لذاته ، ولذا فإننا نستطيع بغير عناء أن نقرر أن پروين كانت تؤمن بالجبر وبأن الإنسان مسير فى هذا العالم وليس مخيرا .

* * *

٣ — الطريق والحقيقة :

تناولت پروين فى ديوانها الطريق وشروطه ، وكيفية الوصول إلى الحقيقة وإدراك المعرفة ، وقد تابعت فى ذلك ماقاله كبار شعراء التصوف الإيرانيين أمثالى سنائى والعطار وجلال الدين الرومى وجامى ، ولكنها لم تقحم نفسها فى تفصيلات كانت مثار خلاف بين فرق الصوفية المختلفة واكتفت بتناول أهم الأفكار المتداولة والمتفق عليها بين عامة المتصوفة .

---

(١) النص الفارسى هو :

بگفت ار تیره دل باهرزه کردیم
درین ره هرچه فرمودند ، کردیم
گرم سر پنجه ودندان بود سخت
مرا این مایه بود از کیسهٔ بخت
چه غم گر نیتم بد یا که نیکوست
همینم اقتضای خلقت وخوست
(مثنوى رقم ١١٣)

والآن ماذا قالت پروين عن الطريق ؟

الطريق الصوفى يحتاج دائما إلى مرشد خبير بمتاهاته يستطيع هداية المريد أو السالك، وإذا حسن المرشد ضمن السالك وصوله إلى نهاية الطريق فى أمن وطمأنينة ، لذا قالت پروين :

— من يكون مرشده مجربا عاقلا ، لاينفق عمره الغالى ، يا پروين ، عبثا (١) .

أما إذا سلك المريد طريقه بلا مرشد ، فمن المؤكد أنه سيضل الطريق ، لذا قالت پروين ساخرة ممن يسلك الطريق دون مرشد ودون إعداد خاص له :

— أنت قادم على سفر ، ولكننى أراك بلا مرشد ولا راحلة ولا زاد (٢) . .

وإذا كانت منزلة المرشد عظيمة إلى هذا الحد فلا بد وأن يتأكد السالك من شخصية المرشد وصلاحه حتى لا يقوده إلى الضلال :

---

(١) الأصل الفارسى :

صرف باطل نكند عمر گرامى ، پروين
آنكه چون پير خرد ، راهنمائى دارد
(قطعة رقم ١٩٧)

(٢) الأصل الفارسى هو :

دارى سفر به پيش وهمى بينم
بى رهنما وراحله وزادت
(قصيدة رقم ٥)

— تبين حقيقة الشيطان ، فهو يسير فى مقدمة طريق الآدمى ، وتبين حقيقة الآدمى ، الذى يكون فى منزلة المرشد[1] . .

لذا يجب أن يتوفر فى المرشد الصلاح والتقوى ، أما إذا كان ضالا مارقا ، فسيقود السالكين إلى مهاوى الهلاك والدمار :

ـ ما أكثر ماضلت القافلة طريقها ، منذ ذلك اليوم الذى أصبح هذا الضال دليلها[2] . .

أما الشروط الواجب توافرها فى المريد أو السالك ، فأهمها أن يكون صادق العزم فى سلوكه حتى لا يتوقف عن السير إذا ما اعترضته بعض الصعاب فى الطريق ، لذا يجب أن يعد العدة كاملة قبل أن يخطو خطوة واحدة حتى لا يتراجع بعد ذلك ، لأنه من العيب أن يتوقف السالك فى منتصف الطريق ويتخاذل عن الوصول إلى نهايته المتمثلة فى إدراك الحقيقة ، وقد قالت پروين ساخرة من السالك الذى لا يكمل الطريق :

---

(١) الأصل الفارسى هو :

تو ديو بين كه پيش رو راه آدمى است
تو آدمى نگر كه چه دستيش رهنماست

(قصيدة رقم ٩)

(٢) الأصل الفارسى هو .

بس قافله گم گشته است از انروز
كاين گمشده ، سالار كاروانست

(قصيدة رقم ١١)

- السالك الذى يأمل فى سلوك الطريق ، سىء الطوية إن يعدْ من منتصف الطريق [١]

وقالت پروين فى ضرورة إعداد السالك لكل مايلزمه بالطريق قبل سلوكه :

- سالكو هذه الطريق على خبرة وبصيرة ، إذ جمعوا زادَ طريقهم .

- لقد أتيح لكل إنسان سلوك هذه الطريق المظلمة ، وذلك بمصباح المعرفة [٢]

كما يجب على السالك أن يكون يقظا ، حتى لايبعده الشيطان عن طريق الحقيقة فقد قالت :

— يا سالكا طريق الحقيقة ، كن يقظا ، فالشيطان فى ركابك [٣] .

---

(١) الأصل الفارسى هو :

رهنوردى كه باميد رهى ميپويد

تيره رائى است گراز نيمهٔ ره برگردد

(قصيدة رقم ١٦)

(٢) النص الفارسى هو :

رهروان اين گذرگاه ، آگهند

توش راه خود فراهم كرده‌اند

هركسى را با چراغ بينشى

راهى اين ره مظلم كرده اند

(قطعة رقم ١٣٢)

(٣) البيت الفارسى هو :-

اى راهنورد ره حقيقت

هشدار كه ديوت ركابدار است

(قصيدة رقم ٦)

هذه أهم الشروط الواجب توافرها فى السالك صادق النية على قطع الطريق ، وهى شروط سهلة إذا ماقيست بالشروط القاسية التى يفرضها كبار مشايخ الصوفية على سالكيهم ، فپروين كانت هادئة فى طبعها ، لذا لانجد غرابة فى أن تكون شروط الشيخ والسالك عندها هادئة أيضا ، ولا أثر فيها للشروط القاسية التى أشارات إليها كتب التصوف المختلفة . .

ولكن هل الشيخ والمريد ملزمان برداء خاص كالخرقة مثلا ؟

تعتقد پروين أن الزهد بالنية وليس بالثياب ، فالثياب لايمكن أن يخبر عن حقيقة مرتديه فما أكثر المارقين الذين يلبسون ثيابا طاهرة ، وفى هذا تقول پروين :

ـ الزهد نتاج النية الطاهرة ، لا الثوب الطاهر ، وما أكثر المدنسين الذين يرتدون طاهر الثياب .

ـ قد طمس الصدأ قلوب المدنسين فى هذا الدهر ، ولايمكن القول عن طاهر الثياب أنه زاهد (١) . .

والسالك يسلك الطريق الصوفى أملا فى الوصول إلى الحقيقة التى تفوق المجاز والخيال ، كما تفوق إدراك البشر ، حيث تعنى الحقيقة فى رأى الصوفية مشاهدة الحق (٢) لذا فرقت پروين فى كثير من أبيات الديوان

(١) البيتان الفارسيان هما :ـ

زهد بانيت پاك است ، نه جامهٔ پاك
ای بسی آلوده ، كه پاكیزه ردائی دارد
(غزلية رقم ١٩٧)

زنگارهاست در دل آلودگان دهر
هرپاك جامه رانتوان گفت پارساست
(قصيدة رقم ٩)

(٢) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى . الرسالة القشيرية فى علم التصوف ، القاهرة ١٣١٩ هـ - ص ٤٦ .

بين عالمين : عالم الحقيقة الذى نبغيه ولا نستطيع بلوغه وعالم المجاز الذى يقسم بالزوال ، ولهذا يجب أن نتخلص من عالم المجاز سعيا وراء الاقتراب من عالم الحقيقة ، وقد قالت فى ذلك :

ـ من الواجب أن نتخلص من النور المجازى ، ثم توجه وجهك شطر النور الحقيقى .

— أيا كانت المعرفة فهى كامنـــة فى المعنى ، لا فى هذه الصورة الظاهرة[1] . .

. وقالت على لسان وردة توجه الـــكلام إلى بلبل هام بها شوقا :

— امض باحثا عن وردة حسنها دائم ، فحديقة التحقيق غير هـذه الحديقة[2] . .

وإذا كانت پروين تفرق بين الحقيقة والمجاز ، وتعلى من شأن الحقيقة فلا غرابة فى أن تدعو إلى التمسك بالحقيقة والسير أملا فى الوصول إليها :

---

(١) البيتان الفارسيان هما

بايد زين مجازى جلوه رستن
سوى نور حقيقت رخت بستن
(مثنوى رقم ٧٩)

معرفت هرچه هست در معنى است
نه درين صورت پديدار است
(قطعة رقم ٧٦)

(٢) البيت الفارسى هو .

رو ، گلى جوى كه همواره خوش است
باغ تحقيق ازين باغ ، جداست
(قطعة رقم : ١٦٩)

— ابحث عن كنز الحقيقة وأثر منه ، وكن أهل فضل وإن تلبس الأسمال .

— كن كالطاووس فى حديقة الحقيقة ، وطر كالعنقاء صوب جبل الإرادة .

— لم يخل بعد منجم الحقيقة من الجوهر ، فامض أيها الرفيق واطلب الجواهر من منجمها . .

— لتكن جواهرك هى جواهر الحقيقة ، وهذه لاتباع رخيصة أبدا[1] . .

ومع دعوتها إلى التطلع إلى الحقيقة . والعمل للوصول إليها . فقد اعترفت بأن العقل البشرى قاصر عن إدراكها ، وقد عبرت عن هذا القصور حيث قالت فى إحدى القصائد ما ترجمته :

— لاتسل عن أسرار الحقيقة ، فهذا السر ، أعلى منزلة من التفكير والحدس .

---

(١) الأبيات الفارسية هى .

گنج حقيقت بجوى وپيله ورى كن
أهل هنر باش وپوش جامهٔ خلقان
(قصيدة رقم ٣٠)

همچو طاوس بگلزار حقيقت شو
همچو سيمرغ سوى قاف ارادت پر
(قصيدة رقم ٢٢)

نشود كان حقيقت زگهر خالى
بروای دوست گهر ميطلب از كانش
(قصيدة رقم ٢٤)

گهرهاى حقيقت گهر خود را
نفروشند بدين هيچى وارزانى
(قصيدة رقم ٣٩)

ـ هذا النبع الصغير يبدو فى عين التفكير ، بحرا عظيما عديم الشواطىء

— هنا لن تصل أية سفينة إلى الساحل ، حتى ولو كان لها آلاف الأشرعة [1] . .

وفى قطعة أخرى شبهت پروين السالك بالذرة والحقيقة بالشمس ، ودواما تندفع الذرة نحو الشمس تريد أن تصل إليها ، ولكن أنّى للذرة أن تحظى بهذا الشرف العظيم ، وقد قالت الشمس موجهة الحديثة للذرة ما ترجمته :

— إن تتعلمى الحكمة والعلم ألف سنة ، وإن تطالعى دروس المعرفة ألف قرن .

— وإن تسلكى جميع الطرق المظلمة الموحشة ، وإن تدرسى جميع الأسرار الخفية .

— وإن تصبحى قرينة أفلاطون بالعقل والفطنة ، وإن تصبحى أستاذة لقمان بالعلم والفضل .

— فلن تحلقى أبدا فى سماء الحقيقة ، ولن تستطيعى الوصول إلى خلوة الوحدانية .

---

(١) النص الفارسى هو :

ز اسرار حقيقت مپرس كاين راز
بالاتر از انديشــــه وگمانست
اين چشمهٔ كوچك بچشم فكرت
بحريست كه بى كنه وبى كرانست
اينجا نرسد كشتى بساحل
گر زانكه هزارانش بادبانست
(قصيدة رقم ١١)

— وفى ذلك الزمان الذى تصل فيه إلى حد الكمال فى النهاية ، إن تحسن النظر ، فستجد أنك فى كمال النقصان .

— ومع أن جوهرى العقل قد فتح العديد من الكنوز ، إلا أنه لم يدرك قط جوهر هذا المنجم الطاهر (١) .

* * *

هذا أهم ماقالته پروين عن الطريق والحقيقة ، وقد أدركته الشاعرة عن طريق الاطلاع على إنتاج سابقيها ولم يأت نتيجة فيض ولا نتيجة لتجربة شخصية ومما يؤيد هذا الرأى أن أغلب ما أوردته عن الطريق والحقيقة جاء فى ثنايا القصائد وهو القسم الذى يتضح فيه تأثر پروين بغيرها من الشعراء السابقين . وقد اعترف بهذا التأثر كل من كتبوا عن پروين وعلى رأسهم

(١) النص الفارسى هو .

هزار سال اگر علم وحكمت آموزى
هزار قرن اگردرس معرفت خوانى
بپوئى ازهمهٔ راههاى تيره وتار
بدانى از همهٔ رازهاى پنهانى
اگر بعقل وهنر ، همسر فلاطونى
وگر بدانش وفضل ، اوستاد لقمانى
بآسمان حقيقت ، بهيچ پر نپرى
به خلوت احديت رسيد نتوانى
در آنزمان كه رسى عاقبت بحد كمال
چو نيك درنگرى ، در كمال نقصانى
گشود گوهرى عقل گرچه بس كانها
نيافت هيچگه اين پاك گوهر كانى

(قطعة رقم ١٠٨)

مقدم ديوانها محمد بهار وكذلك أبوها فى تعليقاته على بعض ما كتبته پروين[1] .

• • •

٤ — القلب والعقل :

حظى القلب وكذا العقل بعظيم اهتمام پروين ، ولعلها تابعت الصوفية فى العناية بالقلب وبيان مكانته فى صلاح حال الإنسان ، ولكنها خالفت غلاة الصوفية فى موقفهم من العقل وعدم اهتمامهم به،والآن لنعرض ما قالته پروين عن القلب والعقل لنرى رأيها فيهما ، ثم نعلق على هذا الرأى بعد ذلك .

كيف صورت پروين القلب ؟

شبهت پروين القلب بمرآة يرى فيها الإنسان نفسه ،حتى يستطيع أن يرى محاسنة وكذا عيوبه ، وبالتالى يستطيع تقويم نفسه ودفعها إلى أفضل الأعمال ، وفى هذا تقول ما ترجمته :

— قلبك الوضاء مرآة لك ، فاجلُ الصدأ عن هذه المرآة .

— لا تطمس مرآة إنسان بالصدأ ، وقلب الإنسان مرآته ، فاحفظه من الصدأ [2] .

---

(١) مجموعهٔ مقالات ... ص ١٠ وما بعدها .

(٢) البيتان الفارسيان هما :

آينهٔ تست دل تابناك بستر از اين آينه زنگار را

(قصيدة رقم ٢)

مپوش آئينهٔ كس را به زنگار

دل آئينه است ، از زنگش نگهدار

(مفردات رقم ٢٠٧)

وإذا كان القلب مرآة الإنسان التي يرى فيها أعماله ،وجب على الإنسان تغذيته والعناية به . وما غذاء القلب إلا الفضيلة وحسن الخلق ، ومن الخير للإنسان أن يهتم بتعمير قلبه أفضل من أن يعمر بناءه الجسدى أو أن يعمر قصر الدنيا ، وفي هذا تقول پروين :

— لم نعمر خرابة الجسد ، والأولى عمارة القلب حتى لا يخرب ؟

— تعمير القلب الخرب أفضل من بناء قصر شاهق[1] .

وقالت أيضا فى الاهتمام بالقلب وضرورة تطهيره من كل ما يشوبه :

— لا تدنس القلب الطاهر بالفعل السيء ، فالتعلق بالظلام يكون هروبا من النور .

— إن اختفت فأس الغرور لما خرب ملك القلب المعمور .

— إن لم يمزق القلب أردية الشك ، فلا يمكن أن يسير مطلقا صوب أعتاب اليقين[2] .

---

(١) البيتان الفارسيان هما :

ويرانهٔ تن ازچه ره آباد ميكنى
معموره دلست كه ويران نميشود
(قصيدة رقم ١٩)

دل ويرانه ، عمارت كردن
خوشتر از كاخ برافراختن است
(قطعة رقم ٢٠٣)

(٢) الأبيات الفارسية هى .

دل پاكيزه ، بكردار بد آلوده مكن
تيرگى خواستن ،ازنور گريزان شدن است =
(مفردات رقم ٢٠٧)

وإلى جانب هذه الأبيات المتفرقه بين ثنايا الديوان بقسمية ، القصائد والمثنويات ، تحدثت پروين عن القلب فى أربع قطع ، الأولى تتحدث عن القلب والعين وأيهما أسبق فى مجال العشق ، وسأرجىء الحديث عنها إلى أن أتحدث عن العشق الصوفى ، والثانية عنوانها « طريق القلب » وأنه أفضل طريق يسلكه السالك ، والثالثة عنوانها « كعبة القلب » ، والرابعة عنوانها « طهارة القلب » ومحور الحديث فيها يدور حول ضرورة تنقية القلب من كل شائبة .

وأجمل هذه القطع كلها القطعة الثالثة التى يدور الحوار فيها بين الكعبة الشريفة والقلب ، فقد تحدثت الكعبة عن منزلتها العالية وأن يد إبراهيم الخليل عليه السلام قد شيدتها ، فقال لها القلب ما ترجمته :

— تبسم القلب برفق وقال لها : أيتها الرفيقة ، ليس العجب مقبولا من الأطهار .

— كيف تتحدثين عن كثيب الطين هذا ؟ وكيف تقولين أنه فارغ من كعبة القلب ؟

— أنت ليس لك شىء خارج عن نطاق الماء والطين ، وليست الكعبة مباركة مثل القلب .

— إذا كان إبراهيم بن آذر قد شيدك ، فقد رفعتنى يد الله الحى العادل .

— إذا كان لك رونق وجمال ، فمن التراب والحجر ، أما رونقى وجمالى فمستمدان من شعاع الروح .

= گر نمیبود تیشهٔ پندار ملك معمور دل ، خراب نبود

(قطعة رقم ١٦٣)

دل اگر پردهٔ شك را ندرد ، هرگز

نبود راه سوى درگه ايقانش

(قصيدة رقم ٢٤) ..

— إن منحت أنت الجوهر والكنوز ، فقد منحت أنا مخدعا ومقرا داخل الصدور .

— إن كانت أعتابك تقبل فى الأعياد ، فبابى مفتوح على الدوام .

— إذا كان آدمى من وضع أساسك ، فقد عمرنى معمارى الوجود .

— أنت جسم مظـــلم ، أما أنا فضىء ، أنت من تراب ، وأنا من الروح الطاهرة .

— إن كنت قد أغرقت فى الزينة ، فقد قرنت أنا بالعقل الروح .

— نحن فى الظاهر ملوك مملكة الجسد ، ولكننا فى عالم المعنى ، المنزل الخاص بالخالق .

— الشخص الذى يطهر كعبة القلب ، كيف يخشى مظاهر الدنس العديدة ؟

— أى محراب أصفى من القلب ؟ وأى قنديل أكثر إشراقا من الروح ؟

— سعيد من صنع لنفسه رداء من ديباج الروح ، وموفق ذلك الطائر الذى شيد عشه من هذا الغصن .

— وموفق ذلك الشخص الذى يصـــلى فى محراب القلب بكل صدق وضراعة .

— إن الشخص الذى يملك قلبا خاليا من الدنس كالكعبة ، كم يفوق — يا پروين — العظماء عظمة (١) .

---

(١) النص الفارسى هو :

بدو خنديد دل آهسته ، كاى دوست
زنيكان ، خود پسنديدن نه نيكوست
چنان رانى سخن ، زين تودهٔ گل
كهٔ گوئى فارغى از كعبهٔ دل =

هكذا رفعت پروين من مكانة القلب وجعلته فى مكانة الكعبة التى لا يختلف مسلمان على عظمة مكانها وعلو شأنها ، فالقلب وثيق الصلة بخالقه، فإن تطهر القلب ضمن صاحبه التوفيق فى دنياه وأخراه ،وليس المقصود بالقلب

= ترا چيزى برون أز آب وگل نيست
مبارك كعبهٔ اى مانند دل نيست
ترا گر ساخت ابراهيم آزر
مرا بفراشت دست حى داور
ترا گر آب ورنگ ،از خاك وسنگ است
مرا از پرتو جان ،آب ورنگ است
ترا گر گوهر وگنجينه دادند
مرا آرامگه از سينه دادند
ترا در عيدها بوسند درگاه
مرا بازست در ، هرگاه وبيگاه
ترا گر بندهاى بنهاد بنياد
مرا معمار همتى ، كرد آباد
توجسم تيره اى ، ما تابناكيم
تواز خاكى وما از جان پاكيم
تراگر غرق ، در پيرايه كرد ند
مرا با عقل وجان ، همسايه كرد ند
بظاهر ، ملك تن را پادشاهيم
بمعنى ، خانهٔ خاص خدائيم
كسى كاو كعبهٔ دل پاك دارد
كجا ز آلودگيها باك دارد
چه محرابى است از دل با صفاتر
چه قنديلى است از جان روشناتر
خوش آن كو جامه ازديباى جان كرد
خوش آن مرغى ،كازين شاخ آشيان كرد =

فى رأى پروين تلك المضغة من اللحم التى توجد فى الجانب الايسر من الصدر بل المقصود منه أنه الصلة بين العبد وخالقه ، وهذا يتفق مع تعريف الصوفية القلب على أنه «لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسمانى الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر تعلق ، وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان ، ويسميها الحكيم النفس الناطقة والروح الباطنة ، والنفس الحيوانية مركبة وهى المدرك من العالم والإنسان ، والمخاطب والمطالب والمعاتب »[1] .

وهذه الصلة الوثيقة بين الخالق وهذه اللطيفة الربانية هى التى جعلت الصوفية وكذلك پروين يهتمون بالقلب ، وضرورة تصفيته من كل شائبة ؛ وقد كان قلب پروين صورة صادقة لما دعت إليه ، إذ كان قلبا طاهرا صافيا ، لا يعرف الحقد والضغينة ، كما كان ينبض بالشفقة والرأفة ، وكان — كما دعت إلى ذلك — مرآة صافية يعكس شخصيتها فقط[2] دون رياء أو نفاق .

والملاحظ أن پروين فى هذا المثنوى جعلت القلب يفخر بصلته الوثيقة بالعقل على عكس ما يقول به غلاة الصوفية ، فماذا قالت عن العقل ؟

رفعت پروين من مكانة العقل ، كما رفعت من مكانة القلب ، وليس فى

= خوش آنكس ، كز سر صدق ونيازى
كند در سجده‌گاه دل ، نمازى
كسى بر مهتران ، پروين ، مهى داشت
كه دل چون كعبه ، ز الايش تهى داشت
(مثنوى رقم ١٥٧)

(١) الجرجانى (على بن محمد) : كتاب التعريفات القاهرة ١٣٢١ هـ ، ص ١٠٢ .

(٢) كلمة مستر شولر فى حفل تأبين پروين . انظر مجموعهٔ مقالات . ص ٢٨ .

ذلك تضارب ولا تضاد ، فالعقل ضرورة لخوض غمار هذه الحياة ، ومواصلة السعى والعمل فيها ، وتحصيل العلوم والمعارف وهو المصباح الذى يضىء للإنسان طريقه فى الحياة ، وبدونه سيتيه السالك فى متاهات الحياة المظلمة ، وقد قالت پروين مشبهة العقل بالمصباح ما ترجمته :

— لا مرشد لطريق المعنى غير مصباح العقل ، فاجتهدى يا پروين ، حتى لا تسلكى طريقك وسط الظلمة .

— العقل هو المصباح السماوى فى الجسد الترابى ، ولكننا بريح العجب حطمنا هذا المصباح السماوى .

— أخفينا مصباح العقل ليلة الرحيل ، لذا اتجهنا صوب دوامة الجهل المظلمة[1] .

وإذا كانت پروين قد صورت العقل على أنه مصباح ينير الطريق ، فعلى الإنسان أن يحافظ على هذا المصباح مضيئا ، وأن يستشيره فى كل عمل :

— لا تدبر امرأ بلا تفكير ، فكل نسيج يحتاج إلى لحمة وسدى .

(١) الأبيات الفارسية هى :

رهنماى راه معنى جز چراغ عقل نيست
كوش ، پروين ، تا بتاريكى نباشى رهسپار
(قصيدة رقم ٢١)

چراغ آسمانى بود عقل اندر سر خاكى
زباد عجب كشتيم اين چراغ آسمانى را
(قصيدة رقم ٤)

چراغ عقل ، نهفتيم شامگاه رحيل
از آن بورطه تاريك جهل رو كرديم
(قطعة رقم ١٥٥)

— لا تشح بوجهك بعيدا عن طريق التدبير والرأى حتى يصبح العقل المجرب مرشدا لك[1] .

وإشادة پروين بالعقل تبعتها إشادة بالعاقل أيضا ، وذلك فى قصيدة وضحت فيها الشاعرة من يكون العاقل فى رأيها ، فقالت :

— العاقل من طلب الرفعة من العمل ، ولم يعتمد على القول الهراء .

— ومن شرب الماء حين عدم العسل ، ومن تبرع بالدرهم عندما عدم الدينار .

— ومن تحمل المسئولية بسهولة ، ولم يغتم لهذا الحمل .

— ومن تطبع بالرفعة والطهر ، ولم يجالس السفلة أبدا .

— ولم يزرع بذرة غير بذرة العفة ، ولم يودع المخزن زاد الطمع .

— ولم يرفع دعوى خصام وجدال ضد شخص فى هذه المحكمة المليئة بالشرور والاضطراب .

— ومن يقنع بمنقود واحد ، ولا يغتم إذا عدم المحصول والحصاد[1] .

---

(١) البيتان الفارسيان هما :

مسكن بى فكرتى تدبير كارى
كه خواهد هر قماش بود وتارى
(مثنوى رقم ١١٣)

روى متاب از ره تدبير ورأى
تاشودت پير خرد ، رهنماى
(مثنوى رقم ١٥٢)

(١) النص الفارسى هو :

عاقل از كار بزرگى طلبيد تكيه بر بيهده گفتار نداشت =

وهكذا وضحت پروين فى هذه الأبيات لماذا دافعت عن العقل ورفعت من قيمته ، وذلك لأنها ربطت العقل بدعوتها الإصلاحية، ولوقدر أن پروين ذمت العقل لعيب عليها ذلك ، اذ كيف تنادى بالاصلاح الاجتماعى والتهذيبى وتغفل الدعامة الأولى التى يستند إليها هذان النوعان من الإصلاح ، ألا وهى العقل .

وپروين فى اعترافها بأهمية العقل ومنفعته تساير فى ذلك دعاة الإصلاح فى كل وقت ، وفى كل مكان ، وتساير الصوفية المعتدلين وعلى رأسهم أبو حامد الغزالى حيث قال فى أهمية العقل ونفعه : .

« اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف فى إظهاره ، ولا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل ، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس، والرؤية من العين ، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة »[1] .

• • •

= آب نوشيد چو نو شابه نيافت   درم آورد جو دينار نداشت
بار تقدير بآسانى برد   غم سنگينى اين بار نداشت
باگرانسنگى وپاكى خود كرد   همنشينان سبكسار نداشت
دانه جزدانهٔ پرهيز نكشت   توشهٔ آز در انبار نداشت
اندرين محكمهٔ پرشر وشور   باكسى دعوى پيكار نداشت
آنكه باخوشه قناعت ميكرد   چه غم از خرمن وخروار نداشت

(قصيدة رقم ١٣)

(١) أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين ج ١ ص ١٤٠ طبعة كتاب الشعب، القاهرة : ١٩٦٩ .

٥ — الروح والجسد :

الروح طاهرة والجسد دنس ، الروح تدفع صاحبها نحو فعل الخير ، أما الجسد فيجر صاحبه تجاه ارتكاب الرذيلة ، الروح تحلق دواما فى محيط الفضل والخلق والعلم ، أما الجسد فيرقد فى مهاوى الخطيئة ، الروح شفافة يشع منها النور والضياء ، أما الجسد فمعتم مظلم .

هذا هو المحور الذى دارت حوله مناقشة پروين لقضيه الروح والجسد والمقابلة بينهما وقد حفل الديوان بكثير من القطع التى تتحدث عن هذه المقابلة ، وكذلك وردت فى أبيات كثيرة متفرقة بين ثنايا القصائد ، ومن هذه الأبيات التى قابلت بين الروح والجسد ما ترجمته :

— ما أكثر رقادك حتى لوث هذا الجسد المدنس تلك الروح الصافية .

— لا يرجى الإشراق من هـــذا الجسد المعتم ؛ ومصباح الوجود هو الروح .

— لا تخف مصباح الروح الوضاء فى حصن الجسد ، ولا تخف ياقوتة الجوهر هذه بين ثنايا خرقة .

— الجسد الخسيس حمل الوبال والدمار ، فـــلم تتحمل الروح هذا الحمل الثقيل .

— أشبع الروح من مائدة الحكمة ، أما المعدة فتشبع برغيف واحد من الشعير[1] .

---

(١) الأبيات الفارسية :

از بس بخفتى ، اين تن آلوده آلوده اين روان مصفارا .

(قصيدة رقم : ١) =

وإلى جانب الأبيات المتفرقة بين ثنايا القصائد حظيت الروح ، بمعظم أبيات قصيدة ، فيها وجهت پروين الحديث إلى الروح تلومها على صحبة هذا الجسد الخسيس فقالت ما ترجمته :

— كنت عالية المكانة أيتها الروح ، ثم صادقت الجسد الخسيس فاتسمت بالخسة .

— صحبة الجسد تعمل على الانتقاص منك ما أمكنها ، وكنت تظنين أنها تزيد من قدرك .

— كثيرا ما يتلون قانون الجسد ، وأنت رأيت ذلك التغيير فتلونت كذلك .

— تعلمت درس الطمع ، فقطعت الطريق ، وقبلت دين الجسد ، فأصبحت مديونة .

— كنت نورا ، فقتلتك نار الشك ، فكيف كنت قبل هذا ؟ ثم كيف

= زين تيره تن اميد روشنى نيست جانست جراغ وجود جانست
(قصيد رقم ١١)

جراغ روشن جانرا مكن در حصن تن پنهان
مپيچ اندر ميان خرقه اين ياقوت كانى را
(قصيدة رقم ٤)

بار وبال است تن بى تميز روح جرا ميكشد اين بار را
(قصيد رقم ٢)

روح را سيركن از مائدهٔ حكمت
بيكى نان جوين سير شود اشكم
(قصيد رقم ٢٨)

أصبحت الآن ؟[١] .

أما القسم الثانى من الديوان فقد حظى أيضا بكثير من القطع والمثنويات التى قابلت فيها پروين بين الروح والجسد ، وأول ما يلفت النظر من هذه المثنويات والقطع مثنوى عنوانه « الروح والجسد » تحدثت فيه پروين عن غلام ارتدى قباء أحمر فتملكه العجب، وأخذ يعنى به كل العناية ، كما احترمه الأطفال لقبائه وتمنوا ملازمته ومصاحبته ، وذات مرة سقط الغلام من أعلى تل فتمزق الثوب وسالت الدماء من رأسه ولكنه لم يأبه بما حدث لرأسه وأخذ يبكى الثوب بكاء امرأ ، وقد علقت پروين على هذه الحادثة بقولها :

— إن تنظر أيها الرفيق بعين القلب ، فإننا كذلك الطفل فى هذا الطريق .

— رداؤنا الملون هو الطمع والهوى ، وكل ما يصيبنا ناتج عن طمعنا .

— قد زاد جنوننا وقل عقلنا ، وعشنا أعواما وما زلنا أطفالا .

---

(١) النص الفارسى هو :

تو بلند آوازه بودى ، اى روان
باتن دون يارگشتى دون شدى
صحبت تن تا توانست از تو كاست
تو چنان پنداشتى كافزون شدى
بسكه ديگر گونه گشت آئين تن
ديدى آن تغيير وديگر گون شدى
درين آز آموختى وره زدى
وام تن پذرفتى ومديون شدى
نور بودى ، تار پندارت بكشت
پيش از اين چون بودى ، اكنون چون شدى
(قصيدة رقم ٣٦)

— تحررنا من الروح ، وشغلنا بالجسد ، فما أن مات الجسد ، حتى لبسنا ملابس الحداد[1] .

سخرت پروين فى هذا المثنوى وفى غيره أيضا ممن يهتمون بالجسد ويخلعون عليه أغلى الأردية وأجملها لونا ، ويهملون الروح ويتركونها عارية من كل فضيلة ، لذا فإن العقلاء ورجال الصوفية يهملون الجسد ويهتمون بالروح حتى ولو لبسوا المرقعات لأن الرداء مهما ارتفع ثمنه لن يستطيع أن يرفع من قيمة الجسد الترابى ، ولقد ساقت پروين قصة تدور حول اهتمام الصوفية برداء الروح مضمونها أن عظيما مر بفقير يجلس على قارعه الطريق ، وقد لبس الممزقات ، فتقدم العظيم نحو الفقير وأعطاه رداء ، وقال له : ضع عنك هذه الخرقة فقد بليت وتساقطت عن كتفيك ، وخذ هذا الحذاء أيضا ، ولا داعى للتعنت مع نفسك مادمت تجد من يتصدق عليك بالحذاء والرداء ، فكان مما قاله الفقير رداً عليه ، ما ترجمته :

— قال أيها الصديق : لتكن من أصحاب القلوب ، ولتهتم بالروح ، ولتهمل الجسد.

— لا ترتفع قيمة الجسد الترابى بالرداء ، وإن يعل ، فلن يعلو فى نظرى.

— لتخرب طريق الجسد ، حتى تبقى الروح ، ولتقيد هذا الشيطان ، حتى يبقى الإيمان.

---

(١) النص الفارسى هو .

گر بچشم دل بينم اى رفيق
همچو آن طفليم ما در اين طريق
جامهٔ رنگين ما آز وهوى است
هر چه بر ما ميرسد از آز ماست
در هوس افزون ودر عقل اندكيم
سالها داريم اما كودكيم
جان رها كرديم ودر فكر تنيم
تن بمرد ودر غم پيراهنيم
(مثنوى رقم ٨٨).

— من الأفضل للجسد أن يبتعد عن أى رداء أساسه الغرور .

— وقد منحنى أهل السر الإخلاص ، وكم هو رداء ممتاز لروحى.

— ثم أمسكنا ما أعطاه الشيطان اللعين بهذه اليد ،وألقيناه باليد الآخرى.

— كل خسة مصدرها شيطان النفس ، وكل ظلمة مبعثها ملك الجسد .

— إن كنت فراشة تحلق حول نور الله ،فكيف أحمل منى حذاء وقباء.

— إن تكثر الأردية والقلنسوات ، تحولت الأردية غرورا ، والقلنسوات عجبا .

— لقد حطمناه (الجسد) لأن الروح هى اللب ، أما الجسد فكالقشرة ، ومحنك ذلك الشخص الذى يعرف هذا الرمز .

— إن يطلب الجسد قباء كل يوم ، فلن يبقى لطلعة الروح أى صفاء.

— وإن تبحث الرأس عن قلنسوة فى كل لحظة ، فإن الطبع الخسيس سيسلك فى كل آونة طريقا مختلفا (١)

---

(١) النص الفارسى هو :

بگفت اى دوست ، صاحبد لان باش
بجان پرواز وباتن سرگران باش
تن خاكى به پيراهن نيرزد
وگر ارزد ، بچشم من نيرزد
ره تن را بزن ، تا جان بماند
ببند اين ديو ، تا ايمان بماند
قبائى را كه سر مغرور دارد
تن آن بهتر كه از خود دور دارد
مرا اخلاص اهل راز داد ند
چو جانم جامهٔ ممتاز دادند
گرفتيم آنچه داد اهريمن بست
بدين دست ودر افكنديم از آن دست =

تحدثت پروين عن رداء الجسد بكل ازدراء ، أما حديثها عن رداء الروح وهو الإخلاص فقد أكبرته ورفعت من قيمته ، وهى فى هذا تشارك رأى المتصوفة فى بيان أهميه الإخلاص الذى يعنى فى اللغة ترك الرياء فى الطاعات وفى الاصطلاح تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه . وقيل الإخلاص أن لاتطلب لعملك شاهدا غير الله ، وقيل الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات وقيل الإخلاص ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله (١) :

* * *

وإذا كان الجسد هكذا خسيساً، وكانت الروح صافية شفافة،فلا يصح أن تكون بينهما صداقة ، بل على الروح أن تتخلى عن الجسد حتى لا تجنى منه الخزى والعار ، وقد قالت پروين موجهة الحديث إلى الروح :

= همه پستى ز ديو نفس زايد
همه تاريكى او ملك تن آيد
چو من پروانه ام نور خدا را
كجا باخود كشم كفش وقبا را
كلاه وجامه جون بسيار گردد
كله عجب وقبا پندار گردد
شكستيمش كه چان مغزست وتن بوست
كسى كاين رمز داد ند ، اوستاد او ست
اگر هر روز ، تن خواهد قبائى
نما ند جهره ٔ جان را صفائى
اگر هر لحظه سر جويد كلا هى
زند طبع زبون هر لحظه راهى
(مثنوى رقم ٨٧ ،

(١) تعريفات الجرجانى ، ص : ٦ .

ـــ أيتها الروح المشرقة أنت كالذهب ، كم تعيشين أســيرة سجن التراب .

— أنت جوهرة لبحر الأزل المتلاطم الأمواج ، وفيك النفع لجوهر التحقيق .

ـــ فتخلى عن هذه الجيفة التافهة ، واقطعى هذا الطريق الملىء بالآفة .

ـــ صالحى العقل وأحسنى التفكير ، وطئى بقدمك رأس ثعبان الجسد .

ـــ لا يوجد طاهر فى مثل طهرك ، وليس لأذن الحياة مثل هذا القرط .

ـــ قــد كنت جوهرا مشرقا ، فلم لوثت وجهك بالسواد .

ـــ أنت مصباح مملكة الجسد المظلمة ، وأنت كالشمس المشرقة بين كل الظلمات .

ـــ لخطى سجن الجسد وسارعى بالتحليق ، وفكى هذا القيد البالى عن قــدميك (١)

• • •

(١) النص الفارسى هو .

تو چو زری ، ای روان تابناك
چند باشی بستهٔ زندان خاك
بحر مواج ازل را گوهری
گوهر تحقیق را سوداگری
واگذار این لاشهٔ نا چیز را
در نررد این راه آفت خیز را =

٦ — التحذير عن النفس :

إيمان پروين بالفضيلة والخلق الرفيع يجعلها على غير وفاق مع النفس البشرية الأمارة بالسوء ، النزاعة إلى الشر ، والمقصود بالنفس الإنسانية أنها « المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان . . . وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان ، فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها »(١) :

وكل ما قالته پروين يتفق مع هذا التفسير الصوفى اتفاقا تاما ، ولكى تنفر پروين من النفس البشرية شبهتها بكثير من التشبيهات المنفرة أذكر منها على سبيل المثال :

— نفسك ثعبانك ، فلم تسحر الثعبان ؟ من الأفضل أن توجه سحرك إلى نفسك ، ياجاهلا بها .

= با خرد ، صلحى كن ورائى بزن
كژدم تن رابسر ، پائى بزن
هيچ پاكى همچو تو پاكيزه نيست
كوشى هستى راچنين آويزه نيست
تو يكى تابنده گوهر بوده اى
رخ چرا با تيرگى آلوده اى
تو چراغ ملك تاريك تنى
در سياهى ها ، چو مهر روشنى
محبس تن بشكن وپرواز كن
اين نخ پوسيده از پا بازكن
(مثنوى رقم : ١١٤)

(١) احياء علوم الدين جـ ٨ ص : ١٣٤٥ من طبعة كتاب الشعب .

ـــ هوى النفس كشيطان سيء الطوية ، يا پروين ، وعبادة النفس أكثر سوءاً من عبادة الشيطان .

ـــ يا من أحرقته نار النفس ، قد أضعت السنين عبثا وهباءاً

— يا من أحرقته نار النفس ، قد أضعت السنين عبثا وهباء .

ـــ النفس تمساح جائع ، يا پروين ، لذا يجب أن تقتل بالجوع [1] :

إلى جانب هذه التشبيهات المتفرقة ، يوجد تشبيه آخر للنفس البشرية لم يأت في صورة أبيات متفرقة بل جاء في صورة حكايات كاملة ، وهو تشبيهها بالثعلب المخادع الماكر الذي يردى من يقترب منه قتيلا صريعاً » .

ففي حكاية عنوانها « ثعلب النفس » تحدثت الشاعره عن دجاجة وقعت في قبضة ثعلب فتضرعت وتوسلت أن يتركها من أجل صغارها ، ولكنه لم يأبه بتوسلاتها وسفك دمها ، وقالت پروين معقبة على هذه الحكاية:

---

(١) الأبيات الفارسية هي :

مارخودهم توخودى ، مارچه افسائى
بخود ، أي بيخبر ازخويش ، فسون ميدم
(قصيدة رقم ٢٨)

هواى نفس چو ديويست تيره دل ، پروين
بتر زديو پرستى است خود پرستيدن
(غزلية رقم ١٠٥)

أى شدة سوخته آتش نفسانى
سالها كردة تباهى وهوسرانى
(قصيدة رقم ٣٩)

نهنگك ناشتا شد نفس ، پروين
بيايد كشتنش از ناشتائى
(قصيدة رقم ٤٢) .

— هكذا أصبحنا أسرى ثعلب النفس ، فنحن كالدجاج الضعيف الهزيل [١] .

وتقصد پروين أن الإنسان إذا أصبح أسير هوى نفسه وعبثها فلن يستطيع النجاة لأنها ستشدد من قبضتها دائما لتفتك به .

وفى حكاية أخرى تدور فى فلك السابقة مع اختلاف الحيلة ، قصت أن ثعلبا تظاهر بالصلاح والتقوى وافتتح متجراً أسمته پروين « متجر الرياء » فاقتربت دجاجة من هذا الثعلب فدعاها لكى يبيعها ذيلا جميا لتبدو فى شكل الثعالب ، وما أن خطت أول خطوة داخل المتجر لترى الذيل حتى انقض عليها وفتك بها ، فقالت پروين :

— على هذا المنوال تعمل النفس الشريرة ، فهى تحاول أن تجد طريقها إليك دواما .

— حتى تلوى رأسك فى ذلك الطريق ، وحتى تحرقك فى تلك النار [٢]

وبعد أن وضحت پروين حقيقة النفس البشرية وحقيقة فعلها ، فلاينتظر

---

(١) البيت الفارسى هو :

اسير روبه نفس ، آن چنانيم
كه گوئى بر شكسته ما كيانيم
(مثنوى رقم ١١٣)

(٢) النص الفارسى هو :

بر سر آنست نفس حيله ساز
كه كند راهى سوى راه توباز
تا در آن ره ، سر بپيچاند ترا
وندر آن آتش بسوزاند ترا
(مثنوى رقم ١٠١)

منها إلا أن تحذر قارىء ديوانها من هذه النفس الآثمـــة ، ومن السير فى ركابها أو الاقتداء برأيها فقالت :

— إن تستطع التخلص من دوامة النفس ، فإنك تتخلص بذلك من كل المصائب .

— لاتـكن عبد نفسك ، فعبادة النفس كثيراً ماتحيل الملاك الطاهر القلب شيطانا .

— لاتلوث أطرافك ، بل كن من الأطهار ، ولا تـكن عبد النفس بل كن من الأحرار .

— لاتطلبى العزة ـ يابروين ـ من النفس الخسيسة ، لأن سفينة الرأى هذه ضالة عاجزة [١] .

* * *

(١) الأبيات الفارسية هى :

زگرداب نفس ار توانى رهيدن
زگردابها خويش را وارهانى
(قصيدة رقم ٤١)

بندگى خود مكن كه خويش پرستى
كرده بسى پاكدل فرشته شيطان
(قصيدة رقم ٣٠)

دامن آلوده مكن ، چونكه زپاكانى
بندهٔ نفس مشو : چونكه ز احرارى
(قصيدة رقم ٣٨)

عزت از نفس دون مجو ، پروين
كاين سيه راى ، گمره و رسواست
(قطعة رقم ١٥٨)

٧ — التحذير من الشيطان :

تحذير روين من النفس البشرية لابد وأن يمتد إلى قرينها الأول ، وهو الشيطان ، فالنفس لا تقـدم على أى عمل سيء إلا بدفع وتأثير من الشيطان ، لذا يجب على الإنسان ألا ينساق لرغبات النفس وألا يخدع بوساوس الشيطان ، بل يجب عليه أن يقيدهما حتى يضمن الحياة بلا هوى ولا طمع ، وقد قالت روين منفرة من الشيطان والنفس معا :

— من الأفضل أن يكون سحر الشيطان بلا تأثير ، ومن الأفضل أن تقيد عدوى النفس بالسلاسل[1].

ومن اتخذ الشيطان مرشدا فقد ضل الطريق وهام على وجهه فى متاهاته لأنه يهديه سبيله ويوضح له مراحل طريقه بل على النقيض من ذلك سيضلله :

— عجبا ، إن هذه الطريق ليست طريق الله ، لذا فالشيطان مرشدها .

— وما أكثر القوافل التى مضت فى هذه الطريق ، ولم يعرف أى شخص قط أين المقصد[2].

---

(١) البيت الفارسى هو :

فسون ديو ، بى تأثير خوش تر
عدوى نفس ، در زنجير خوشتر
(مثنوى رقم ٧٣)

(٢) البيتان الفارسيان هما :

اى عجب اين راه نه راه خداست
ز انكه در آن اهرمنى رهنما ست
قافله بس رفت از اين راه ، ليك
كس نشد آگاه كه مقصد كجاست
(قصيدة رقم ٨)

ومهما أعطى الشيطان عهودا ووعودا بأن يكون مرشـــدا هاديا لا مضللا ، فلن يفى بعهوده ووعوده لأنها عهود كاذبة يجب التحرز منها ، وعدم تصديقها ، وفى هذا تقول پروين ما ترجمته :

— الشخص الذى أعطى الأمان للص ، قد أسلمه طناب اللصوصية بيده .

— عهد الشيطان ليس عهدا ، فهو لا يحرق قلبه أو أطرافه كمدا على أحد.

— لا تفتح باب القلب أمام الشيطان ، فإن فتحتـــه ؛ فستعدم الاستقرار (١).

وأكثرت پروين من تحذير قارئيها من الشيطان ووساسه ، ومما قالته :

— سجل الشيطان كله عبث وفساد ، ومن الأفضل ألا تقرأ هـذا السجل ولا عنوانه .

— لا تأكل أيها الصديق فاكهته ولا شهده ، ولا تشتر أيها الرفيق حريره ولا كتانه .

---

(١) النص الفارسى هو :

كسى كاو رهــزنى را ايمنى داد
بدست او طناب رهزنى داد
نه سوگند است ، سوگند هريمن
نه دل ميسوزدش بركس ، نه دامن
در دل را بروى ديو مگشاى
جو بگشودى ، ندارى خويشتن جاى

(مثنوى رقم ١٤٢)

— فلا وجود لحرف صحيح واحد فى كتابه ، ولا وجود لمثقال واحد سليم بميزانه (١).

......

الملاحظ أن پروين فى تحذيرها القارىء من الشيطان تابعت العقيدة الإسلامية وكل الشرائع السماوية التى وصفت الشيطان بأنه يمثل قوى الشر التى تزين للانسان طريق الخطيئة وتدفعه إلى إرتكابها ، وهذه المتابعة تتفق ومنهجها الإصلاحى التهذيبى .

* * *

٨ ـ ذم الدنيا :

قابلت پروين بين الدنيا والآخرة ، واتجهت فى ذلك الوجهة الإسلامية ومضمونها أن الدنيا دار رحيل وفناء ، أما الآخرة فدار بقاء واستقرار ، وعلى المرء أن يعمل فى دنياه لآخراه ، وأن يتخلى عن الفانية أملا فى الباقية ، فقد قالت پروين :

— هذه الدار الفانية دار رحيل ، فامض باحثا عن عالم الخلود .

---

(١) النص الفارسى هو :

نامهٔ ديو تباهيست ، همان بهتر
كه نه اين نامه بخوانيم ، ونه عنوانش
مخور اى يار نه لوزينه ونه شهدش
مخر اى دوست نه كرباس ونه كتانش
نه يكى حرف متينى است در اسنادش
نه يكى سنگ درستى است بميزانش
(قصيدة رقم ٢٤)

— أشحنا بوجوهنا بعيداً عن النور وجلسنا فى الظلمة ، كما تخلصنا من الباقية وأمسكنا بتلابيب الفانية [١].

ولكى تنفر بروين القارىء من هذه الدار الفانية ، شبهتها بالكثير من التشبيهات المنفرة أذكر منها على سبيل المثال :

— ما أكثر ما سقطت حائرا فى خرابة الدنيا ، وقد سلبك الشيطان بالحيلة هذه الكنوز بلا مقابل .

— كن حارسا واعرف لصك ، ففى كل طرف من الدنيا كمين .

— أساس قصر الدنيا قائم على سطح الماء ، وخرابه يتم فى طرفة عين [٢].

---

(١) البيتان الفارسيان هما :

گذشتنگه است اين سراى سپنجى
برو باز جو دولت جاودانرا
(قصيدة رقم ٣)

بگردا نديم روى از نور وبنشستيم با ظلمت
رها كرديم باقى را وبگرفتيم فانى را
(قصيدة رقم ٤)

(٢) الأبيات الفارسية هى :

ز بس مدهوش افتادى تودر ديوانه كيتى
بحيلت ديو برد اين گنجهاى را يگانى را
(قصيدة رقم ٤)

تو عسس باش ، ودزد خود بشناس
كه جهان ، هر طرف كينگاهى است
(قطعة رقم ١١٠) =

كما قالت فى إحدى قصائدها :

— الجميع قتلى خنجر الدنيا ، فهى لم تحترم صديقا ولا عدوا .

— من ذا الذى أكل عسلا من هذه الخلية بلا سم ؟ ومن ذا الذى قطف وردة من هذا البستان بلا شوك ؟

— هذه الطاحونة الفاجرة الدائرة ،قد سحقت آلاف الرؤوس والرقاب.

— وذات يوم سنُحمل بلا ريب ، من هذه الدار البالية عديمة الباب والنافذة (٢).

وإذا كانت الدنيا دار بلاء وكوارث ، فالعاقل من يتجنبها :

= شالودهٔ کاخ جهان برآبست
تاچشم بهم بزنی خرابست
(قصيدة رقم ١٠) .

(٢) النص الفارسى هو :
کشته است همارهٔ خنجر گیتی
نه دوست شناختست نه دشمن
بی نیش ، عسل که خورد ازین کندو
بی خار ، که چید گل ازین گلشن
این بیهنر آسیای گردنده
سائیده هزارها سر و گردن
مارا ببرند بی گمان روزی
زین کهنه سرای بی در وروزن
(قصيدة رقم ٣٢)

— العاقل من أسعده الهم ولم يحزنه ، واليقظ من لم تكتحل عينه بملك الدنيا[1].

والغرض الذى ترمى إليه پروين من ذم الدنيا هو الزهد فيها والابتعاد عن زخرفها الكاذب ، وقد كانت پروين بطبيعتها زاهدة فى الدنيا ، غير مقبلة عليها ، تفضل الانزواء فى عالمها الخاص دون الاختلاط والتمتع بمباهج الحياة التى تحدث الشعراء عنها فى شعرهم ، ولكن پروين ترى أن هذه المباهج خرافة ، وأن السعادة لا توجد فى الدنيا بل فى الابتعاد عنها ، وهى القائلة :

— حديقة الوجود قرينة لشباك النوائب ، الإقبال فيها خيال والسعادة خرافة[2].

ولهذا فالدعوة إلى ترك الدنيا دعوة نابعة من وجدان الشاعرة ومن إحساسها بالكآبة وقد سبق التحدث عن هذا الاحساس بالكآبة فى الفصل الثالث من الباب الأول .

* * *

(١) البيت الفارسى هو ،

هشيار آنكه انده نيك وبدش نبود
بيدار آنكه ديده بملك جهان نداشت
(قصيدة رقم ١٤)

(٢) البيت الفارسى هو ،

باغ وجود ، يكسره دام نوائب است
اقبال ، قصه اى شد ودولت ، فسانه اى
(قصيدة رقم ٨)

٩ - العشــق :

كان حديث پروين عن العشق حديثاً سريعاً ، فلم يحظ منها إلا بقليل من الاهتمام ، وحديثها عن العشق ليس الغرض منه الحب الماجن أو الحب الذى يستلزم النواح والبكاء على الأطلال ، والسهد طوال الليل ، والامتناع عن الأكل والشراب ، مما يؤدى بصاحبه إلى الجنون ولكن حب پروين وعشقها كما يتضح من خلال شعرها كان حبا طاهرا نقيا ، كان حب الروح لا حب الجسد ، وبمعنى أصح كان حبا صوفيا أكثر من كونه حبا بين آدم وحواء ، لذا آثرت أن أتعرض للعشق فى ديوان پروين ، على أنه عشق صوفى ، على الرغم من أن بعض أبياتها تصلح للتعبير عن العشق الجسدى ولكن هذا النوع الأخير جد قليل ، فعشقها الصوفى يطغى على غيره ، مما جعلنى أتقبله كله على أنه عشق صوفى ..

وعلى عادة الصوفية نجد پروين تشبه العاشق بالفراشة التى تذوب فى المحبوب ، وكالبلبل الذى يقدم روحه نثارا من أجل معشوقته الوردة ، وقد عبرت پروين عن هذه المعانى فى غزلية عنوانها « از يك غزل » يحمل بى أن أذكر أبياتها كلها ثم أعلق عليها بعد ذلك :

— كانت بارحتنا بلا سحر ، لاختفاء طلعة الحبيب ، كما ذاب الشمع وانصهر ، وما كان لى ولا لقلبى أى أثر .

— وما أشرقت الشمس المرتفعة من المشرق ، كما أختفى القمر لحصار الفلك له .

— لقد عاد الطبيب مريضه ، ولكن ، ضاعت الفرصة فلا جدوى من الدواء .

— هل تعرف متى تجدد شباب سهراب ، لقد حدث هذا حين لم يعبأ بجسده الترابى .

— وبالبارحة ، رأى بلبل حبيس القفص وردة ، فنثر روحه ، وتمنى الخلاص مرة أخرى ، ولـكن بلا جدوى .

— فلم يحرك أجنحته منذ وُضع فى القفص ، وكأن هذا الصيد التعس ، عديم الجناح .

— وماذا ابت الفراشة إلا شوقا فى النار ، وما أن رأت الشعلة متقدة حتى فقدت صبرها .

— ولتسمع منى ، أن هذا الابن الذى لا يستمع إلى نصح أبيه جهلا وعجبا ، لا خير فيه .

— ما جنى حصادا فى موسم الحصاد ، ذلك الشخص الذى لم يبذر بالمزرعة بذورا وقت العمل .

— لقد عنيت بدموعى وكأنها جوهر ، حتى لا تقول أن بحر العين قد خلا من الجوهر[1].

---

(١) النص الفارسى هو :

پیروی دوست ، دوش شب ماسحر نداشت
سوز وگداز شمع ومن ودل اثر نداشت
مهر بلند ، چهره ز خاور نمینمود
ماه از حصار چرخ ، سر باختر نداشت
آمد طبیب برسر بیمار خویش ، لیك
فرصت گذشته بود ومداوا ثمر نداشت
دانی که نوشداروی سهراب کی رسید
آنکه که او ز کالبدی بیشتر نداشت
دی ، بلبلی گلی زقفس دید وجانفشاند
باردگر امید رهائی مگر نداشت =

تحدثت پروين ـ كعامة شعراء التصوف ـ عن البلبل والفراشة وفنائهما من أجل محبوبهما بل فى محبوبهما ، كما أشارت پروين إلى عذاب الحياة بلا حبيب ، فإن يختف الحبيب يختف معه الإشراق والضياء وتعم الظلمة جميع الأرجاء ، وعلى المحبوب أن يهمل جسده فى الحب ويعنى بعشق الروح ..

وإلى جانب الحديث عن العشق ، فعلت پروين كما كان يفعل شعراء الغزليات بأن ضمنت الغزلية بعض النصح بما يتفق واتجاهاتها فى الحياة من تمجيد للعمل وتقديم النصح للأبناء ، أما السابقون فكانوا يضمنونها النصح أحيانا والمديح أحيانا ، وذلك عندما تقدم الغزلية لحاكم أو أمير ، ولكن المديح لم يكن يتفق وشخصية پروين ، وهذا ما يعطى غزليتها طابعا خاصاً مميزا عن غزليات غيرها من الشعراء .

ويأتى بعد ذلك حوار طريف ساقته پروين بين العين والقلب ، يدور حول :

= بال وپرى نود چو بدام اندر اوفتاد
این صید تیره روز مگر بال وپر نداشت
پروانه جز بشوق در آتش نمیگداخت
میدید شعله در سرو پروای سر نداشت
بشنو زمن ، که نا خلف افتاد آن پسر
کزجهل وعجب ، گوش به پند پدر نداشت
خرمن نکرده ، توده کسی موسم دور
در مزرعی که وقت عمل بزگر نداشت
من اشك خویش را چوگهر پرورانده ام
دریای دیده تاکه نگوئی گهر نداشت
(غزلية رقم ٥٦)

أيهما أسبق فى مضمار العشق العين أم القلب ؟ يحسن أن نذكر ترجمة لمعظم أبيات المثنوى ثم نعلق عليه بعد ذلك :

— شكت العين ذات يوم إلى القلب قائلة : لقد اضطرب أمرى بسببك

— لقد أسلمتك يد الشوق إلى الريح ، كما اقتلع سيل الدموع ما كان لى من بنيان .

— النار مكان طوافك ، أما مكان طوافى فالماء ، ولقد برئت أنت من الراحة ، وبرئت أنا من النوم .

— قد سببت لى ولنفسك السمعة السيئة ، وذلك لكثرة تخيلاتك الرعناء .

— لقد أصبح مقرى نبع دم ، وذلك منذ اليوم الذى تملكك فيه الفتون .

— كم ترغب فى زوال دولتك ، مع أنك سلطان فى عالم الجسد .

— لم يجب كل هذا الغرور ؟ ولم أصبحت أسير كل حبة فى أى شبكة ؟

— كم أصبحت قرينا للجنون ، وكم بحثت عن الحقيقة بين خرافة !

— لقد ثارت أمواج الفتنة فى بحر العشق ، وكل من تحدث عن الأحبة أصابه الهزال .

— فقال : أيتها الصديقة ، كم أصابتنى طعنات سهامك فى هذا الأمر .

— مضيت واتخذت منى رفيقا ، ثم زججت بى فى سجن العشق .

— لوث عملك أذيالى ، فالرؤية لك أولا ، ثم تتأتى الرغبة منى .

— كان لى فى طفولتى شوق آخر ، وكان خيالى خاليا من هذه الأحداث .

— لم أتحمل هم الشهرة والسمعة ، ولم أكن أسير أى قيد أو شبكة .

— لم أسأل عن الهجر والوصال ، ولم أعرف شيئاً عن النقص والكمال.

— أنت قرأت القليل عن العشق والوصل والمحبة والهجر ، أما أنا فقد قرأت الكثير .

— أنت حديث الأمس ، أما أنا فحديث اليوم ، أنت أستاذة فى هذا الطريق ، أما أنا فتلميذ جديد .

— لقد قلت إن طريق العشق طاهر من الفتنة ، ولكن ما رأيته انا ، ليس إلا دوامة مهلكة .

— جملتك الرغبة فى الوصل راضية مسرورة ، أما أنا فقد مزق الهجر كل عرق منى ونبض .

— أذا ألقى حجر من محلة الحبيب ، فإنه يصيب منك القدم ، بينما يصيب منى الرأس .

— وإذا أطلق المعشوق سهما من قوس حاجبه ، فسيصيب منك الرداء ، ولكنه يصيب منى الروح [1].

---

(١) النص الفارسى هو :

شكايت كرد روزى ديده بادل
كه كار من شد اوجور تو مشكل
ترا دادست دست شوق برباد
مرا كندست سيل اشك ، بنياد
ترا گرديد جاى آتش ، مرا آب
تو زاسايش برى كشتى ، من اوخواب =

= وبس کاندیشه های خام کردی
مرا وخویش را بدنام کردی
از آنروزی که گردیدی تو مفتون
مرا آرامگه شد چشمهٔ خون
تواندر کشور تن ، پادشاهی
زوال دولت خود ، چند خواهی
چرا باید چنین خود کام بودن
اسیر دانهٔ هر دام بودن
شدن همصحبت دیوانه ای چند
حقیقت جستن از افسانه ای چند
زبحر عشق ، موج فتنه پیداست
هر آنکودم وجانان زد ، زجان کاست
بگفت ایدوست ، تیر طعنه تا چند
من ازدست تو افتادم درین بند
تو رفتی ومرا همراه بردی
بزندانخانهٔ عشقم سپردی
مرا کار تو کرد آلوده دامن
تو اول دیدی ، آنگه خواستم من
مرا در کودکی شوق دگر بود
خیالم زین حوادث بی خبر بود
نه میخوردم غم ننگی ونامی
نه بودم بستهٔ بندی ودامی
نه میپرسیدم از هجر ووصالی
نه آگه بودم از نقص وکمالی =

حوار طريف ولا شك ، تحاول العين فيه أن تلقى التبعة فى مجال العشق على القلب ، ويحاول القلب أن يخلى طرفه ويتهم العين بأنها هى التى زجت به فى هذا المضمار . سواء أكان البادىء بالعشق العين أم القلب ، فالعشق قد وقع فعلا ، وبدأ القلب يقاسى الآلام وعدم الراحة وينزف دما نتيجة لهذه الآلام المبرحة ، كما أن العين قد جفاها النوم وأنهمرت دموعها غزيرة ، كما أن العشق يفقد القلب سلطانه ويصيبه بالهزال والضعف ويشعره بالذلة والهوان أمام معشوقه ، وفى النهاية تكون نتيجة العشق أن يفقد العاشق السيطرة على نفسه ويصبح قريبا من حالة الجنون .

والملاحظ أن الحديث عن المسبب للعشق هل هو القلب أم العين ، قد تحدث عنه من قبل كل من سعدى وبابا طاهر العريان ، وهما من كبار شعراء التصوف والأخلاق فى إيران ولكن ليس بالإفاضة التى تحدثت بها پروين

—

= ز عشق ووصل وهجر وعهد وپيوند
تو حرف خواندى ومن دفترى چند
تواز ديروز گوئى ، من از امروز
تواستادى درين ره ، تمن نو آموز
توگفتى راه عشق ازفتنه پاكست
چو ديدم ، پرتگاهى خوفناكست
ترا كرد آرزوى وصل ، خرسند
مرا هجران گسست ارهم ، رگ وبند
اگر سنگى ز كوى دلبر آمد
ترا برپاى ومارا بر سر آمد
پتى ، گر تير ز ابروى كمان زد
ترا برجامه وما را بجان زد
(مثنوى رقم ١٠٦)

اعتصامى ، وستكون مناقشه هذا التأثير فى الفصل التالى من هذا الباب عندما أتحدث عن تأثر پروين بكبار الشعراء السابقين .

وملاحظة أخرى أن هذا المثنوى وكذلك الغزلية السابقة يمكن أن يفسر العشق فيهما على أنه عشق صوفى أو حب عذرى ، لأن التصريح بنوع هذا الحب لم يرد فى كليهما ، ولكن پروين تحدثت عن العشق الصوفى صراحة فى مثنوى آخر اختارت له عبارة « عشق الحق » عنوانا ، وقد جاء على هيئة حوار بين عاقل ومجنون حيث قال العاقل المجنون : لماذا ترضى لنفسك الضرر فالكل يعتدى عليك والأطفال يضمون الطين على رأسك ، ويحرق البعض أطرافك وأنت غير عابىء بما يصيبك ، فما أكثر الأطباء بالمدينة ، يجب عليك استشارة أحدهم فى أمرك ، قال المجنون : كم أنا سعيد بهذه الحال إننى أكثر حكمة من العقلاء ، كل ما أراه جلال فى جلال ، وذلك بعد أن تخليت عن نفسى ووجدت الله عز وجل ، تلك الحالة التى تسميها جنونا هى فى الواقع إخلاص للحق تعالى ، إنك تنصحنى بزيارة طبيب ، ولكن لا طبيب إلا الله وحده .

وهذه ترجمة لبعض ما قاله المجنون :

— قال (المجنون) لقد ارتكبت العديد من مظاهر الجنون ، حتى أرى جلوة الخالق .

— وأنت يا فلان ، تطلق على لقب مجنون ، ولكننى أكثر حكمة من العقلاء .

— إذا كان كل عاقل مجنونا مثلى ، لكثر العقلاء والحكماء بالدنيا .

— العارفون الذين أدركوا هـــذه الحقيقة ، تخلوا عن أنفسهم ، ووجدوا الله .

— كل ما أراه جلال فى جلال، ولـكن ماذا ترى أنت غير الوهم والخيال؟

— كل ما أراه جنة فى جنة ، وماذا ترى أنت غير التراب والآجر ؟

— لما كانت طبيعتى من طين ولست نورانيا ، فليس بعيدا أن يضعوا الطين على رأسى .

ـ لقـــد حزت كنوزا تفوق الإحصاء ، ورأيت الذرات التى أصبحت شمسا .

ـ إذا كان عشق الحق قد أحاطنى بلهيبه ، فكيف أعرف أن يدى قد احترقت .

ـ وإن كان هجره قد أجلسنى وسط الرماد، فقل لمن ينثر الرماد ، لتنثر.

ـ أنت تسمى الإخلاص جنونا ، فكيف تستطيع علاج هذا الألم .

ـ إن كنت تخبرنى عن طبيب ، فأنا لا أرى طبيبا واحدا فى الدنيا

ـ ولمَ أعرف مكان ذلك الطبيب ؟ وأنا أعرف طبيبا واحـــدا ، هو الله[1]

---

(١) النص الفارسى هو :

گفت ، من ديوانگى كردم هزار
تا بديدم جلوهٔ پروردگار
تو مرا ديوانه خوانى ، أى فلان
ليك من عاقلترم از عاقلان
گر كه هر عاقل ، چو من ديوانه بود
درجهان ، بس عاقل وفرزانه بود
عارفان ، كاين مدعا را يافتند
گم شدند از خود ، خدارا يافتند =

هكذا كان الفناء في المعشوق الأزلى وهو الله عز وجل، باعثا لبعض التصرفات والأفعال التى يصعب على العقل البشرى العادى أن يفهم كنهها أو يعرف المغزى من إثباتها أو الدافع إلى القيام بها ، فاعتبرها جنونا ، لأن ما يصدر من العاشق تجاه المعشوق الأزلى يخرج عن نطاق العقل البشرى العاجز عن إدراك هذه المرحلة التى تولدت نتيجة لإخلاص العاشق ، وقد سبق لى أن

= من همى بينم ، جلال اندر جلال
توچه مى بينى ، بجز وهم وخيال
من همى بينم بهشت اندر بهشت
توچه مى بينى ، بغير ازخاك وخشت
چون سرشتم از گل است ، ازنور نيست
گر گلم ريزند برسر ، دور نيست
گنجها بردم كه نايد در حساب
ذرهها ديدم كه گشته است آفتاب
عشق حق ، در من شرار افروخته است
من چه ميدانم كه دستم سوخته است
چون مرا هجرش بخاكستر نشاند
گو بيفشان ، هركه خاكستر فشاند
تو ، همى اخلاص را خوانى جنون
چون توانى چاره كرد اين درد ، چون
از طبيبم گرچه مى دادى نشان
من نمى بينم طبيبى در جهان
من چه دانم ، كان طبيب اندر كجاست
ميشناسم يك طبيب ، آنهم خداست
(مثنوى رقم ١٤٠)

ذكرت تعريف الإخلاص عند الحديث عن رداء الروح[1] ، ومن بين هذه التعريفات أنه ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله ، وبالتالى لن يستطيع عقل بشرى أن يدركه ، وجاز أن يسميه جنونا لأنه خرج عن نطاق إدراكه المشوب بالقصور والعجز .

والملاحظ أن پروين نظمت الغزلية والمثنوى الأول قبـــل زواجها ، ونشرا بالطبعة الأولى لذا جاء الحديث فيهما حديثا يمتزج فيه العشق الصوفى بالحب العذرى ، أما المثنوى الأخير فقد قالته بعد طلاقها ، ولم يعد لها أمل فى حب عذرى بعد ذلك ، لذا جاء حديثها صريحا لا لبس فيه ، جاء معبرا عن الحالة النفسية التى بدأت تعيشها الشاعرة بعد فترة زواجها المرير فزاد اتجاهها إلى الزهد والاخلاص فى التعلق بالله عز وجل ، واعتباره المعشوق الجدير بالعشق ، وأنه لا يوجد بين الخلق من يستحق أن تسلمه قلبها .

وعلى كل حال فلم يكن العشق الماجن العابث يتفق وطبيعة الشاعرة وأخلاقهـا ، ويعلق الشاعر بهار على موقف پروين من العشق فى تقديمه للديوان؛ فيقول :

ربما يسألنا القارىء العاشق : ماذا يقول هـذا الديوان فى مجال العشق الذى يعد خير نموذج للشعر ؟ حقاً ، لا يجب أن تغفل الذاكرة هـذا المعنى ، فقد منعت عزة النفس والعصمة المتناهية والعفاف الشاعرة المثالية الخلق من أن تضع قدمها فى هذا المضمار ، ولـكن لو نعيد النظر جيداً ، فلن تظل الصحيفة خالية من العشق ولـكن ليس العشق الذى يبدو فى قصة (ليلى والمجنون) ، العشق الذى يتمثل فى جور الحبيب ، وصفرة الخد ، وجفوة الرقيب وحرقة الفراق ، وآلاف الخرافات الأخرى ، ذلك العشق الذى لا يخرج عن كونه ـ

---

(١) راجع ص : ٢٢٠ من هذا الكتاب .

فى مفهومنا الحديث ـ مجرد ألفاظ تنساب على اللسان تقليداً لطريقة الأقدمين ، هذا العشق وتلك الطريقة المبتذلة لا يمكن أن تجد لهما وجوداً بهذا الديوان، وذلك لأنه مخالف للحقيقة ومغاير لشخصية الشاعرة .

ومن هـذا المعنى الذى نتركه ، نصل إلى العشق الواقعى : ذلك العشق الذى قد طأطأ له الشعـــراء العظماء الرأس ، العشق الذى تعلق بالحقائق والمعنويات والمعقولات ، العشق الذى بنى على أساس بنيان الوجود الإنسانى فمثل هذا العشق كما قلت هو القسم الذى يمثل أساس هذا الديوان .

وفضل شاعرتنا العظيم فى هـذا المجال يبدو فى مقدرتها على معالجة هـذا المعنى العظيم فى كل مجال من أقوالها بشكل جذاب وأسلوب لطيف ، وهى تقدم حقيقة العشق الشبيهة بفاكهة ناضجة منزهة عن الألياف الخشنة والغصن والأوراق التافهة المسمومة لترويجه فى سوق الأدب ، وقد ازدان بصفاء الأثير وطلاوة النور وعذوبة الروح[1] .

الحق كل الحق مع ملك الشعراء محمد بهار فيما قال ، لقد كانت پروين عاشقة للفضيلة والخلق القويم ، عاشقة للخير فى كل صوره ، عاشقة لكل ما يحقق السعادة للمجتمع البشرى ، عاشقة لمصدر الخير فى كل هذا العالم ، عاشقة لله عز وجل. لذا فقد كان حديث العشق عندها ينصب فى قالب صوفى محبب لكل قلب وثيق الصلة بالله كقلب الشاعرة نفسها .

---

(١) انظر مقدمة بهار لديوان پروين ، ص : يه من مقدمة الطبعة الخامسة .

تعليق عام على شعر پروين الصوفى :

كانت النزعة العرفانية ذات أثر كبير فى شعر پروين اعتصامى ، فالقسم الأول من الديوان ، وهو قسم القصائد لا تكاد تجد فيه قصيدة واحدة خلت من إشارة صوفية ، ومن دعوة إلى الزهد والتخلى عن الدنيا ، سواء جاءت هـذه الإشارة فى عدة أبيات أو حتى فى بيت واحد ، كما أن القسم الثانى من الديوان وهو قسم المثنويات والقطع والذى يمثل شخصية پروين تمثيلا حقيقياً فقد جاء غاصاً بالإشارات الصوفية ، بل بالمثنويات الصوفية والحكايات العرفانية التى شملت وحدات بأسرها .

وعلى الرغم من أن پروين تابعت كبار شعراء إيران فى هـذا المجـال ، إلا أن طبيعتها كانت تتفق وهـذه المعانى الصوفية ، ولهذا وفقت فى كثير مما قالته حيث خرج من قلب زاهد وروح صافية طاهرة .

وتصوف پروين كان معتدلا غاية الاعتدال ولم تـكن للشطحات أثر فيه على الإطلاق وذلك لأن طبيعة العصر لم تعد تتفق والتصوف الداعى إلى التواكل والاعتماد على الغير ، أو التصوف الذى يحط من شأن العقل وإهماله فى كل أمور الحيـاة ، أضف إلى ذلك أن پروين كانت مصلحـة اجتماعية ومربية تربوية ، فلو جنحت إلى الشطحات وأهملت العقل ومنطقه ، لاتهمت بالقصور الفـكرى ، ولما استجاب القارئون لدعوتها الإصلاحية ، كما أن پروين خرجت إلى الحياة العملية تشارك فيها بتربية النشء وتـكسب قوتها بعملها على الرغم من عدم احتياجها أو احتياج أسرتها لما تتقاضاه من عملها بالمدرسة الأمريـكية ، ولذا نجد پروين تهتم جداً بالدعوة إلى العمل وتشيد به وتمجد العاملين وتخالف فى هذا دعوة بعض الصوفية إلى ترك العمل .

وكثرة الموضوعات الصوفية التى تحدثت عنهـا پروين جعلت واحـداً

من كتاب العصر الحديث وهو الدكتور شكيبي مدير مجلة « كيفر » يكتب مقالا بعنوان « پروين اعتصامي أعظم شعراء التصوف في إيران » وينشره في مجلة « إيران ما » في الحادى والعشرين من شهر آبان ١٣٢٢ ش أى بعد وفاة پروين بعامين[1] . ولكن هذا القول مبالغ فيه جداً ، ويتسم بالمجاملة وعدم الدقة .

وهكذا كان إدراك پروين للمسائل العرفانية لا بأس به ، فقد تحدثت عن كثير من مسائل التصوف وإن لم يكن حديثها بالعمق الذى نجده عند كبار المتصوفة أمثال جلال الدين الرومى والعطار وابن عربى وغيرهم إلا أن هذا القدر من المعرفة يعد عظيما بالنسبة لصغر سنها ، كما يمثل جانباً هاماً من جوانب ثقافة الشاعرة التى اكتسبتها عن طريق قراءة دواوين السابقين واتفاقه وطبيعتها الهادئة المتزنة .

---

(١) راجع نص المقالة فى : مجموعه مقالات . . . ص ٥٣ — ٥٥.

الحرية والوطنية فى شعر پروين

كانت إيران إبان النصف الأول من القرن العشرين — وقتما كانت تعيش پروين — نهباً لأطماع المستعمر الغربى المتمثل فى روسيا وانجلترا ، وقد وصل التنافس الاستعمارى فيما بينهما إلى درجة من التأزم أجبرتهما فى عام١٩٠٧م على وقف حد لهذا التطاحن بتقسيم أرض إيران إلى منطقتى نفوذ فيما بينهما .

وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التى بذلها بعد ذلك ابن إيران الشاه رضا الكبير لتحرير إيران من أى تدخل أجنبى ، إلا أن إعلانه حياد إيران خلال الحرب العالمية الثانية لم يرق للدول الاستعمارية ، فهاجمت الجيوش الروسية والانجليزية إيران ، وأجبروا الشاه رضا على التنازل ومغادرة البلاد

وأمام هذا الوضع السياسى الذى كانت تعيشه إيران وكل دول الشرق، وجدنا شاعرتنا پروين على الرغم من كراهيتها للعمل السياسى ، تتحدث عن الوطنية والحريه داعية إلى الحفاظ عليهما ، والبذل فى سبيلهما ، وإن كان حديثها جاء مقتضبا وسريعاً .

وفى رأى پروين أن الشعور بالسيادة وبالوجود فى الحياة يرتبط بوجود الحرية ؛ حيث قالت :

— السيد هو من يكون حرا ، ياپروين ، والسيدة هى من يكون الفضل حليتها . (١)

---

(١) البيت الفارسى هو :
خواجه آنست كه آزاده بود ، پروين
بانو آنست كه باشد هنرش زيور
(قصيده رقم ٢٢)

والحرية لا توهب أبدا وإنما تنتزع انتزاعا من غاصبيها ، لذا يجب على الإنسان أن يجاهد ويكافح من أجل حريته ، وقد قالت پروين موجهة حديثها إلى طائر أسير الشباك :

— أيها الطائر الكامن فى الشبكة ، لتنهض فقد حطمت الشبكة .

— حرك جناحيك وتبختر فى الفضاء ، فلقد تحطم جناح صائدك .

— ما أكثر الطيور الضالة مثلك ، ولكنها بحثت عن طريق الخلاص ولاذت بالفرار .

— وفى النهاية استقر بها المطاف فى زاوية العافية ، وذلك بفضل اجتهادها وسعيها .

فالمجتهد دواما حر طليق (١)

وقالت أيضا داعية للكفاح من أجل الحرية :

---

(١) النص الفارسى هو :

ای مرغك رام گشته در دام
بر خيز كه دام را گسستند
پر ميزن ودر سپهر بخرام
كز پر شكن تو ، پر شكستند
بس چون تو ، پرندگان گمنام
جستند ره خلاص وجستند
با كوشش وسعى خود ، سرانجام
درگه شه عافيت نشستند
كوشنده هميشه رستگاراست
(تركيب رقم ١٩٦)

— سيتحرر هؤلاء المقيدون من قيد العبودية ، إن يحركوا أجنحتهم شوقا إلى الخلاص[1] .

وتحدثت پروين كثيراً عن الحرية على لسان الطير ، منفرة من الأسر مهما كان هذا الأسر فى صورة قفص ذهبى أو حديقة فيحاء ، ومهما كان هذا الأسر فى مصاحبة الملوك وذوى الجاه فقد دعا ببغاء بومة لـكى تنزل ضيفة عليه فى قصر السلطان حيث أعدله قفص من ذهب، وهذه الحياة ـ فى رأيه ـ أفضل من حياة البومة فى الخرابات ، ولـكن البومة رفضت هذه الدعوة مفضلة الخرابة مع الحرية على القصر مع العبودية ، وقالت ماترجمته :

— ماجدوى مصاحبة الملوك إذا انعدمت الحريـــة ؟ ولم نفق وقتنا الغالى رخيصا ؟

— ليس القفص إلا قفصا ، سواء أكان من فضة أو من ذهب ، فصحنه ضيق وكذا سقفه ضيق .

— نحن راضيات بأعشاشنا الخربة ، وأى سعادة فى مـــــدينة شبيهة بالسجن ؟[2]

---

(١) البيت الفارسى هو :

ز قيد بندگى ، اين بستگان شوند آزاد
اگر بشوق رهائى ، زنند بال و پرى
(قطعة رقم ١٨٧)

(٢) النص الفارسى هو :

چه سود صحبت شاهان ، چو نيست آزادى
چرا دهيم گرانمايه وقت را ارزان
قفس نه جز قفس است، ارچه سيم وزر باشد
كه صحن تنگ هما نست و بام تنگ همان =

كما أن پروين دعت إلى ضرورة تشجيع الصناعات الوطنية ، كنوع من الشعور بالمواطنة والحرية ، فقد قالت ماترجمته :

— إن نرض بأرديتنا ، فلم يتملكنا الغم ، إذا كانت الأنسجة الحلبية غالية أو رخيصة ؟

— الثوب الخلق أفضل ألف مرة ، من ذلك الحرير الأجنبي صانعه .[1]

كانت إيران منذ القدم مشهورة بجودة منسوجاتها الحريرية والصوفية اليدوية ونتيجة للانقلاب الصناعى فى أوربا ، واحلال الآلة محل الأيدى العاملة وماتبع ذلك من كثرة الإنتاج الأوربى ورخص سعره وتسويقه فى بلدان الشرق المختلفة ، كسدت صناعة النسيج فى إيران ، حتى شاع القول بأن « من كانت صناعته النسيج فى إيران ، موته أصبح أفضل من حياته » ولهذا شعرت پروين أن الواجب عليها كمواطنة تحب وطنها أن تنبه مواطنيها إلى خطورة إقبالهم على المنسوجات الأجنبية وتشجيعها على حساب المنسوجات الوطنية مما يؤدى إلى كساد سوقها ، وإغلاق مصانعها .

= در آشيانهٔ ويران خويش خرسنديم
چه خوشدليست در آباد ديدن زندان
(قطعة رقم ١٢١)

(١) النص الفارسى هو :
چو بگرويم بکرباس خود ، چه غم داريم
كه حلهٔ حلب ارزان شدست يا كه گران
از آن حرير كه بيگانه بود نساجش
هزار بار بر ازنده‌تر بود خلقان
(قطعة رقم ١٤٥)

إذا كان حديث پروين عن الوطنية والنضال من أجل الحرية جاء سريعا فيجب ألا ننسى أن شعرها، الاجتماعى يعد نوعا من الشعر الوطنى حيث دعت فيه إلى حرية المرأة، ونادت بتحرير الوطن من كل حاكم ظالم، وطالبت بتحرير الإيرانى من ظلام الجهل حتى تنطلق إيران نحو التقدم والازدهار، وهذه دعوات وثيقة الصلة بتحرر الوطن والمواطنين .

* * *

الطبيعة فى شعر پروين

كانت پروين شاعرة رقيقة الإحساس مرهفة الشعور لذا نجدها تطرب لمناظر الطبيعة الحسنة، وتسعد لرؤية الحدائق الجميلة بل إنها تشارك الورود أحاسيسها، لذا فكثيرا ما كانت تواسى الزهور لقصر أعمارها، فقد قالت على لسان وردة :

— ضحكت وردة بحديقة وقت السحر، وقالت: لا يقسم أحد بقصر العمر مثلى.

— لقد عدمت الأمن من الأحداث، إذ تفتحت بالنهار وذبلت بالمساء.

— بقيت فى حضن الخميلة لحظة، ثم انتهى بالنسبة لى زمن الحسن.

— سلب الحر الرونق والبهاء من طلعتى، ولم يعد للونى بريقه الشبيه بضوء القمر.

— إن كان وجهى قد منح فرصة الإشراق، فسرعان ما حرمت منه.

— غدا لن يبقى لى أى أثر، ولن يكون هناك اعتبار للون والرائحة[1].

والحديث عن الورود والحدائق يذكرنا بالربيع وجماله وبهائه، وقد تحدثت پروين عن الربيع فى ديوانها وعن أثره فى الحدائق والزهور ونشره العطر فى الأرجاء، وصفاء الوجود، وتمزيق الشمس لحجب السحب الداكنة التى منعتها من الإشراق طوال فصل الشتاء، وقد ورد ذكر الربيع فى أبيات متفرقة، كما حظى بقطعة كاملة من الأفضل أن أذكر ترجمة كاملة لأبياتها :

الربيع

— فى لحظة إشراق، هب نسيم منعش، فعطر الدنيا برائحة العنبر

---

(١) النص الفارسى هو :

كلى، خنديد در باغى سحرگاه

كه كس را نيست چون من عمر كوتاه =

—لعلك تظن أنه أحضر رسالة من فروردين وخرداد إلى الحديقة والمراعى

— وقام بدور الماشطة ، فزين وجه عرائس الخميلة وجسدها .

— وحرر السرو والشمشاد من قيدهما ، ونظف الغبار عن الصفصاف والعرعر .

— وتناثرت حبات اللؤلؤ المتساقطة من سحابة الربيع على أرض الحديقة.

— وألقت الرياح الذكية خيمة خضراء على قمم الأشجار .

-- ولم يبق بالخميلة غصن واحد ، لم تخلع عليه حلة مزركشة .

-- وتعطر الهواء بالمسك ، لكثرة تفتح البراعم المختلفة

-- وكم صاحب الزمرد الياقوت الأخضر على أطراف الأغصان العالية .

-- وارتدت الوردة رداء من الاستبرق الأحمر ، ووضع النرجس تاجا ذهبيا على مفرقه .

-- وخلع الربيع على طلعة العرائس وشاحا من الحرير الكشمرى

-- وازدانت الخميلة بالسوسن والريحان ، ونقشت الأرض وكأنها

= ندادند ايىنى ازدستبردم

شكفتم روز و وقت شب فسردم
در آغوش چمن ، يكدم نشستم
زمان دلربائى ، ديده بستم
ز چهرم برد گرما ، رونق وتاب
نكرده جلوه ، رنگم شد چو مهتاب
اگر بر چهره‌ام ، تابى فزودند
بدين تردستى ، از دستم ربودند
ز من ، فردا ذگر نام ونشان نيست
حساب رنگ وبوئى ، در ميان نيست
(مثنوى رقم ١٧٦)

صحف أنجليون المصور (١)

— وكانت الشمس المشرقة فى أوج السماء ، تبدو أحيانا وتختفى أحيانا .

— وتبرأ الفلك من الآراء الخبيثة ، وتطهرت الدنيا من الأعمال الدنسة (٢) .

---

(١) المقصود بها لوحات الرسم والصور الجميلة التى خلفها رسامهم المشهور مانى الذى عاصر الساسانيين ، والتى حاول عن طريقها الادعاء بأنه نبى .

(٢) النص الفارسى هو : « نو روز »

سپیده دم نسیمی روح پرور
وزید وکرد گیتی را معنبر
تو پنداری ، ز فروردین وخرداد
بباغ وراغ ، بد پیغام آور
برخسار وبتنی ، مشاطه کردار
عروسان چمن را بست زیور
گرفت از پای ، بند سرو وشمشاد
سترد از چهره ، گرد بید وعرعر
زگوهر ریزی ابر بهاری
بسیط خاك شد پر لؤلؤ تر
مبارکباد گویان ، در فکندند
درختان را بتارك ، سبز چادر
نماند اندر چمن یك شاخ ، کانرا
نپوشاند رنگین حله دربر
ربس بشکفت گونا گون شکوفه
هوا گردید مشکین ومعطر
بمی شد ، برفراز شاخساران
زمرد ، همسر یاقوت أحمر
بتن پوشید گل ، استبرق سرخ
بسر بنهاد نرگس ، افسر زد =

وفى الجانب المقابل تحدثت الشاعرة عن الخريف وأثره المدمر على مظاهر الطبيعة المختلفة وعن أثره فى الحديقة وما يصحبه من رياح هوجاء .

— على أثر هجوم الخريف ، خلا البستان مرة أخرى من الخضرة والورد.

— وانتزعت الورود من أطراف الخمائل مرة واحدة .

— هكذا أثار الخريف كل هذا الاضطراب ، وكأنه قد أمسك وقت المعركة بسيف قارن (١)

— ويحيط طلعة الشمس المشرقة فى كل آوانة بأغلفة من سحبه الداكنة.

— أصبح الهواء مسموما كسم الأفعى ، وأظلمت الدنيا كبئر بيژن . (٢)

= بهارى لعبتان ، آراسته چهر
بكردار پريويان كشمر
چمن با سوسن وريحان منقش
زمين ، چون صحف انگليون مصور
در اوج آسمان ، خورشيد رخشان
گهى پيدا وديگر گه مضمر
فلك ، از پست رائيها مبرا
جهان ، ز الوده كاريها مطهر
(قطعة رقم : ٢٠١)

(١) أحد أبطال ايران الأسطوريين ويقال إنه ابن كاوه الحداد الذى أشعل نار الثورة ضد الضحاك .

(٢) بيژن : يقال انه كان حفيد رستم البطل الأسطورى المشهور رأحب ابنة افراسياب التورانى ، فأوقع به افراسياب وحبسه فى بئر ، حتى جاء رستم وأنقذه .

— وحزن البنفسج لما أصاب السمن ، كما تألمت الشقائق لهموم الورد .
— وولى إشراق طلعة النسرين ، كما اضطربت غدائر السوسن .
— وأصاب الحديقة البرق الخارق ، فأحرق فى لحظة واحـــدة محصول البستانى .
— وأدرك الشوك راحته فى منزل الورد وسكن الصقر مكان البلبل .
وأصبح بساط الحديقة الشبيه بالحرير الأدكنى غاية فى الصلابة كالحجر .
وفجأة أصابت الرياح الهوجاء المحملة بالسموم المخيلة بالخراب والدمار
— وذبلت الأغصان والأوراق بكل صوب ، ثم سقطت وكأنها حجر قذف به مقلاع(١) .

(١) النص الفارسى هو :

دگر باره شد از تاراج بهمن
تهى از سبزه وگل زاغ وگلشن
پريرويان ز طرف مرغزاران
همه يكبار برچيدند دامن
خزان كرد آنچنان آشوب برپاى
كه هنگام جدل شمشير قارن
زبس گرديد هردم تيره ابرى
حجاب چهره خورشيد روشن
هوا مسموم شد چون نيش كژدم
جهان تاريك شد چون چاه بيژن =

وتحدثت الشاعرة على لسان ورقة شجرة تحـــاول الهروب من هجوم الخريف المدمر، ولـكن هيهات أن تستطيع الافلات من قبضته المحـكمة القوية، وقد قالت الورقة ما ترجمته :

= بنفشه برسمن بگرفت ماتم
شقايق در غم گل كرد شيون
سترده شد فروغ روى نسرين
پريشان گشت چين زلف سوسن
بباغ افتاد عالم سوز برقى
بيكدم باغبان را سوخت خرمن
خسك در خانهٔ گل جست راحت
زغن درجاى بلبل كرد مسكن
بسختى گشت همچون سنگ خارا
بباغ آن فرش همچون خز ادكن
سيه بادى چو پر آفت سمومى
گرفت اندر چمن ناگه وزيدن
بهر سوئى ، فسرده شاخ وبرگى
بپرتابيد چون سنگ فلاخن

(قصيدة رقم ٣٣)

— هبت ريح السموم عاصفة ، فأطاحت بالرءوس عن الأجساد وبالتيجان عن الرءوس .

— وأسلمت الورود قباءها الأحمر إلى الرياح ، فتعالت أصوات طيور الخميلة بالصياح .

— وما أكثر الأشجار التى اقتلعها الفلك من جذورها ، كما حول السعداء إلى تعساء .

— وتلاشى ما كان للدنيـــا من شباب ، ومن ذا الذى خلدت له هذه السعادة ؟

— وتحطم قلب النرجس ومفرق النسرين ، كما تحطمت قدم القمرى ، وجناح البلبل .

— وتلاشى ما كان للبستان من رونق ، فأية سعـــادة للبستانى بلا بستان ؟

— إذا ما شهر الخريف سيفه ، سالت الدماء الصافية من الغصن والورقة[1] .

---

(١) النص الفارسى هو .

سموم فتنه كرد آهنگ تاراج
زتنها سر ، زسرها دور شد تاج
قباى سرخ گل دادند بر باد
ز مرغان چمن بر خاست فرياد
ز بن بركند گردون بس درختان
سيه گشت اختر بس نيكبختان
به يغما رفت گيتى را جوانى
كرا بود اين سعادت جاودانى =

ومن المناظر المألوفة فى شمال إيران ، وعلى قمم الجبال المحيطة بطهران تساقط الثلوج فى فصل الشتاء ، فتبدو قمم الجبال وأغصان الأشجار وكأنها مغطاة بطبقة من القطن المندوف . وتناولت پروين هذا المنظر فى قطعة كاملة أنتقى منها هذه الأبيات .

— قال البستان للثلج فى شهردى ، كم تتركنا حيارى!

— ما أكثر تساقطك على الخمائل والمزارع ، ماذا سيحدث لو لم تتساقط بعد كل هذا ؟

— ما أكثر الخمائل التى ماتت بسببك ، وما أكثر ما قضيت على الأطيار

— لقد اختطفت آلاف البراعم الحديثة النمو ، ولم تحمل أى بشرى سارة لأى ورقة خضراء .

ـ قال : أيها الصديق ، لتعرف الحب من الحقد ، فــلا يتأتى منا الا العناية والرعاية .

— بفضلى يرتدى الربيع حلته ، كما يكون للبرعمة تذكار منى .

ـ كما أعلم الأشجار المعمرة ، كيف تورق وقتا ، وتثمر وقتا .

= ز نرگس دل ، ز نسرين سر شكستند
ز قمرى پا ، ز بلبل پر شكستند
برفت از روى ، رونق بوستان را
چه دولت بى گلستان باغبان را
چه تيغ مهرگانى بر ستيزد
ز شاخ و برگ ، خون ناب ريزد
(مثنوى رقم : ٦٩)

ـ وبفضلي أصبحت الجميلة كالنقش ، فلمَ تتخيل أن سوء المنظر أنا مسببه؟

ـ لقد اكتسيت دواما بالبياض ، لأن ردائي العفة والطهر .

ـ كم قمنا بالحراسة ليلا ، حتى أتيح للسرو واللعل والورد فرصة النوم .

ـ وقلت للبنفسج وقت الزمهرير : أراغب في النوم ؟ قال : نعم . فاستسلم للنوم .

ـ وقلت للبلبل : الزم العش حتى تأمن صقر الصيد

ـ كما وجد الربيع الدفء من برودتي ؛ وبهذا منحته عمامة السلطنة .

ـ وإذا ساد القحط عاماً ، وحل الضعف وسؤ الطالع ،

ـ فسرعان ما تسري الروح في أجساد هؤلاء الأموات من أمطار الربيع ورياحه .

ـ وتورق الأشجار وتثمر كلها ، وتسمن بعد أن كانت هزيلة .

— وتشرق عينك بطلعة الورد الأحمر ، فليس هذا الانتظار ضربا من العبث .

— ثم أنثر الورود وأمهد الطريق للربيع ، فطريقي لا يصيبه العجز مطلقا .

— ووجدت عروس الوجود زينتها مني ، فاطلب راحتك الآن مني .

— واعلم أنه من علامات النعمة ، أننا قدمنا هذه الخدمة [1] .

---

(١) النص الفارسي هو :

به ماه دى ، گلستانى گفت با برف

كه مارا چند حيران ميگذارى

بسى باريده‌اى بر گلشن وراغ

چه خواهد بود گر زين بس نبارى

بسى گلبن ، كفن پوشيد از تو

بسى كردى بخوبان سوگوارى =

. . .

هزاران غنچهٔ بشکفته بردی
نوید برگ سبزی هم نیاری
بگفت ای دوست، مهر ازکینه بشناس
ز ما ناید بجز تیمار خواری
بهار از دکهٔ من حله گیرد
شکوفه باشد از من یادگاری
من آموزم درختان کهن را
گهی سر سبزی وگه میوه داری
چمن یکسر نگارستان شد از من
چرا نقش بد از من مینگاری
سپیدم زان سبب کردند دربر
که باشد جامهٔ پرهیز کاری
برای خواب سرو ولاله وگل
چه شبها کرده ام شب زنده داری
به خیری گفتم اندر وقت سرما
که میل خواب داری، گفت آری
ز برف آماده گشت، آب گوارا
گوارائی رسد زین ناگواری
بهار از سردی من یافت گرمی
منش دادم کلاه شهریاری
اگر یکسال گردد خشک سالی
زبونی باشد وبد روزگاری
روان آید به جسم، این مردگانرا
زباران وز باد نوبهاری
درختان، برگ وگل آرند یکسر
بدل بر فربهی گردد نزاری =

الملاحظ أن پروین نظرت إلى الثلج نظرة جديدة ، فلم تهاجمه لأنه يقضى على مظاهر الحياة فى الحدائق ، بل دافعت عنه لأنه يحاول أن يعطى كل ما فى الحديقة فرصة للنوم والراحة من عناء العمل المستمر طوال فصول السنة الأخرى ، كما أن الربيع قد حاز مكانته فى قلوب العالمين بفضل هذا الثلج ، فالربيع يأتى بعد موسم تساقط الثلج فينشر الحياة فى الحديقة من جديد ، فيحس الناس بوجوده ، أما إذا كان الربيع يأتى إلى الدنيا وكل شىء يتمتع بحسنه وبهاه ، فلن يشعر أحد بقدمه .

• • •

هذه مجرد أمثلة لتأثر پروین بالطبيعة ، ومن الملاحظ أن ماقالته فى هذا المجال لم يكن الغرض منه الوصف فقط ، بل كانت تفيد منه فى ضرب المثل وتقديم النصح وتطويع هذا الوصف ليخدم أغراضها التعليمية والاجتماعية .

٭ ٭ ٭

= بچهر سرخ گل ، روشن کنی چشم
نه بیهوده است این چشم انتظاری
نثارم گل ، ره آوردم بهار است
ره آورد مرا هرگز نیاری
عروس هستی ازمن یافت زیور
تو اکنون از منش کن خواستکاری
خ ده بر خداوندان نعمت
که ماکردیم این خدمتگذاری
(قصيدة رقم ٦٨)

الفصل الثانى

ثقافة الشاعرة

يقول ربيكا : « تلقت — پروين — ثقافة حديثة فى مدرسة البنات الأمريكية بطهران كما تلقت دراسة تقليدية فى الشعر العربى والفارسى على يد أبيها »(١).

وقول ربيكا يمثل رأى كل من تحدثوا عن ثقافة پروين ، ولكنه رأى غير محدد تحديدا واضحا ، لذا فإن أفضل مصدر للحكم على ثقافة پروين الحقيقة هو ديوانها، إذ هو الميدان الذى تتضح فيه هذه الثقافة ،ما حصلته منها بالمدرسة وعلى يد أبيها ،وماحصلته عن طريق الاطلاع والملاحظة ، وبعد أن استعرضنا أهم الأفكار التى تناولتها الشاعرة فى ديوانها نستطيع استنتاج أهم جوانب ثقافتها .

ومن أهم هذه الجوانب ، جانب الثقافة الدينية حيث يبدو من الديوان أن الشاعرة قد قرأت بعض قصص الأنبياء فأشارت إليها فى إشارات سريعة مقتضبة ، الغرض منها العظة والعبرة ، وقد جاءت هذه الإشارات متفرقة بين ثنايا القصائد والمثنويات ،ولم يحظ أحد من الرسل بحكاية من حكاياتها إلا موسى عليه السلام ، حيث قصت قصة إلقائه فى النيل فى مثنوى بعنوان « لطف الله »(٢).

(١) Iranische Literatur geschiche, p. 379

(٢) مثنوى رقم (١٨٢) من ديوان پروين، الطبعة الخامسة.

ومن بين ما قالته پروين عن الأنبياء عليهم السلام، قولها عن سليمان مشيرة إلى تسخيره الجن وإطاعتهم له .

— إذا كانت الشياطين لا تستطيع مباهاة سليمان ، فمن الأجدر بك أن تتعلم كيف تصير سليمان[1] .

كما أشارت إلى قصة موسى عليه السلام فقالت :

— لن يستطيع ثعبان الدهر مهاجمتك ، ما دمت كالكليم وبيدك العصا[2] .

وهى تشير بذلك إلى إهلاك موسى - بمعجزة من الله - ثعابين السحرة الزائفة ، ومشيرة أيضا إلى مخاطبة الله عز وجل لموسى فى طور سيناء والتى عرف على أثرها باسم كليم الله أو الكليم .

وقالت عنه أيضا :

— لا تكن كبنى اسرائيل كافرا بالنعمة ، وقد أنعم عليهم بالسلوى والمن[3] .

---

(١) تو سليمان شدن آموزى ، اگر ديوان
نتوانند زدن لاف سليمانى
(قصيدة رقم ٣٩)

(٢) حمله نيارد بتو ثعبان دهر
تاچو كليمى تو وديت عصاست
(قصيدة رقم ٨)

(٣) چو اسرائيليان ، كفران نعمت
مكن ، چون هست هم سلوى وهم من
(قطعة رقم ١٢٨) .

وپروین تشیر بذلك إلى قوله تعالى : « يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى »[1]. إلا أنهم كفروا بعد ذلك عندما تركهم موسى تحت رعاية أخيه هارون لفترة من الزمن .

وسليمان وموسى عليهما السلام هما صاحبا الحظوة بين الأنبياء من حيث عدد المرات التى ذكرهما كل نبى ، فقد ذكر سليمان عليه السلام فى ثمانية عشر بيتا . وذكر موسى عليه السلام تسع مرات فى أبيات متفرقة إلى جانب ذلك المثنوى الكامل الذى أشرت إليه قبل قليل .

وإلى جانب قصص الأنبياء ذكرت پروين أسماء بعض سور القرآن الكريم فى الديوان أيضا حيث قالت :

— شعرتا الصفصاف والعناب لا تثمران ، كما أن الشيطان لا يحفظ سورتى طه وتبارك[2] .

ولكن ماذا تقصد الشاعرة بسورة تبارك؟ لعلها تقصد سورة «الفرقان» أو سورة « الملك » حيث تبدأ كل سورة منهما بلفظ « تبارك » .

وقالت أيضا فى القطعة التى خلفتها لتسطر على شاهد قبرها :

— اليوم تسألك من هذه أقوالها ، أن تقرأ الفاتحة ويس على روحها[3] .

(١) سورة طه ، آية رقم ٨٠ .

(٢) بيد خرما وتبر خون ندهد ميوه
ديو طه وتبارك نكند از بر
(قصيدة رقم ٢٢) .

(٣) صاحب آنهمه گفتار ، امروز
سائل فاتحه ويا سين است
(قطعة رقم ٢٠٩)

وأشارت أيضا إلى الأمر الإلهى « جاهدوا » فى قوله تعالى : « جاهدوا فى الله حق جهاده »[1] و كيف فسر الناس هذا الأمر تفسيرا خاطئا ، فقالت :

— كثيرا ما جاهدنا رغبة فى سلوك طريق النفاق ، فانظر كيف فسرنا « جاهدوا » تفسيرا خاطئا[2] .

كما تحدثت روين عن مكانة الكعبة وقصة بنائها وذلك فى حوار طريف بين الكعبة والقلب أكتفى هنا بترجمة بضعة أبيات من حديث الكعبة عن نفسها :

— هكذا حدثت الكعبة نفسها يوم عيد النحر ساعة الإحرام .

— إننى مرآة نور ذى الجلال ، كما أننى العروس المدللة فى محفل الوصال.

— لقد شيدنى بيد إبراهيم خليل الله وجعلنى الله معززة دائمة الصيت .

— لا وجود فى كل بقاع الأرض لمكان طاهر مثلى على الإطلاق .

— ما أكثر أسرى الإخلاص لدينا ، وما أكثر القرابين الخاصة لدينا .

— كم تخلى الملوك هنا عن تيجانهم ، وهنا كم طأطأ العظماء رءوسهم .

— إننى فى عالم الصورة قبلة الأحرار ، وفى عالم المعنى حامية المساكين .

— هنا لا يسمح بامتشاق الحسام ، وليس لشخص أن يعارك آخر مطلقا .

---

(١) سورة الحج ، آية رقم ٧٨ .

(٢) بسى مجاهده كرديم در طريق نفاق
ببين چه بيهده تفسير (جاهدوا) كرديم .
(قصيدة رقم١٥٥) .

— لا وجود هنا للشبكة أو الصياد ، فالصيد هادىء البال ، والطائر حر طليق[1] .

والحق يقال إذ أن ثقافة پروين الدينية لم تكن تتسم بالعمق ، وإنما كانت في مستوى ثقافة المسلم المستنير الذى أتيحت له فرصة الاطلاع على قصص الأنبياء .

---

(٣) النص الفارسي هو :

كه احرام ، روز عيد قربان
سخن ميگفت باخود كعبه ، زينسان
كه من ، مرآت نور ذو الجلالم
عروس پرده بزم وصالم
مرا دست خليل الله برافراشت
خداوندم عزيز ونامور داشت
نباشد هيچ اندر خطه خاك
مكانى همچو من ، فرخنده وپاك
بسى سر گشته اخلاص داريم
بسى قربانيان خاص داريم
در اينجا ، بس شهان افسر نهادند
بسى گردن فرازان ، سر نهادند
بصورت ، قبله آزادگانيم
بمعنى ، حامى افتادگانيم
در اينجا ، رخصت تيغ آختن نيست
كسى را دست بركس تاختن نيست
نه دام است اندرين جانب ، نه صياد
شكار آسوده است وطائر آزاد
(مثنوى رقم ١٥٧) .

وقرأ القرآن الكريم ، وأفاد من هذا الاطلاع وتلك القراءة ، فظهر أثر كل هذا فى إنتاجه بعد ذلك .

وجانب آخر من ثقافة پروين وثيق الصلة بالجانب السابق ، هو الاطلاع على بعض الأفكار الصوفية من خلال قراءتها لشعراء الصوفية الكبار ، فتابعتهم فيما قالوا ، وقد وضح هذا الجانب أثناء الحديث عن الشعر الصوفى فى ديوانها .

وجانب ثالث من جوانب ثقافة پروين هو إلمامها بسير بعض حكام إيران قبل الإسلام وبالقصص التى اتصلت بمشاهير هذه الفترة ، وقد أشارت إلى سيرهم وقصصهم لمجرد العبرة والعظة ولم تتناول حياتهم بقصد الدراسة ، فليس هذا هدفها ، وإنما هدفها فيبدو فى قولها :

— قصص السالفين عبرة ، وكل من مضى له قصة[1] .

وإذا كانت پروين تشير إلى أبطال التاريخ وقصصه من أجل العظة والعبرة فقط ، فلا غرابة فى أن تربط بين ملك پيشدادى وحاكم ساسانى فى بيت واحد ، كما كانت تربط بين ملك إيرانى وآخر يونانى فى بيت آخر ، وليس فى هذا ما يضيرها ما دامت لا تقدم لنا هذه الإشارات التاريخية على أنها سرد لوقائع التاريخ وحقائقه .

وقد ذكرت پروين عدداً كبيرا من حكام وقواد التاريخ الأسطورى الإيرانى وهم : طهمورث وجمشيد وفريدون ، وقارن وزال وابنه رستم ، وبيژن .

---

(١) البيت الفارسى هو :

داستان گذشتگان پنداشت

هرکه بگذشت داستانى داشت

(قصيده رقم ١٥)

وأهم هذه الإشارات ما تعلق برستم والمنازل السبعة ، فقد قالت :

— أين العارف الذى تحرر من مضرة هذه الشياطين الأربعة ؟ وأين السالك الذى لم يتعرض لمشقة هذه المنازل السبعة[1] .

والمنازل السبعة كانت بالطريق الذى سلكه رستم لإنقاذ مليكه (كيكاوس) الذى أسره الطورانيون ألد أعداء الجنس الإيرانى ، ولكى يتمكن من إنقاذه وجب عليه أن يعبر طريقا يضم سبعة منازل أو مراحل ، فى كل منزل منها عقبة ومحنة عليه أن يجتازها ويتغلب عليها ، وهذه المنازل أو المحن هى :

المنزل الأول : كان رستم نائما فهجم عليه أسد ، ولكن حصانه قتله .

المنزل الثانى : ظهر فيه ثعبان ضخم قتله رستم بيده .

المنزل الثالث : جاءت امرأة ساحرة تريد خداع رستم ، فكان نصيبها القتل .

المنزل الرابع : تقدم الجن أولاد على رأس جيش لمحاربة رستم ، ولكن رستم استطاع التغلب عليهم .

المنزل الخامس : أسر فيه رستم الجن أولاد .

المنزل السادس : قطع الجن ارژنگ طريق رستم ، فقطع رستم رأسه .

المنزل السابع : أخضع فيه رستم لطاعته أحد الجن اسمه بيد ، ثم حارب قائد الجن المسمى ديوسپيد وقتله بخنجره الفضى .

---

(١) البيت الفارسى هو .

کو عارفى کز آفت اين چار ديو رست

کو سالکى که زحمت اين هفتخوان نداشت

(قصيدة رقم ١٤)

وأخيرا استطاع رستم بعد اجتيازه هذه المنازل السبعة إنقاذ كيكاوس، وقتل حاكم الطورانيين، ثم العودة إلى إيران مظفرا[١].

والملاحظ أن الشياطين الأربعة هم : أولاد وارژنگ وبيد ودبو سپيد .

ومن حكام إيران قبل الإسلام ذكرت پروين اسفنديار ودارا ، وقد ربطت پروين بين دارا والاسكندر في بيت ترجمته :

— لقد سلبت الشمس والقمر من دارا والاسكندر منطقتيهما الفضيتين وتاجيهما الذهبيين[٢] .

ولعل پروين ربطت بينهما لأن كلا منهما أقام صرح امبراطورية ضخمة واسعة الأرجاء ، ولكنه لم يستطع الخلود ، وهذه قصة الحياة ، وعبرة لكل من يعتبر .

ومن حكام الأسرة الساسانية ومشاهيرها ذكرت پروين بهرا مگور وقباد وأنوشيروان (وقد خصته بقطعة كاملة عبارة على رسالة موجهة إليه من وزيره بزرجمهر)[٣] وهرمز ، وفرهاد وشيرين وأخيراً مانى :

ومن بين ما قالته پروين مشيرة إلى قصة فرهاد وشيرين :

---

(١) ملحق الاعلام بديوان پروين ، الطبعة الخامسة ، ص : ٢٤١

(٢) البيت الفارسى هو :

بربود است ز دارا وز اسكندر

مهر سيمين كمر ومه كله زرين

(قصيدة رقم ٣٥)

(٣) راجع قطعة رقم ١٩٣ بديوان پروين الطبعة الخامسة .

ـ على أى أمل تحطم الصخر فى هذا الجبل ، فكم قتلت شيرين العديد من أمثال فرهاد [١].

والملاحظ أنها لم تذكر اسم فرهاد فى البيت الفارسى وإنما كنّت عنه بلقبه (كوهكن) أى (محطم الجبل) ، وقالت كذلك :

ـ لا تنظر إلى الوجوه ، فما أكثر القلوب الجريحة ، فعروس الدهر مثل شيرين والخلق هم فرهاد [٢].

وهى تشير إلى قصة فرهاد وتحطيمه الجبل أملا فى أن يحظى بحب معشوقته شيرين التى كانت فى نفس الوقت معشوقة لخسرو برويز ، وما أن علم خسرو بحب فرهاد لمعشوقته حتى ألقى القبض عليه وأودعه السجن ، ثم قال له : إن كنت تريد الوصول إلى شيرين عليك بتحطيم هذا الجبل . فأتم فرهاد العمل فعلا ، ولكن خسرو لكى يتخلص منه أرسل إليه من يخبره بموت شيرين ، فضرب فرهاد رأسه بنفس الفأس التى حطم بها الجبل ومات منتحرا .

وقد اختلف فى أصل شيرين ووطنها وإن كان البعض يرى أن اسمها يرجح أنها إيرانية كما أن فرهاد من الجائز أن يكون شخصا خياليا من

---

(١) البيت الفارسى هو :

بچه اميد درين كوه كنى خارا
چونو گشتست بسى كوهكن اين شيرين
(القصيدة رقم ٣٥) .

(٢) بچهرهها منگر ، خاطر شكسته بسى است
عروس دهر چو شيرين وخلق ، فرهادند
(القطعة رقم ٩٤)

خلق نظامى الكنجوى حيث يبدو أن نظامى أول من ذكر اسم فرهاد فى منظومته (خسرو وشيرين) [١] .

أما إشارتها عن مانى ، فلم تتحدث عنه كمدع للنبوة ، ولكنها تحدثت عنه كرسام بارع مشيرة بذلك إلى صوره المعروفة باسم « ارژنگ » [٢] أو باسم « انكليون » ولكن على الرغم من روعة هذه الصور ، فإن صور الطبيعية كما خلقها الله أبهى وأجمل من صور مانى هذه على الرغم من حسنها ودقة تصورها ، فقد قالت :

— لقد طعنت الأرض بصفاء ألوان رياحينها صور «ارژنگ مانى» [٣] .

وهذه الإشارات التاريخية التى ذكرتها پروين ، جاءت أيضاً غاية فى الاختصار وبعيدة عن العمق لأنها لم تكن تقصد الحديث عن التاريخ ذاته ، بل إنها تحدثت عن سير من أوردت من الملوك والقواد حديث العظة والعبرة لا حديث من يؤرخ لهم ويحلل أحداثهم .

والجانب الأخير من جوانب ثقافة پروين يتعلق بكونها شاعرة عرفت

---

(١) الدكتور عبد النعيم حسنين : نظامى الكنجوى : شاعر الفضيلة : عصره وبيئته وشعره ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٤ م ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(٢) لهذه الكلمة صيغ أخرى هى : ارتنگ ، ارثنگ ، ارجنگ ، ارسنگ ، ارهنگ . راجع :

Steingass.: 5th Impress. London 1963, p. 34

(٣) الأصل الفارسى هو

زمين از صفاى رياحين الوان
زند طعنه بر نقش ارژنگ مانى
(قصيد رقم ٤١).

كيف تنظم ضروبا عديدة من النظم كالقصيدة والمثنوى والقطعة والتركيب بند والمقطعات والمفردات كما عرفت كيف تحافظ على القوافى فى كل هذه الضروب، أضف إلى ذلك معرفتها بموازين الشعر فى بحوره المختلفة التى نظمت فيها، وكذلك إدراكها للعديد من الفنون البلاغية التى زخر بها الديوان دون إغراق، كما تبدو هذه الثقافة فى حسن اختيارها للألفاظ والتراكيب التى عبرت بها عن آرائها وأفكارها فى صورة جعلت الديوان فى متناول الجميع قراءته وفهم معانيه.

. . .

ولا ننسى أيضا ثقافتها الاجتماعية واطلاعها على مشاكل مجتمعها فى ذلك الوقت ومحاولتها المساهمة فى حل هذه المشاكل وبخاصة مايتعلق بالمرأة الايرانية والطفولة إلى غير ذلك من المشاكل الاجتماعية التى سبق الاشارة إليها فى شعرها الاجتماعى.

هذه أهم جوانب ثقافة پروين التى يمكن أن نستشفها من أشعارها، ولا أستطيع الإدعاء بأنها بلغت الكمال فيها، أو اقتربت منه، فالكمال لله وحده،، ولكن الزمن لم يمهلها حتى تبلغ المرتبة التى ترفعها إلى مصاف كبار شعراء الفارسية على مر العصور فرحيلها المبكر لم يعطها الفرصة لكى تعمق هذه الجوانب الثقافية وتنميها أو تضيف إليها ثقافات أخرى جديدة تفيد منها فى شعرها من حيث الصورة أو المضمون.

. . .

الفصل الثالث

تأثر پروين بالسابقين من كبار الشعراء

قالت پروين الشعر وهى فى سن مبكرة كما أشار إلى ذلك أغلب من تكلموا عنها ، كما ودعت الدنيا وهى فى ريعان الشباب ودواما يلجأ الشاعر فى بداية حياته الفنية إلى إنتاج من سبقوه من كبار الشعراء يحاول الاقتداء بهم ، والإهتداء بهديهم حتى يصل إلى مرحلة النضج فيختط لنفسه طريقا خاصا به ، وأسلوبا يميزه عن أساليب غيره ممن سبقوه ، لذا نجد فى ديوان پروين تأثير عدد كبير من شعراء إيران المشهورين ، حاولت الشاعرة أن تترسم خطاهم فيما كتبوا سواء من ناحية الأسلوب وسواء فى ما تناولوه من أفكار ، ومن العسير على الإنسان أن يتتبع كل مظاهر التأثر فى ديوان پروين ، لأنها عديدة ، وقد قال بهار فى المقدمة التى كتبها للديوان :

سيرى القارىء لقصائد « پروين » أنه محلق فى عوالم مختلفة وقد توحدت فى صورة عالم واحد مستقل ، فهو يرى أسلوب ناصر خسرو ممتزجا بتمثيلات سنائى ، واستغناء حافظ مقترنا بفصاحة وصراحة سعدى(١) .

ومن أوائل القطع التى نظمتها پروين ، قطعة عنوانها « دمعة يتيم » قيل إنها نظمتها وهى فى الثامنة من عمرها ، وأن والدها قد اطلع على فكرة القطعة فى كتاب أوربى ، فترجمها لابنته نثرا وطلب منها أن تنظمها ، والشىء

(١) ديوان پروين ، الطبعة الخامسة (المقدمة) ص : ى .

الذى لم يكن يعرفه أبوها فى ذلك الوقت، بأن هذه القطعة التى ترجمها كانت ترجمة لقطعة شعرية قال الشاعر الفارسى الأنورى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى. وقد كانت هذه القطعة سببا فى هجوم شنه البعض على پروين الشاعرة وعلى ملك الشعراء بهار لكتابته مقدمة لديوان الشاعرة.

والآن يجمل بنا أن نذكر قطعة الأنورى ثم نتبعها بقطعة پروين ، على أن نرجىء ما قيل بسببها إلى أثناء مناقشة مكانة الشاعرة فى الفصل الأخير من هذا الكتاب.

قال الأنورى :

آن شنيدستى ؟ كه روزى زيركى با ابلهى
گفت كين والى شهرما گدائى بى حياست
گفت : چون باشد گدا ؟ آن كز كلاهش تكمه‌اى
صد چوما را سالها وروزها برگ ونواست
گفتش : اى مسكين ، غلط اينك ازين جا كرده اى
آن همه برگ ونوا دانى كه آنجا از كجاست
در ومرواريد طوقش اشك اطفال منست
لعل وياقوت ستامش خون ايتام شماست
آنكه تا آب سبو پيوسته از ما خواستست
گربجويى ، تا بمغز استخوانش زان ماست

---

(٢) مقالة بعنوان (فساد فكر اعوان الاستعمار) للشاعر الصحفى محمد بهار انظر : مجموعة مقالات ... ص : ٥٨ .

خواستن گدیه است ، خواهی باج دان، خواهی خراج
زانکه کرده نام باشد ، یك حقیقت را رواست
چون گدایی چیز دیگر نیست جز خواهندگی
هر که خواهد ، گر سلیمانست و گر قارون گداست (١)

وهذه قطعة پروین :

روزی گذشت پادشهی از گذرگهی
فریاد شوق برسر هر کوی وبام خاست

پرسید زان میانه یکی کودك یتیم
کاین تابناك چیست که بر تاج پادشاست

---

(١) دیوان أنوری . تقدیم : سعید نفیسی ، طهران ١٣٣٧ ش ص : ٣٣٩ وترجمتها :

— أما سمعت أن عاقلا قال لأبله : إن حاكم مدينتنا هذا متسول عديم الحياء .

— فقال (الأبله) كيف يكون متسولا من لؤلؤة تاجه تكفي ثروة لمائة من أمثالنا سنوات وأياما ؟

— فرد عليه قائلا : الخطأ فيما قلت ، فهل تعرف من أين جمع هذه الثروة ؟

— إن در ولآلىء تاجه من دموع أطفالي ، وحمرة ياقوت منطقته من دماء أيتامكم .

— إنه يملأ وعاءه من مائنا حتى ولو كان يقف على شاطىء نهر ، كما أن نخاع عظامه قد سلبه منا .

— أحيانا يطالبنا بالعوائد وأحيانا بالضرائب وأحيانا بالخراج ، إلى غير ذلك من الأسماء المبهمة لحقيقة واحدة .

— ومهما طالب فلن يكون إلا متسولا حتى ولو أصبح في غنى سليمان أو قارون ، وليس التسول إلا ضربا من الجشع !

آن يك جواب داد چه دانيم ما كه چيست
پيداست آنقـــــدر كه متاعى گرانبهاست
نزديك رفت پـــير زنى كوژپشت وگفت
اين اشك ديدهٔ من وخون دل شماست
مارا به رخت وچـــوب شبانى فريفته است
اين گرگ سالهاست كه باگله آشناست
آن پارسا كه ده خرد وملك ، رهزن است
آن پاد شاكه مال رعيت خورد ، گداست
برقطرهٔ سرشك يتيمان نظــــــاره كن
تا بنـگرى كه روشنى گوهر از كجاست
پروين ، به كجروان سخن از راستى چه سود
كو آنچنان كسى كه نرنجد زحرف راست(١)

---

(١) ديوان پروين ، قطعة رقم (٥٧) ، وهذه ترجمتها :
— مر سلطان ذات يوم من طريق ، فارتفعت أصوات التحية من كل حدب بالمحلة .
— فسأل طفل يتيم من بين هذا الجمع ، قائلا : ما الذى يتلألأ بريقه فوق تاج السلطان .
— أجاب أحدهم : أنى لنا ان ندرك حقيقته ، فيكم يبدو هـــذا المتاع غالى الثمن .
— فاقتربت عجوز شمطاء ثم قالت : إنها دمعة عينى ودماء قلبك .
— لقد خدعنا هذا الذئب بعصانه وعصا حراسته ، تلك السنين التى صاحب فيها القطيع .
— هذا العابد الذى اشترى القرية وملكها ، ماهو إلا لص ، وكم هو متسول ذلك السلطان الذى يأكل مال الرعية .

هكذا أخذت پروين الفكرة العامة فى قطعة الأنورى ونظمت قطعتها فجاءت على نفس قافية الأنورى وإن اختلف الوزن الشعرى ، ولكنها فى رأيى نظمتها بطريقة أفضل ، حيث جعلت الحديث عن ظلم السلطان يدور بين يتيم وعجوز بائسة ، وهما أكثر الناس تأثراً بهذا الظلم ، كما ختمت قطعتها بالحكمة ، مما يجعلنى أشك فى أن پروين نظمت هذه القطعة فى الثامنة من عمرها كما ذكر البعض، أو لعلها كانت مجرد ناظمة لحوار قدمه لها أبوها ،وهو الذى غير الحوار ليختلف عن حوار الأنورى ، كما أن الحكمة الأخيرة من تفكيره هو ، بل يغلب على الظن أن أباها قد تدخل وصحح ما يمكن أن تقع فيه أى مبتدئة كپروين من أخطاء فى القافية أو الوزن .

ومن الشعراء الذين تأثرت بهم پروين كذلك، الشاعر ناصر خسرو الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى ، فقد ذكر عدد كبير ممن كتبوا عن پروين أن الشاعرة قد حاولت أن تترسم خطى هذا الشاعر الكبير فى قصائدها ، فتكلمت بطريقة فلسفية عن كثير من الأفكار العامة التى تكلم عنها كذم الدنيا وتمجيد العقل والدعوة إلى التعليم والتنفير من الجهل، وضرورة التحلى بالأخلاق ونبذ كل نقيصة كالطمع والهوى والعجب ، والإهتداء بهدى الروح والتخلى عن الجسد وعدم الاعتماد عليه فى شىء والدعوة إلى العمل ولكنها لم تشاركه فى الدعوة إلى اعتناق مذهب معين ، كما فعل ناصر خسرو حين دعا إلى الإيمان بالمذهب الاسماعيلى الباطنى .

وهذا الاتفاق بينهما فى بعض المسائل التى تكلمنا عنها جعلنا نشعر بأن

= — فانتظر إلى دموع الأيتام حتى تدرك من أين ينبع بريق الجوهر .
— وأى جدوى ، ياپروين ؛ من الحديث عن الاستقامة مع العصاة ؟ وأين ذلك الشخص الذى لايتأذى من كلمة الحق .

ما كتبته پروين فى قسم القصائد يكاد يكون ناصر خسرو هو الذى سجله ، قبل أن يعتنق المذهب الاسماعيلى ويدافع عنه ، لذا لا نشعر بالغرابة حين نجد اتفاقا بينهما فى كثير من أفكارها ، فأغلب أفكار پروين فيما يتصل بالأخلاق والفضيلة ، وبعض ما قالته فى الاصلاح الاجتماعى نجد ما يطابقها عند ناصر خسرو ، والدلالة على صحة هذا الرأى أذكر بعض أوجه الشبه بين معانى الديوانين بلا حصر لكل هذه الأوجه لأنها تفوق الحصر فى هذه المناسبة ..

قال ناصر خسرو فى تفضيل العلم على كل مظاهر الجاه الدنيوية :

دانش به از ضياع وبه از جاه ومال وملك
اين خاطر خطير چنين گفت مومرا(١)

وقالت پروين :

علم سرمايهٔ هستى ، نه گنج زر ومال
روح بايد كه ازين راه توانگر گردد(٢)

كما قالت الشاعرة :

---

(١) ديوان قصائد ومقطعات حكيم ناصر خسرو . طهران ١٣٠٤-١٣٠٧ ش ، ص ٦ وترجمته :

– العلم أفضل من الضياع وأعظم من الجاه والمال والملك ، وقد أخبرنى بهذا العقل المتقد .

(٢) ديوان پروين ، قصيدة رقم ١٦ ، وترجمته :
– العلم رأس مال الوجود لا كنز الذهب والمال ، فيجب أن تثرى الروح من هذا الطريق .

از منقبت وعــلم نیم ارزن

ارزنده تر از گنج شایگانست(١)

وقال ناصر خسرو مادحاً العلم بأنه أفضل ما يزدان به الإنسان :

ترا پـــیرایه ازدانش پدید است

که باب خـــلد را دانش کلیداست(٢)

وقالت پروين موجهة حديثها لبنات جنسها :

آب ورنگ از علم میبایست ، شرط برتری

با زمرد یاره ولعــل بدخشانی نبود(٣)

وقال ناصر خسرو فى تفضيل العمل على القول :

قول رانیست ثوابی چو عمل نیست براو

ایزد از بهر عمل کرد بآیات خطاب(٤)

وقالت پروين مفضلة العمل على القول كذلك :

---

(١) المرجع السابق قصيدة رقم ١١ وترجمته :

— نصف دانق من الفضل والعلم أعظم قيمة من كنز غاص بالجواهر .

(٢) ناصر خسرو: روشنائينامه. انظر ديوان ناصر خسرو، ٥١٣ ، وترجمته:

— زينتك أساسها العلم ، فالعلم هو مفتاح باب الخلد .

(٣) ديوان پروين . قطعة رقم ١١٨ وترجمته .

— يجب أن يكون شرط الرفعة التزين بالعلم لا بعقد الزمرد والياقوت البدخشانى .

(٤) ديوان ناصر خسرو ص ٤١ وترجمته .

— ليس للقول ثواب مثل العمل ، فقد دعا الخالق إلى العمل فى العديد من الآيات .

اندر آنجا که کار باید کرد

چه فضیلت برای گفتار است[١]

وقالت أيضاً :

از گفته ناکرده بیهوده چه حاصل

کردار نکو کن، که نه سود یست زگفتار[٢]

وقال ناصر خسرو مشبهاً الإنسان الذى يخلد إلى الراحة والنوم والأكل دون أن يؤدى عملا فى الحياة بأنه كالحمار :

هر که چه خر فتنه خواب وخور است

گرچه آدم صورتست اوهم خر است[٣]

وقال أيضاً :

کسی که قصد ز عالم بخواب وخور دارد

گرچه چهرش خوبست طبع خر دارد[٤]

(١) ديوان پروين قطعة رقم ٧٦ وترجمته :

— أى فضيلة للقول حيث يجب العمل ؟

(٢) المرجع السابق قطعة رقم ٩٧ وترجمته .

— أى جدوى من الكلام العابث ؟ فلتكن عاملا جادا ، إذ لافائدة من الكلام .

(٣) ديوان ناصر خسرو ، ص ٤٧ وترجمته .

— كل من فتن بالنوم والطعام كالحمار ، فهو حمار حتى ولو بدا فى صورة آدمى .

(٤) ديوان ناصر خسرو ص ١١٤ وترجمته .

— الإنسان الذى يتعلق أمله فى الحياة بالأكل والنوم ، طبعه طبع حمار وحتى ولو كان مليح الوجه .

وقالت پروین واصفة من يخلد إلى الراحة والكسل بأنه لا يفترق عن الحيوان :

هستی از بهرتن آسانی اگر بودی
چه بدی برتری آدمی از حیوان[١]

وقال ناصر خسرو واصفا الدنيا بأنها غار مظلم وضيق ، وأن العقل هو المصباح الذى ينير ظلمة هذه الحياة :

غار جهان گرچه تنگ وتار شد است
عقل پسند است یار غارمرا[٢]

وقالت پروین تصف الدنيا بالظلمة وأن العقل هو المرشد الذى يستطيع أن يضيء جنبات هذه الظلمة :

رهنمای راه معنی جز چراغ عقل نیست
کوش پروین ، تا بتاریکی نباشی رهسپار[٣]

وإلى هنا أكتفى بهذه الإشارات القليلة العدد جداً بالنسبة لمظاهر التشابه

---

(٢) ديوان پروين : قصيدة رقم ٣١ وترجمته :
— إن جعلت الحياة من أجل راحة الجسد . فكيف تكون أكثر آدمية من الحيوان !

(٣) ديوان ناصر خسرو ص ١٢ وترجمته :
— إذا كان غار الدنيا ضيقا ومظلما ، فما أجمل أن يكون العقل ، فيقى فى هذا الغار .

(٤) ديوان پروين رقم ٢١ وترجمته .
— لادليل لطريق المعنى غير مصباح العقل ، فاجتهدى يا پروين حتى لا تكونى سالكة وسط الظلمة .

الفكرى بين الديوانين راجياً من الله أن أستطيع فى المستقبل دراسة الديوانين دراسة مقارنة للحكم على كل مظاهر التشابه بين قصائدهما .

وثانى الشعراء الكبار الذين تأثرت بهم پروين ، هو شاعر الأخلاق سعدى ، الذين عاش فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، وقد ترسمت پروين أسلوب كتاباته وبخاصة كتابه البوستان فيما عالجت من موضوعات أخلاقية بالقسم الثانى من الديوان وذلك عن طريق الحكايات المشوقة ، وكذلك ما تضمنه البوستان من دعوة إلى الملوك والأمراء لكى يتوخوا العدل فى حكم شعوبهم ، ولعل قطعة پروين « نامه به نوشيروان »[1] قد جاءت على غرار مثنوى سعدى بعنوان : رعايت كردن وزير ديرى[2] .

وإلى جانب التشابه بين الدعوتين عند سعدى وپروين نلاحظ بعض المعانى المشتركة أيضاً ، أكتفى بذكر القليل منها على سبيل المثال .

قال سعدى فى البوستان داعياً إلى رعاية كل عمل يوكل للإنسان القيام به :

نيايد بنزديك دانا پسند
شبان خفته وگرگ در گو سفند[3]

وقد أخذت پروين هذا المعنى وصاغته فى حكاية عنوانها : « گرگ وشبان » بمعنى « الذئب والحارس » وقد جاءت فى أربعة وثلاثين بيتاً ، وهى تصور

---

(١) ديوان پروين ، قطعة رقم ١٩٢ .

(٢) متن كامل ديوان شيخ أجل سعدى شيرازى : گلستان وبوستان ومجالس ، باهتمام . مظهر مصفا ، طهران ، ١٣٤٠ش ، ص : ١٥٨ — ١٦٠

(٣) المرجع السابق ص ١٥٦ ، وترجمته :
— لا يستسيغ العاقل أن ينام الحارس والذئب وسط القطيع .

راعياً نام وغفل عن قطيعه ففتك الذئب بالقطيع ، وقد سبق أن ذكرت القصة كاملة عندما تناولت الدعوة إلى العمل بالحديث فى الفصل الثانى من هذا الباب[١] .

كما نصح سعدى قارىء ديوانه بألا يقبل ابنه أمام يتيم بائس لأن هذه القبلة ستكون كالطعان بالنسبة لليتيم ، لأنه سيتذكر من فقده من والديه :

چو بينى يتيمى سرافكنده پيش
مده بوسه بر روى فرزند خويش[٢]

وقالت پروين مصورة ألم فتاة يتيمة عندما ترى أى أم تقبل ابنتها ، فتشعر بأن القبلة كالطعان التى تدمى قلبها :

مادرى بوسه بدختر ميدان
كاش اين درد به دل ميگنجيد[٣]

وقد تأثرت پروين بقصائد سعدى كذلك ، فمن المعانى المشتركة بينهما ، أذكر شاهدين على سبيل المثال :

فقد قال سعدى مفضلا الفقر على الغنى :

---

(١) راجع قطعة رقم ١٦٥ من ديوان پروين . ص ١٢٣ ، ١٢٤ من هذا الكتاب .

(٢) ديوان سعدى ص ١٩٩ وترجمته .
— إن تر يتيما منكس الرأس ، فلا تقبل ابنك أمامه .

(٣) ديوان پروين قطعة رقم ٨٣ وترجمته .
— كلما قبلت أم ابنتها ، كلما تمنيت أن يتمكن القلب من تحمل هذا الألم .

ای نفس اگر بدیدهٔ تحقیق بنگری

درویشی اختیار کنی بر توانگری(١)

وقالت پروین أبيات كثيرة تفضل فيها الفقر على الغنى ومنها :

خوشتر از دولت جم، دولت درویشی

بهتر از قصر شهی کلبهٔ دهقانی(٢)

كما قالت أيضاً :

هزار مرتبه، فقر از توانگری خوشتر

توانگران، همه بدنام ظلم و بیدادند(٣)

كما أن سعدی قد ربط العلم بالعمل فی قوله :

بار درخت علم ندانم مگـر عمل

با علم اگر عمل نکنی شاخ بی بری

هر علم را که کار نبندی چـه فایده

چشم از برای آن بود آخر که بنگری(٤)

---

(١) ديوان سعدی ص ٧٤١ وترجمته :

— أيتها النفس إن تنظرى بعين التحقيق : فإنك ستختارين الفقر على الغنى .

(٢) ديوان پروين قصيدة رقم ٢٩ وترجمته :

— دولة الفقر أفضل من دولة جمشيـد . وكوخ الفلاح أفضل من قصر السلطان .

(٣) المرجع السابق قطعة رقم ٩٤ وترجمته :

— الفقر أفضل من الغنى ألف مرة ، فالأغنياء جميعهم متهمون بالظلم والجور .

(٤) ديوان سعدی ص ٧٤٢ وترجمتها .

وقالت پروين داعية إلى ضرورة عقد الصلة بين العلم والعمل ، لأن العمل بلا إنتاج يظهر فى صورة عمل مثمر ، يعد علما عقيما لا جدوى منه .

هيچگه شمع بى فتيله نسوخت

تا عمل نيست ، علم بى اثر است(١)

وامتد تأثر پروين بسعدى إلى رباعياته أيضاً ، فقد تحدث سعدى فى رباعية له عن أثر كل من العين والقلب فى العشق حيث قال :

ايكاش نكردمى نگاه از ديده

بردل نزدى عشق تورا ، از ديده

تقصير زدل بود وگناه از ديده

آه ازدل وصد هزار آه از ديده(٢)

وقد أخذت پروين هذه الفكرة وصاغتها فى حوار ممتع بعنوان « ديده ودل » أى « العين والقلب » وقد حاول كل منهما إلقاء التبعة على الآخر فى مجال العشق وقد سبق أن عرضت لهذا الحوار عندما تحدثت عن العشق فى شعر پروين .

= — لا أعلم ثمرة للعلم غير العمل ، فإن لم يرتبط العلم بالعمل فهو غصن عديم الثمر .

— أى جدوى من علم بلا عمل ؟ وماجدوى العين إلا أن تنظر بها .

(١) ديوان پروين قطعة رقم ٦٤ وترجمته .

— لم تشتعل شمعة بلا فتيل ، وإن إنعدم العمل ، فلا جدوى من العلم .

(٢) ديوان سعدى ص ٦٦١ وترجمة الرباعية :

— أتمنى أن تعدم العين القــدرة على الإبصار ، وألا تلق العين بقلبك فى طريق العشق .

— فالتقصير من القلب والذنب من العين ، فآه من القلب وألف آه من العين .

ومن الملاحظ أن هذه الفكرة قد سبق سعدى إليها شاعر صوفى آخر هو بابا طاهر العريان (الذى عاش فى أوائل القرن الخامس الهجرى) حيث قال فى إحدى رباعياته :

زدست ديده ودل هردو فرياد
هر آنچه ديده بيند دل كند ياد
بسازم خنجرى نيشش زبولاد
زنم بر ديده تا دل گردد آزاد[١]

ويعلق بهار على وجود هذه الفكرة عند كل من بابا طاهر وسعدى ثم تناول پروين لها بنوع من الإسهاب ، بقوله :

« ليس المقصود مضاهات مضمون البيت الثانى من رباعية سعدى والبيت الأول من رباعية بابا طاهر بقطعة « ديده ودل » لپروين ، ولكن من المؤكد واللطيف حقا أن القارىء سيخرج بنتيجة مؤداها أنه سيقتنع وسيلمس أن هذا المعنى الذى أوردته پروين ، قد سمع من قبل غاية فى الاختصار . .

ثم يتبع ذلك بذكر سبعة أبيات من هذا الحوار الطريف[٢] .

ولعل الاتجاه الأخلاقى لدى كل من سعدى وپروين قد دفع يوسف اعتصامى والد الشاعرة لأن يقول :

---

(١) بابا طاهر العريان : الديوان ، تصحيح وحيد دستگردى ، تهران ١٣٣٣ ش ص ٧ وترجمة الرباعية :

— النجدة النجدة من قبضة العين والقلب ، فكل ماتراه العين يتذكره القلب
— وكم أود أن أصنع خنجرا فولاذى النصل ، فأضرب به العين حتى يتحرر القلب .

(٢) مقدمة بهار لديوان پروين .

« من قال إنه فى هذه الدنيا الفانية يتواجـــد أحيانا سعدى وأحيانا پروين ، موفق فى قوله ، لأنه قال الحقيقة بعينها »(١) .

* * *

ولم يقتصر تأثر پروين على ما كتبه ناصر خسرو وسعدى فقط بل نجد آثار غيرهما فى إنتاج پروين أيضاً ، ومن هؤلاء الشعراء الذين قرأت لهم پروين ، نظامى الـگنجوى وبخاصة كتابه « مخزن الأسرار » فقد قص نظامى وهو يتحدث عن رعاية الرعية قصة مضمونها أن عجوزاً شكت إلى السلطان سنجر ظلم رجاله ، وأخذت تبين له عاقبة ظلمه فقد أدى إلى خراب المملكة وتحطيمها ، ثم خاطبته قائلة .

إنك عبد وتدعى الملك ، لست ملكا لأنك تخرب ، إن الملك هو الذى ينظم الدولة ويرعى الرعيـــة حتى يطيع الجميع أمره ويضعوا حبه فى قلوبهم وأفئدتهم .

وهى لذلك تنصحه بقولها : ارفع يدك عن ظلم الفقراء حتى لا تصيبك سهام دعائهم ..

ثم تقول . اعلم أنك ملك إن تقلع عن الظلم وتأسو جراح المصابين(٢) .

ونفس الفكرة موجودة عند الشاعرة پروين ، وإن اختلفت بعض التفاصيل ، وتضمنت هذه الفكرة قطعة عنوانها « شكايت پير زن » بمعنى « شكوى عجوز » ، فقد التقت عجوز بقباد وهو السلطان التاسع عشر من سلاطين الأسرة الساسانية ، وأخذت تشكو جوره وظلمه حتى انعدم الأمن

(١) مجموعه مقالات . ص : ١٦ .

(٢) نقلا عن : الدكتور عبد النعيم حسنين . نظامى الگنجوى ، شاعر الفضيلة ص ١٧١ ، ١٧٢ .

بالبلاد وتفشى الظلم واللصوصية ، كما دعته إلى زيارة البائسين للتعرف على أحوالهم . . إلى غير ذلك من المعانى التى سبق أن أشرت إليها وأنا أستشهد بأبيات من هذه القطعة عند ما تحدثت عن تعريض پروين بالحكام[١].

كما أخذت پروين بعض أفكارها وتشبيهاتها عن حافظ الشيرازى ، فقد شبه الصديق المخلص بأنه كالكيميا التى تبعث السعادة فى نفس من يصادقه ولكن أنى للانسان أن يجده، حيث قال :

دريغ ودردكه تا اين زمان ندانستم

كه كيمياى سعادت رفيق بود رفيق[٢]

ونفس التشبيه ذكرته پروين ، حيث ذكرت أنه من الصعب العثور على مثل هذا الصديق الشبيه بالكيميا

آن كيمياى كه ميطلبى ، يار يكدل است

دردا كه هيچگه نتوان يافت ، آرزوست[٣]

وتكلم حافظ كثيراً عن رياء الأصدقاء وعدم حفاظهم على الصداقة الحقة ،وشاركته پروين فى هذا الصدد ،وقال حافظ فى إحدى غزلياته:

---

(١) القطعة رقم ١٣١ بديوان پروين .

(٢) ديوان خواجه حافظ شيرازى ، باهتمام سيد عبد الرحيم خلخالى طهران ١٣٠٦ ش، غزلية رقم ٢٩٨ وترجمته :

— ياللأسف والحسرة ، فحتى هذا الزمان لم ألتق بالرفيق الذى يعتبر كيميا السعادة لرفيقه .

(٣) ديوان پروين ، قطعة رقم ٥٢ وترجمته :

— تلك الكيميا الى تتمناها رفيق مخلص ولكن وا أسفاه ! فلم يستطع إنسان قط تحقيق هذه الأمنية .

يارى اندر كس نمى بينيم يارانرا چه شد
دوستى كه آخر آمد دوستدارانرا چه‌شد
كس نميگويد كه يارى داشت حق دوستى
حق شناسانرا چه حال افتاد يارانرا چه[١]

وقالت پروين شاكية من تلون الأصدقاء وريائهم

نبيند كه سختى وتنگدستى
زيا ران يكدل ، كسى جز دوروئى[٢]

كما أن حافظا اتهم فى كثير من غزلياته رجال الشرع ورجال الدولة بالفساد وسوء السمعة والتظاهر بالصلاح وهم غاية فى الفسق ، حيث قال :

« أما المحتسب » و « الشرطى » و « الإمام » و« الفقيه »و «الواعظ» فإنى أعلم عن معرفة حقة أنهم جميعاً يموهون الحقائق ويزورون الوقائع ، ويصطنعون الأباطيل ، وينصبون الشباك والأحابيل فإذا هم بين الناس مثل التقوى والصلاح ، حتى إذا ادخلوا إلى أنفسهم فى بيوتهم كانوا أشد الناس إتيانا للمنكر وارتكابا لضروب العبث والفساد ، وهم فى المحراب خلافهم

---

(١) ديوان حافظ ، غزلية رقم ٢٢٦ وترجمتها :
— إنى لا أرى المحبة الحقة لدى إنسان ؛ فماذا حدث للأحبة؟ كما انتهت عهود الصداقة ؛ فماذا أصاب الأصدقاء ؟
— ولا يقول شخص أن حبيبا واحدا احترم حق الصداقة ؛ فماذا أصاب المعترفين بالحقوق ؟ وماذا حدث للأحبة ؟
(٢) ديوان پروين قطعة رقم ٧٧ وترجمته :
— لم ير فى وقت الشدة والضنك ، إلا المراءاة من الأصدقاء المخلصين .

إذا هدأوا إلى خلوة ، فهم أمام الناس يأمرون بالتوبة بينما هم أقل الناس توبة ، وكأنهم فى الواقع لا يعتقدون فى يوم الفصل فيفعلون كل هذا الدجل . . ! ![1]

وقد عرضت پروين بكل هؤلاء فى حوار طريف بين ثمل ومحتسب ، منه هذه الأبيات :

محتسب ، مستى به ره ديد وگريبانش گـــرفت
مست گفت اى دوست ، اين پيراهن است ، افسار نيست
گفت : ميبايد ترا تا خانهٔ قاضى برم
گفت رو صبح آى ، قاضى نيمه شب بيدار نيســت
گفت : نزديك است والى را سراى ، آنجا شويم
گفت : والى از كجا در خانه خمـــار نيست
گفت : دينارى بده پنهان وخـــود را وارهان
گفت : كار شرع ، كار درهم ودينـــار نيست
گفت : بايد حد زند هشيار مردم ، مست را
گفت : هشيارى بيار ، اينجا كسى هشيار نيست[2]

---

(١) الدكتور ابراهيم امين الشواربى ، حافظ الشيرازى ، القاهرة ١٩٤٤م ص ٢٩٣ ، والأسلوب هنا للمؤلف وقد رواه على لسان حافظ .

(٢) ديوان پروين ، قطعة رقم ١٨٥ ، وهذه ترجمة الأبيات :
— رأى المحتسب ثملا بالطريق فأمسك بردائه ، فقال الثمل ، هذا قميص أيها الصديق وليس لجاما .
— قال : لابد وأن أقودك إلى دار القاضى . فقال : اذهب وأقبل فى الصباح فالقاضى ليس مفيقا فى منتصف الليل .
=

وهكذا وصفت پروين رجال الإدارة الممثلين فى الوالى والمحتسب بأنهم مثال النفاق والجشع ، كما وصفت رجال الشرع الممثلين فى القاضى بالخداع والغش والرياء وسوء الخلق ..

* * *

هذه مجرد إشارة موجزة إلى ما يمكن أن تكون پروين قد أخذته عن كبار شعراء الفارسية ، وقد ذكرتها كدليل فقط على أن پروين قد اقتبست بعض أفكارها ممن سبقوها من كبار الشعراء .

ولاشك أن پروين قرأت — كعادة كل مبتدىء — إنتاج مشاهير شعراء الفارسية لحفظت عنهم بعض تشبيهاتهم ورسخ فى ذهنها الكثير من أفكارهم وبخاصة تلك الأفكار التى توافق طبعها ، فعندما كانت تنظم أفادت مما رسخ فى ذهنها ومما حفظته سواء أكان هذا الاقتباس تم عن عمد أو جاء عفوا ودون رغبة فى تقليدهم والسير على منوالهم .

ولكن ليس معنى هذا أن كل ما قالته پروين يعد تقليداً لإنتاج السابقين ، فلها أفكارها الخاصة ، ولها اهتماماتها التى نبعت من ذاتها ، والتى جاءت نتيجة لأحداث عصرها ، فتكلمت عنها پروين بطريقتها الخاصة وبأسلوبها الذى ميزها عن شعراء عصرها والذى لم تكن فيه مقلدة

= — قال : على مقربة من هنا نكون فى قصر الوالى . فقال : لم لا يكون الوالى فى منزل الخمار ؟ .
— قال : أعطنى دينارا فى السر وخلص نفسك فقال : إن أمر الشرع ليس أمر الدرهم والدينار .
قال : يجب أن يقيم العقلاء الحد على الثمل فقال : أين العقلاء ؟ فهنا لا يوجد شخص واحد عاقل .

لأى شاعر ممن سبقوها ، والذى تبدو فيه شخصيتها المستقلة أيضاً . .

ولو قدر وعمرت پروين أكثر مما عمرت ، لظهرت فى شعرها النزعة الاستقلالية أكثر وضوحا لأنها ستكون قد وصلت إلى مرحلة تفرض عليها عدم الأخذ من هذا وذاك ، وتجعلها تحسن الاعتماد على ذاتها وعلى إمكانياتها التى صقلتها التجارب وتطورت مع الأيام .

الفصل الرابع

أسلوب پروين

عاشت پروين اعتصامی فی فترة كان الأسلوب الأدبی يتأرجح بين دعاة العودة إلى القديم الذين ينادون بضرورة تقليد أسلوب كبار أدباء إيران السابقين أمثال الخيام ونظامی والرومی وسعدی وحافظ وغيرهم ، وبين دعاة التشبه بالأسلوب الغربی وإحلال كلمات أوربية محل الكلمات العربية، ومحاولة الثورة على قوالب الشعر المأخوذة عن العرب وإبدالها بقوالب أوربية جديدة، فوقفت پروين بين هذين التيارين ، لم تنضم إلى هذا كما لم تنضم إلى ذاك ، واختارت طريقا وسطا ، وإن كانت من حيث الأسلوب أكثر اتجاها إلى إحياء القديم ، على عكس ما كانت عليه من الناحية الموضوعية حيث كانت أكثر نزوعا إلى التجديد .

وقد حاولت پروين فی قصائدها أن تسير على نمط أسلوب ناصر خسرو بما فيه من جزالة ومتانة متبعة طريقته فی التأثير النفسی على قارئيه لترويج مايدعو إليه عن طريق تكرار المعانی فی صور عديدة مؤيدا أقواله بضرب المثل والحكمة ، وقد برعت پروين فی هذا الضرب أيضا ، فلا تكاد تخلو قصيدة واحدة من قصائدها من أمثال وحكم تلجأ إليها الشاعرة لتؤكد دعوتها الأخلاقية التی سيطرت على أغلب أبيات القصائد ومن هذه الأمثال والحكم:

— العاقل لايتخلى عن الطعام الشهی ، مقابل أن يوعد بحمل مشوی .

— الببغاء لايميل إلى الجيفة فهذه ، عادة الطير الجارحة .

— أى شمع سلم من رياح الصباح ؟ وأى نقطة خرجت عن دائرة الفلك

— كل من استملح الإضرار أصابه الضرر، وكل من حفر بئرا وقع فيها.

— إن كنت لاتقبل الظلم لنفسك ، فلا تكن على خصال العقرب وطبع الثعبان .

— مادمت تلعب برأسك كالكرة فى هذا الميدان ، فلا بد وأن ترى الجفاء عبثا من هذا الصولجان .

— ستجنى فى موسم الحصاد ما بذرته وقت الزراعة [١]

---

(١) الأبيات الفارسية هى :

عاقل بوعدهٔ برهٔ دريار
ندهد زدست نزل مهنارا
(قصيدة رقم ١)

طوطى نكند ميل سوى مردار
اين عادت مرغان لاشخوار است
(قصيدة رقم ٦)

كدام شمع كه ايمن زباد صبحگهى است
كدام نقطه كه بيرون زخط پرگاريست
(قصيدة رقم ١٢)

هركه آزار روا داشت ، شد آزرده
هركه چه كند ، در افتاد بچاه اندر
(قصيدة رقم ٢٢)

گر ستم از بهر خويش مى نپسندى
عادت كژدم مگير وانديشهٔ ثعبان
(قصيدة رقم ٣٠) =

وقد أشار كثير من النقاد إلى التشابه بين أسلوب پروين وأسلوب ناصر خسرو ، ومنهم الشيخ محمد القزويني [١] ، وصاحب تذكرهٔ شعراى معاصر إيران [٢] ، وصاحب گنج سخن [٣] ، كما أشار إلى هذه الحقيقة أبوها فى تعليقاته على الديوان [٤] . .

ولكن طابع العصر الحديث قد جعل پروين لاتتابع ناصر خسرو فى استعمال المهجور من الألفاظ فديوان هذا الشاعر به مايقرب من أربعين كلمة نادرة الاستعمال أو ذات معانى مهجورة ، كما يشمل على تعبيرات وصيغ نحوية شاردة [٥] ، ولكن قصائد پروين لم أجد فيها إلا كلمة واحدة مهجورة وهى « هكرز » التى تعنى « هرگز » [٦] وقد قالتها فى البيت الرابع عشر من القصيدة الأولى ولاتوجد فيها تعبيرات أو صيغ نحوية شاردة لأن طبيعة العصر جعلت الشاعرة تكتب للجميع ، لا للخاصة كما كان يفعل الشعراء زمن ناصر خسرو . .

= تا توچون گوى درين كوى بسر گردى
بايدت خيره جفا ديدن ازين چوگان
(قصيدة رقم ٣١)

هنگام زراعت آنچه كشتستى
آنت برسد بموسم خرمن
(قصيدة رقم ٣٢)

(١) مجموعهٔ مقالات . ص : ١٩ — ٢٢
(٢) تذكرهٔ شعراى معاصر ايران جـ ١ ص ٦٦
(٣) گنج سخن جـ ٣ ص : ٢٩١
(٤) مجموعهٔ مقالات ص ١٨
(٥) تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ص ٢٨٢
(٦) راجع معجم Stiengaas,p.1505 وقد ذكرها هكرز وليست هگرز

وتأثر پروين بكبار شعراء إيران السابقين لم يقتصر على تأثرها بأسلوب ناصر خسرو وحده بل تعداه إلى غيره من الشعراء ، فقد أحيت الشاعرة فنا قديما اندثر فترة طويلة من الزمن ، هذا الفن هو « فن المناظرة » فقد جاءت معظم وحدات القسم الثانى من ديوانها على طريقة السؤال والجواب أو مايسمى بالمناظرة . .

ويقال إن أسدى هو الذى ابتكر فن المناظرة ، كما أشار إلى ذلك شبلى النعمانى حيث قال :

« الخدمة التى أداها أسدى للشعر والأدب تتمثل فى إيجاده أسلوبا جديدا ، حيث جاءت معظم قصائده على هيئة مناظرات ويعد هذا الفن من ابتكاراته الخاصة ، فقد كان يناظر بين شيئين ويرجح أحدهما على الآخر ، ثم يخلص من ذلك إلى مدح السلطان . . »[1] .

والفرق الكبير بين ماقاله أسدى وغيره من الشعراء وبين ماقالته پروين هو اختيار الشاعرة موضوعات عصرية تتفق وطبيعة الحياة التى تعيشها إيران فى العصر الحديث ، كتلك المناظرة التى دارت بين الفلاح وابنه حول ظلم الأغنياء وجورهم[2] والمناظرة التى أثبت فيها أحد اللصوص أن القاضى شريكه فى اللصوصية والسرقة[3] والمناظرة الطريفة التى دارت بين قطرتى دم إحداهما سقطت من قدم حطاب مسكين والأخرى سقطت من يد ملك وفيها رفضت قطرة دم الحطاب الاتحاد مع قطرة دم الملك لانسا ـــ ه

(١) شبلى النعمانى شعر العجم ، يا تاريخ ادبيات ايران ترجمة محمد تقى فخر داعى گيلانى — طهران ١٣١٨ ش ج ١ ص ١٢٩

(٢) قطعة رقم ١٣٥

(٣) مثوى رقم ١٠٠

بالجور والظلم [١] إلى غير ذلك من المناظرات العديدة التى يزخر بها الديوان.

والفرق الثانى يبدو فى الحكمة التى تكمن وراء هذه المناظرات، فالشعراء السابقون كان غرضهم - كافعل أسدى - إظهار تفوقهم فى الحديث بلسان طرفى المناظرة، ثم إنهاء المناظرة بمدح السلطان، أما پروين فلم تمدح أحدا فى آخر مناظراتها، بل كانت تتخذ المناظرة منفذا لهجومها الاجتماعى أو لمواصلة دعوتها الأخلاقية، حيث كانت تنهى كثيرا من مناظراتها ببيان هدفها الأخلاقى المتمثل فى نصح القارىء وتبصيره، فقد عقدت مثلا مناظرة بين عنكبوت منكب على عمله وبين رجل كسول لا يؤدى أى عمل، وفى نهاية المناظرة قالت :

— لتكن صباغا إن وجدت الأصباغ فى الحياة، فالفرصة كالبرق لا تعرف التأخير.

— إن وجد بناء، وجب رفعه، فما أكثر ما يوجد اليوم وينعدم غدا.

— إن نهلك ما بأيدينا من مال اليوم، فماذا نفعل إن نعدمه غدا ؟

— العنكبوت ياصديقى نساج الله، بدور دوراته ولكن بلا جلبة أو ضوضاء [٢] . .

---

(١) قطعة رقم ١٨٧

(٢) النص الفارسى هو :

رنگرز شو، تا كه درخم هست رنگ
برق شد فرصت، نميداند درنگ
گر بنائى هست بايد برافرشت
اى بسا امروز كان فردا نداشت
نقد امروز ار ز كف بيرون كنيم
گر كه فردائى نباشد، چون كنيم =

وميزة أخرى يتميز بها أسلوب پروين تتمثل فيما تتسم به بعض حكاياتها من رمزية، حيث كان تتحدث على لسان الطير والحيوان ، وكذلك على لسان الجماد. وهذا أسلوب تعليمى ناجح لجأ إليه كل أقطاب الشعر التعليمى ،حيث اتخذوا من الجماد والحيوان والطير وسيلة للوصول إلى قلب الإنسان وعقله ، وذلك لأن النصح المباشر ينفر السامع دائما ، أما تقديم النصح على طريقة كليلة ودمنه وما جاء فى حديقة الحقيقة لسنائى ، ومنطق الطير للعطار ، وغيرها من الكتب ، فهو أسلوب محبب إلى نفس القارىء وقد تكلمت الشاعرة عن كل حيوان بما يلائمه ونفذت من ذلك إلى ماتريد ، تكلمت عن الثعلب وما يتصف به من مكر وخداع ، ناصحة الخلق الشبيهين بالدجاج الساذج أن يكونوا على حذر وبصيرة أمام ثعلب النفس الماكرة[1] . كما تحدثت عن الكلب ومايتصف به من أمانة ، داعية الإنسان أن يرعى كل مايعهد إليه من أعمال متشبها فى ذلك بالكلب الذى يسهر على حراسة القطيع [2] .

ولم تقتصر پروين على التحدث بلسان الحيوان والطير بل إنها كانت تجسد وتشخص المعانى المجردة حيث جعلت المعنويات تبدو فى صورة محسوسات وبالتالى أصبح من حقها أن تنطق ، كما فعلت مع الأمل واليأس حيث تحركا بفضل شاعرية الشاعرة ليعبر كل منهما عن نفسه ، وليعبرا فى النهاية عن نفسية الشاعرة [3] . .

= عنكبوت ، اى دوست ، جولاى خداست
چرخه اش ميگردد اما بى صداست
(مثنوى رقم : ٩٠)

١ — مثنوى رقم ١٠١
٢ — قطعة رقم ١٦٤
٣ — مثنوى رقم ٥٩

ويتميز أسلوب پروين كذلك باستقصاء المعانى حتى تستطيع توضيح الصورة التى تتحدث عنها بجلاء ولا تتركها إلا وقد أحاطت بكل جوانبها وألقت الأضواء على كل زواياها ، وخير مثال لاستقصاء المعانى فى ديوانها يبدو فى غزليتها « رحلة دمعة » وهذه ترجمة كاملة لأبياتها :

— انحدرت دمعة صوب أطراف العين ثم ولت ، سقطت ببطء ، وتدحرجت ، ثم ولت .

— أشرقت لحظة على فلك الوجود المعتم ، وكأنها نجم ، ثم ولت .

— مع أن بحر الوجود كان مكانها ، فإذا بها فى النهاية أصبحت كقطرة دم ، ثم ولت .

— اختفت مع الدماء والهموم ، وأصبحت قيمتها كأى قطرة أخرى ، ثم ولت .

— وحين بكيت من جور الفلك ، سخرت من بكائى ، ثم ولت .

— إنها لم تتألم لحالنا ولهذا لم يعرف أى شخص لماذا تألمت ، وقد ولت .

— مادام القلب غاصا بالهموم ، فقد حطمت أذيالها الطاهرة ، ثم ولت .

— وثارت الأمواج والسيول والفتن والاضطرابات ، حتى أصبحت بحراً وطوفانا ، وتملكها الهلع ، ثم ولت .

— لمعت على وجنة الورد فى حديقة الوجود ، وكأنها نقطة ندى ، ثم ولت .

— سجلت رموز الحياة ، وطوت سجلها ودفترها ، ثم ولت .

— حينما خبرت خبايا الطريق ومنحنياته ، سألت عن مقصد التحقيق ، ثم ولت .

— حدث العقل المفكر القلب بكل شيء ، فتسممت وسممت كل شيء ، ثم ولت .

— تذوقت مرارة الوجود وحلاوته ، وخبرت الحوادث ، ثم ولت .

— كانت رسولا إلى المعشوق من محلة العشق ، فقبلت وجنات العشاق ثم ولت .

— ثم سقطت في ميزان القضاء ، ليتهم قالوا ما قيمتها ، وقد ولت(1) .

---

(١) الأصل الفارسي هو :

اشك طرف ديده را گرديد ورفت
اوفتاد آهسته وغلتيد ورفت
برسپهر تيره هستى دمى
چون ستاره روشنى بخشيد ورفت
گرچه درياى وجودش جاى بود
عاقبت يكقطره خون نوشيد ورفت
گشت اندر چشمهٔ خون نا پديد
قيمت هر قطره را سنجيد ورفت
من چو از جور فلك بگريستم
بر من وبر گريه‌ام خنديد ورفت
رنجشى مارا نبود اندر ميان
كس نميداند چرا رنجيد ورفت
تا دل ازاندوه ، گرد آلود گشت
دامن پاكيزه را برچيد ورفت =

أجادت پروين حقا فى تصوير الدمعة واستقصاء كثير من المعانى الكامنة وراء مظهرها البسيط ، فقد وصفتها بأنها قطرة ماء لامعة براقـــة ، كما أنها شبيهة بالنجم الذى يضىء ما حوله ، وهذه دموع الفرح ، ثم وصفتها كرمز للهموم والأحزان فى الدنيا وهذه دموع المكلومين ، ووصفتها كمن يطلع على

---

١ = موج وسيل وفتنه وآشوب خاست
بحر ، طوفانى شد وترسيد ورفت
همچو شبنم ، درگلستان وجود
برگل رخساره اى تابيد ورفت
مدتى در خانهٔ دل كرد جاى
مخزن أسرار جان را ديد ورفت
رمزهاى زندكانى را نوشت
دفتر وطومار خود پيچيد ورفت
شد چو از پيچ وخم ره ، با خبر
مقصد تحقيق را پرسيد ورفت
جلوه ورونق گرفت از قلب وچشم
ميوه اى ازهر درختى چيد ورفت
عقل دور انديش ، بادل هرچه گفت
گوش داد وجله را بشنيد ورفت
تلخى وشيرينى هستى چشيد
از حوادث باخبر گرديد ورفت
قاصد معشوق بود از كوى عشق
چهرهٔ عشاق را بوسيد ورفت
افتاد اندر ترازوى قضـا
كاش ميگفتند چند ارزيد ورفت
(غزاية رقم : ١٢٥)

أسرار القلب والروح ، أو كرسول موفد من محلة العشق إلى قلب المعشوق ، لذا انحدرت من العين لتقبل وجنات العشاق ثم تمضى فى طريقها وقد عبرت أصدق تعبيرعما بقلب هذا المحب من إخلاص وشوق ومحبة .

وپروين تريد القول بأن الدمعة ليست قيمتها فى مادتها ، ولكن قيمتها الحقيقية فى جوهرها ومكنونها ، فهى إما دمعة فرح وإما دمعة حزن وإما دمعة عشق ، وما أكثر الأسرار التى تسكن وراء كل دمعة ولايستطيع الإنسان أن يصل إلى مكنونها .

وتوفيق پروين فى هذه القطعة جعل شاعرا كبهار يقول .

« لوبقيت عن الشاعرة العذبة القول غزلية « رحلة دمعة » وحدها ، لكانت كافية للتدليل على علو مكانتها فى محيط الشعر والأدب » (١) :

كما يتسم أسلوب پروين بعذوبة اللفظ والبعد التام عن التكلف أو التصنع وقد أشار إلى ذلك كل من كتبوا عن پروين ، فقد قال صاحب كتاب زنان سخنور :

« شعر پروين يتسم بانسجام الكلمات والبلاغة الفارسية العذبة ، فقد كانت على مقدرة من الإمساك بزمام الحديث ، وكذلك التمكن من صناعة الكلام وآدابه . . » (٢)

أما أبوها فقد قال : « إحدى مميزات شعر پروين بعدها التام عن التصنع اللفظى والمعنوى ، وخلوه تماما من تلك التعقيدات التى ترى فى منظومات الآخرين . ومع هذا فان پروين فى مجال الصناعة والإنشاد نسجت

(١) انظر مقدمة الطبعة الخامسة من ديوان پروين ، ص : يد
(٢) زنان سخنور ، جـ ١ ص ٨١ .

بفضل إدراكها وصفاء تخيلها وذوقها الإبداعى ، حريرا قشيبا عديد الألوان حتى يمكن القول بكل جرأة ، إنها من النوادر التى لا تقبل التكرار . (١)

مما لا شك فيه أن قول أبيها فيه مغالاة ، إذ كيف يحكم على المستقبل ، فربما يظهر فى إيران من هو أفضل من پروين ، ولكنه يتكلم بشعور الأب الذى يتمنى دواما أن يكون أبناؤه أفضل العالمين .

وليس معنى بعد شعر پروين عن التصنع خلوه تماما من الصور البلاغية والمحسنات اللفظية ، فالديوان به هذا وذاك ولكن بلا إغراق وبلا تعقيد :

فقارىء الديوان سيجد بلاعناء مجموعة كبيرة من التشبيهات الرقيقة التى أوردتها الشاعرة لتوضيح أفكارها، فكثيرا ما شبهت الدموع باللآلىء وبخاصة عندما تحدثت عن دموع الأيتام والمكلومين ، ومنها :

ديده را دريا نمودن مردمك را غواصگر

اشك را مانند مرواريد غلطان داشتن (٢)

وقالت مشبهة العمر بالقافلة المسرعة :

فرصت ازدست ميرود ، هشدار

عمر چون كاروان بى جرسى است (٣)

---

(١) مجموعة مقالات . . ص : ١٤ .

(٢) قطعة رقم : ٤٥ ، وترجمته :

جعلت العين تبدو كبحر وانسانها غواصا

وأسلت منها الدموع الشبيهة باللالىء الياقوتية

(٣) قطعة رقم : ٦٥ ، وترجمته :

إن الفرصة تولى من اليد ، فكن يقظا ، كما أن العمر يمضى كقافلة بلا جرس.

ومن تشبيهاتها التمثيلية :

کار مده نفس تبه کار را

در صف گل جا مده این خاررا(١)

ولها أيضاً :

حدیث اتحاد موغ وروباه

بود چون اتفاق آتش وکاه (٢)

ولم تقتصر صورها البلاغية على التشبيهات وحدها بل وجدت الاستعارات كذلك ، ومنها :

دوش تاصبح ، توانگر بودم

زان گهرها که زچشم غلطید (٣)

هذه استعارة تصريحية ، ولها أيضا استعارات مكنية منها :

بار جسد ازدوش جان فرو نه

آزاده روان تو زیر بار است (٤)

(١) قصيدة رقم ٣٠ وترجمته :
لا تسلم زمام الأمر للنفس السيئة ، كما لا تضع الأشواك إلى جوار الورد

(٢) مثنوى رقم ١١٣ ، وترجمته :
حديث الاتفاق بين الثعلب والطائر كالاتفاق بين النار والتبن .

(٣) قطعة رقم ٨٣ ، وترجمته :
كم كنت غنيا طوال الليل حتى الصباح وذلك بجواهرى التى تنساب من عينى .

(٤) قصيدة رقم ٦ وترجمته :
اطرح عن كاهل روحك حمل جسدك ، فروحك الحرة ترزح تحت هذا الحمل .

والكناية لها نصيب أيضاً فى ديوان پروين ومنها :

« درراه چاه ، وچشم توهمواره در قفاست » (١) كناية عن عدم اليقظة :

« هميشه جان بكف وسر بر آستان دارم » (٢) كناية عن الشجاعة والاستبسال.

وقالت مكنية عن الدنيا بأنها عجوز عديمة الشفقة تسلم الخلق لذئب الأجل:

اين كوردل عجوزهٔ بى شفقت
چون طعمه بهر گرگ أجل زادت (٣)

ويكاد يكون التجنيس أكثر ألوان المحسنات اللفظية فى الديوان ، وقد جاء التجنيس متنوعا منه ماهو تام مثل قولها :

. . . خوار شد چون من آنكو همنشينش خار (٤)

ويبدو الجناس الناقص فى قولها :

---

(١) قصيدة رقم ٩ وترجمته :
يوجد بئر فى الطريق وعيناك دواما فى قفاك

(٢) قطعة رقم ١٦٤ وترجمته :
دواما أحمل روحى على كفى ورأسى فى المقدمة .

(٣) قصيدة رقم ٥ وترجمته :
هذه العمياء القلب العجوز عديمة الشفقة ، قد أوجدتك لتكون طعما للذئب .

(٤) قصيدة رقم ٢١ وترجمته :
ذليل كل من جالس الشوك مثلى

کسی بر خیره جز گردون گردان

نشد بادوستدار خویش دشمن(١)

وصورة الجناس الزائد تبدو فى هذا البيت .

اندرین دشت مخوف ،ای برهٔ مسکین

بیم جانست ، چهشد کز رمه کردی رم(٢)

ويتضح تجنيس الخط فى هذا البيت .

عیب مازین پرده ها پوشیده شد

پردهٔ پندار تو پوسیده شد (٣)

والطباق من الفنون البلاغية التى لها وجود فى الديوان ، وقد لجأت إليه پروين فى كثير من قصائدها ومثنوياتها لتقابل بين نوعين من الأخلاق فتبين فضل هذا الخلق الحميد ، وسوء ذاك الخلق السىء ، أو لتقابل بين فقير وغنى ، وتبين مقدار ما يعيش فيه الأول من مسغبة ، وما يشعر به الثانى من

(١) قصيدة رقم ٣٣ وترجمته :
لم يعاد إنسان صديقه بلا سبب إلا ذاك الفلك الدوار !

(٢) قصيدة رقم ٢٨ وترجمته :
أيها الحمل المسكين ما أكثر اضطراب الروح فى هذه الصحراء الموحشة ، فلم انفصلت عن القطيع ؟

(٣) مثنوى رقم ٩٠ وترجمته :
عيوبنا خافية فى هذه الأردية ، أما أنت فقد بلى رداء غرورك .

نعيم الحياة ، لذا كان الطباق عندها وسيلة لتوضيح فكرتها وخادما للمعنى ، ومن أمثلة الطباق فى ديوانها :

همسر پرهيز نگردد طمع
باهنر انباز مکن عار را[1]

نلاحظ فى هذا البيت طباقا بين كلمتى (پرهيز) و (طمع) ، وطباقا آخر بين كلمتى (هنر) و (عار) .

وقالت كذلك .

بگرد انيم روى از نور وبنشستيم با ظلمت
رها كرديم باقى وبگرفتيم فانى را[2]

نجد هنا طباقا بين كلمتى (نور) و (ظلمت) ، وطباقا آخر بين كلمتى (رها كرديم) و (گرفتيم) وطباقا ثالثا بين كلمتى (باقى) و (فانى) :

ومثال ثالث للطباق .

روح زان كاسته گرديد ، وتن افزونى خواست
كه نكرديم حساب كم وبسيارى[3]

(١) قصيدة رقم ٢ وترجمته :
لا يتفق الطمع والعفة مطلقا ، فلا تقرن العار بالفضل .

(٢) قصيدة رقم ٤ وترجمته :
أشحنا بوجوهنا بعيدا عن النور وجلسنا فى الظلام ، وتحررنا من الباقى وتمسكنا بالفانى .

(٣) قصيدة رقم ١٧ وترجمته :
لقد ضمرت الروح بذلك وطلب الجسد الزيادة ، وذلك لأننا لم نعرف حساب النقص والزيادة .

يوجد بالبيت طباق بين كلمتى (كاسته) و (افزونى) وطباق كذلك بين كلمتى (كم) و (بسيارى) . ومثال رابع قابلت فيه پروين بين كلمات عربية حيث قالت :

دوست نكردند فقير وغنى
يار نباشند شقى وسعيد[1]

فقد قابلت پروين بين كلمتى (فقير) و (غنى) كما قابلت بين كلمتى (شقى) و (سعيد) كما كانت تطابق أحيانا بين كلمة فارسية وعكسها من اللغة العربية ، فقد قالت .

.... پستى نه از زمين وبلندى نه از سماست [2]

نلاحظ أنها قابلت بين الكلمة الفارسية (زمين) بمعنى الأرض وبين الكلمة العربية (سماء) ، كما نلاحظ أنها أوردت طباقا آخر فى هذه الشطرة بين كلتى (پستى) و (بلندى) .

كما نجد بالديوان بعض صور الترصيع أيضا ، ومن أمثلته قولها :

بس بى بصرى ، اگر چه بينائى
بس بيخبرى ، اگر چه هشيارى[3]

---

(١) قطعة رقم ١٨٠ وترجمته :
ما تصادق الفقير والغنى مطلقا ، وما تحاب الشقى والسعيد أبدا

(٢) قصيدة رقم ٩ وترجمته :
ليست الخسة من الأرض وليست الرفعة من السماء !

(٣) قصيدة رقم ٣٧ وترجمته :
ما أكثر فاقدى البصر وإن كانوا يرون ، وما أكثر الجهلة وإن كانوا يعقلون .

كما قالت .

نه تورا بر فـــرار ، نیروئی است
نه مرا بر خلاص ، دسترسی است[١]

وقالت أيضاً .

مشو چو وقت ، كه يك لحظه پايدار نماند
مشو چو دهر ، كه يك عهد پايدار نماند[٢]

والترصيع واضح كذلك .

چند در هر دام ، بايد گشت صيـــد
چند از هر ديو ، بايد ديد كيد
چنـــد از هر تيـغ ، بايد باخت سر
چند از هر سنگ ، بايد ريخت پر[٣]

فقد لاحظنا أن الشاعرة قد قسمت كل بيت إلى أقسام منفصلة ثم جعلت كل لفظ مقابل لفظ آخر يتفق معه فى الوزن وأحيانا فى حرف الروى .

(١) قطعة رقم ٦٥ وترجمته :
ليس فى مقدورك الفرار ، كما ليس فى إمكانى الخلاص .

(٢) مثنوى رقم ٩٠ وترجمته .
لا تكن كالوقت فهو لا يستقر على حال واحدة ولو للحظة ، ولا تكن كالدهر فهو لا يبقى على عهد مطلقا .

(٣) مثنوى رقم ١١٤ وترجمتها .
لا بد وأن يقع فى كل شبكة عدد من الصيد ، كما لابد وأن يرى الكيد من كل شيطان .
ولا بد وأن يسقط كل سيف عددا من الرءوس ، ولابد وأن يتساقط من كل حجر عدد من الأجنحة .

ومن الفنون البلاغية التي لها أثر في الديوان كذلك فن « رد العجز على الصدر » بأن تذكر كلمة في صدر البيت أو حشوه ثم تتكرر الكلمة في آخر هذا البيت ، وذلك كقولها :

بگفت ار سور ، کتر گوی بامور
که موران را ، قناعت خوشتر از سور[1]

فقد ذكرت كلمة سور في حشو المصراع الأول من البيت ثم كررتها في آخر المصراع الثاني بنفس المعنى ، وأحيانا تتكرر الكلمة ولكن لتعطي معنى آخر كقولها :

تا يتيم ازيك بمن بخشيد نيم
تو خريدى گوهر ودُر يتيم[2]

فكلمة يتيم في المصراع الأول تعني من فقد العائل ، وفي المصراع الثاني جاءت صفة للدرة ، وهي تعني أنها فريدة بين الدرر والجواهر .

وأحيانا لا تتكرر الكلمة بذاتها وإنما تأتي مشتقة من نفس الأصل ، مثال ذلك قولها :

قضابس کار بشمرد وبمن داد
هزاران کار کردم گر شمساری[3]

---

(١) مثنوى رقم ١٢٤ وترجمته :
فقالت ، لتقلل الحديث عن الحفل مع النملة ، فالنمل لديهم القناعة أفضل من الحفل .

(٢) مثنوى رقم ١٠٣ وترجمته :
ما أن يعطيني يتيم نصف دانق ، حتى تشترى أنت درة فريدة .

(٣) قطعة رقم ٦٨ وترجمته :
كم أحصى القضاء من أعمال وأعطاني إياها ، فإن تمحص ، فستجدني فعلت آلاف الأعمال .

فكلمتا (شمرد) و (شمارى) مشتقتان من أصل واحد وهو (شمردن) بمعنى أن يعد أو أن يحصى .

وأخيرا نلاحظ فى ديوانها ذلك الفن الذى يسمى تفسير الجلى والخفى بأن تذكر شيئا ثم توضحه بعد ذلك فى بقية البيت أو تفسر المقصود منه كقولها:

ريدم ، ولى تيره وزشت را
شكستم ، ولى سنگ و انكشت را(١)

وقالت تصف نهرا :

فروزنده ، چنان كز چرخ ، انجم
گريزنده ، چنان كز ديو ، مردم(٢)

* * *

هذه أهم الفنون البلاغية والمحسنات اللفظية التى وجدت فى الديوان ، ولكنها وجدت كعامل مساعد فى تزيين المعنى وتقريبه من عقل وقلب القارىء ، أى أن اللفظ كان فى خدمة المعنى ، ولم يكن المعنى خاضعا للفظ بأى شكل من الأشكال ، كما أن هذه الصور وتلك المحسنات لم تتسم بالغرابة ولا أثر للتصنع الذى يجعل المعنى يتسم بالتعقيد والبعد عن الفهم ، فطبيعة العصر قد تطلبت البعد عن التصنع اللفظى حتى يكون الإنتاج الأدبى فى متناول الجميع ، كما أن دعوة الشاعرة الإصلاحية لا يمكن أن تؤتى ثمارها إلا إذا كان أسلوبها فى متناول أكبر عدد من أبناء وطنها على اختلاف

---

(١) مثنوى رقم ٩٨ وترجمته :
استأصلت ، ولكن كل معتم وقبيح ، وحطمت ، ولكن الحجر والفحم.

(٢) مثنوى رقم ١٣٧ وترجمته :
مضىء وكأنه من أنجم الفلك ، مسرع وكأنه من سلالة الجن.

ثقافاتهم ، حتى تضمن النجاح لدعوتها الإصلاحية ، ولـكن ليس معنى ذلك أن يتسم أسلوب شعرها بالضعف أو الإسفاف ، ولـكنه كان يتسم بالسهولة مع الجزالة والوضوح مع القوة ، كان كما يقول مؤلف تذكرهٔ شعراى معاصر إيران ، يتسم بأنه السهل الممتنع (١)

وآخر ظاهرة تلفت النظر فى أسلوب پروين ، هى خلوه تماما من أى كلمة أوربية على الرغم من إجادتها اللغة الانجليزية ومخالطتها الأمريكيات فى المدرسة أيام أن كانت طالبة وأيام أن عملت معهن كمدرسة للعلوم الأدبية كما أنها لم تحاول — كما حاول البعض — أن تقلل من الكلمات العربية التى ورثها الإيرانيون عن سابقيهم من الأدباء ، حتى يمكن القول بأنه من النادر أن يوجد بيت واحد فى كل ديوانها يخلو من كلمة عربية أو أكثر ، وهذا دليل على أنها لم تتابع دعاة التجديد اللفظى الذين أرادوا إبدال الكلمات العربية بأخرى أوربية ، كما يدل على أنها كانت تفضل أسلوب الأقدمين الذى تعود عليه كل إيرانى أصيل طوال عدة قرون ، فتحفظت تماما فى استعمال كلمات أوروبية حتى لا يجد بعض القراء صعوبة فى فهم ما تنظمه .

وأخيرا يمكن القول بأن پروين كتبت شعرها طبقا لقواعد الشعر المتوارثة ولكن بلغة سهلة تتسم بالوضوح والسلاسة ليكون عصريا ، وإن كان اهتمامها بالتجديد أوضح فى الأفكار والمعانى أكثر منه فى الصورة والقالب لأنها كانت ترى أن الصورة الفنية مجرد وسيلة ، أما الفكرة فهى الجديرة بالتجديد والابتكار ليكون الشعر أكثر التصاقا بمعاصريه وكأنه نابع من وجدانهم ، وهذا ما لمسناه بوضوح عند مناقشة آرائها فى الديوان وبخاصة شعرها الاجتماعى .

(١) تذكرهٔ شعراء معاصر إيران ، ج ١ ، ص ٦٦ .

الفصل الخامس

مكانة پروين

ودعت پروين العالم الدنيوى وهى فى ربيع عمرها ، لذا اتسم إنتاجها من ناحية الكثرة العددية بالقلة ، حيث لم تنظم إلا ديوانا واحدا ، لم تصل أبياته إلى الستة آلاف بيت ، وهذا العدد جد قليل إذا ما قورن بانتاج كبار شعراء إيران الذين وصل إنتاج بعضهم إلى الخمسين ألف بيت، بل وزاد إنتاج بعضهم عن المائة ألف بيت ، وعلى الرغم من ذلك فقد حظيت پروين بتقدير نقاد الأدب واحترامهم .

لقد أكبرها البعض لكونها امرأة برزت فى مجال أغلب المبرزين فيه من الرجال ، بل إنها فاقت الكثيرين من معاصريها الرجال ، وقد أشار الشيخ محمد خان قزوينى إلى ذلك بقوله :

« كلما تقدمت فى مطالعة الديوان كلمة تبدل إعجابى بتعجبى ، فمع هذا القحط الذى يعم الرجال فى الفضل والأدب ، كيف تظهر واحدة مثل هذه (ملكة النساء الشواعر) فى عاصمة إيران ، وكيف تنشد أشعارا كهذه تكون فى الدرجة الأولى من الفصاحة والسلاسة والمتانة ، مما تجعلها تقف مع أفضل قصائد الأستاذة لفظا ومعنى ومضمونا وفكرا »[1] .

كما مجدها ملك الشعراء بهارا لكونها امرأة فقال :

« . . . إذا علا نجم شاعر من جنس الرجال وحير فى أمره الخلق فلا

---

(١) مجموعه مقالات ... ص : ١٩

عجب فى ذلك ، ولكن أن توجد الآن شاعرة من جنس النساء لها هذه القريحة وذاك الاستعداد ، ولديها تلك المقدرة على المقدمات ومواصلة التتبع والتحقيق ، وتشدو بأشعار عذبة كهذة فإنها تعد من النوادر ، ومما يدعو إلى التعجب ، وكم تستحق آلاف التمجيد والاستحسان »(١).

لا شك أن هذين الرأيين قد اتسما بطابع المجاملة بعض الشيء ، فالرأى الأول كتبه الشيخ القزوينى فى رسالة شخصية أرسلها إلى والد الشاعرة يشكره على إهدائه نسخة من ديوان پروين ، والرأى الثانى قاله بهار فى تقديمه للديوان ، والذى كتبه امتثالا لطلب يوسف اعتصامى نفسه .

ولو اقتصر الأمر على هذين الرأيين لأصبحت مكانة پروين موضع شك، ولكن كثيرا من النقاد رفعوا من مكانة الشاعرة وجعلوها زعيمة الشواعر فى عصرها وأسفوا لرحيلها المبكر الذى لم يمهلها لكى تواصل تقدمها وتفرقها ومنهم صاحب كتاب « زنان سخنور » حيث قال :

« پروين اعتصامى صاحبة الذوق الرفيع والتفكير الثاقب والطبع النافذ والقريحة القوية ، لو قدر أن مصباح حياتها لم يطفأ بسرعة ، ولم يقتصر إنتاجها على فترة شبابها لكان من المنتظر أن تنتج جواهر شهوارية أكثر لمعانا مما قالته . . . وعلى كل فإن پروين بهذه الآثار العظيمة التى وصلت إلى أيدينا وظلت محفوظة بعيدة عن سطو الزمان ، قد وصلت فى عالم الكلام إلى مرتبة الزعامة بين النساء الأديبات المتحدثات باللغة الفارسية فى العصر الحديث »(٢).

ونلمس فى هذا الرأى اعتدالا ، فإن كان الكاتب قد أعلى قدرها ، فقد جعل

(١) ديوان پروين ، الطبعة الخامسة (المقدمة) ص يد .
(٢) زنان سخنور ، ج ١ ص ٧٩ .

هذا التفوق بالنسبة لأدبيات عصرها ، ولم يجعلها تتفوق على الجميع ، فلا شك أن بين أدباء عصرها من فاقها مكانة كبهار وايرج ميرزا على سبيل المثال لا الحصر.

كما قدرها بعض النقاد لا هتمامها بالنواحى الاجتماعية والأخلاقية ، فقال صاحب كتاب « كلهاى جاويدان » :

« تعد پروين الشاعرة الوحيدة فى تاريخ الأدب التى وصلت إلى حد الامتياز بين سائر النساء الإيرانيات المتكلمات وهى قليلة النظير ، بل إنها عديمة النظير فى مجال الحديث عن المفاهيم الاخلاقية والاجتماعية »[1].

وإذا كان هذا الكتاب قد جعل پروين تتفوق على نساء عصرها فى مجال الحديث عن المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية فقد فضلها صاحب كتاب « رجال آذربيجان در عصر مشروطيت » على جميع من تكلموا عن المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية نساء ورجالا ، وقد أبدى رأيه هذا وهو يتكلم عن تاريخ حياة والد الشاعرة يوسف اعتصامى حيث قال :

« پروين اعتصامى ابنة اعتصام الملك من الشاعرات المشهورات فى إيران خلال القرن الأخير . . . وقد خصصت ديوانها كله للموضوعات الاجتماعية والأخلاقية وهى من هـــذه الزاوية لم يلحق بها أحد من المتقدمين والمتأخرين[2] .

هذا القول يمثل وجه الحقيقة ، فديوان پروين قد خلا تقريبا من الشعر الذاتى وكل ماقالته الشاعرة كانت تهدف منه إما إصلاحا اجتماعيا أو إصلاحا أخلاقيا كما سبق عرض ذلك عند الحديث عن آرائها ، ولا نكاد نعرف

---

(١) كلهاى جاويدان ص ٢٢٥ .
(٢) رجال آذربيجان در عصر مشروطيت ، ص ١٩ .

شاعرا واحدا بين شعراء الفارسية فعل ذلك مطلقا ، لا فى العصر الحديث ولا فى العصور السابقة .

ولعل هذا هو السبب الرئيسى الذى من أجله أهدت وزارة المعارف الشاعرة نيشانا علميا من الطبقة الثالثة وذلك بعد صدور الطبعة الأولى من ديوانها ولكنها رفضت استعماله ولو مرة واحدة فى حياتها(١)

وحديثها عن المفاهيم الاجتماعية ومشاركتها أبناء وطنها أحزانهم ومصائبهم كان السبب الرئيسى الذى جعل بيرتلس المستشرق الأوربى يعلى قدرها ويعتبرها من رائدات الشعر الواقعى فى الأدب الفارسى الحديث ، فقال :

« تعتبر پروين الشاعرة الإيرانية المعاصرة المجددة بالمعنى الدقيق . . . فأهم ميزة لها هى عقد نيتها وصحة عزمها على تناول الموضوعات الجديدة المتمثلة فى الدفاع عن حقوق الكادحين وتمجيد عمل الفلاحين . . وكل ما ذكر عن حياة الفلاح الإيرانى يؤيد أن الشاعرة لم تجنح فى أشعارها إلى المبالغة . . . ، لذا فإننا نستطيع فى شخصية پروين أن نحيى نشأة الاتجاه الجديد فى الشعر الواقعى ، وإن هذه الأشعار بدأت موفقة ناجحة ، ويمكن أن نتمنى أن يحذو حذو پروين كثيرون غيرها فإن مثل هذا يعود بالنفع على الأدب الفارسى ، وعلى الفلاح الإيرانى كذلك »(٢) .

وإعلاء مقام پروين لاتجاهها الواقعى كان الدافع وراء احترام أوربى آخر هو ريكا لمقام پروين ، وإن حمل عليها لعدم صراحتها فى هجومها على الحكام والتزامها جانب الحذر والحيطة فيما قالت ، إذ أنها — فى رأيه — كانت تمس السطح الخارجى للنظام الاجتماعى الذى كان سائدا فى عصرها دون

---

(١) مجموعه مقالات . . . ص ٧ .

(٢) Bertels, p. 162.

التوغل إلى كشف الأسباب الحقيقة لهذا الظلم ، ومحاولة إيجاد الحلول للقضاء عليه مكتفية بإثارة الشفقة على الطبقات الفقيرة[1] .

لا شك أن ماطالب به ربكا أكبر من مقدرة پروين ، فالمواجهة الصريحة للظالمين عواقبهـــا التشريد والاعتقال ، وپروين الرقيقة الخجولة لم تـكن على استعداد لذلك ، ولا يقلل هذا الموقف من قدرها أو يشينها على الإطلاق ، بل إنه يتفق تمام الاتفاق مع جنسها ، ومع دور المرأة الشرقية فى ذلك الوقت إذ لم تـكن تشارك فى الأحداث السياسية مشاركة كاملة ، فـكفاها مشاركة أن تتحدث عن الظـــلم وتدعو للقضاء عليه من غير أن تصرح بأسماء الظالمين .

وحول مكانة پروين ثارت ثائرة بعض الأدباء والصحفيين دفاعا عنها ، فقد حدث بعد وفاتها خلاف بين ملك الشعراء بهار والسيد ضياء الدين طباطبائى ، فحرض الأخير أنصاره وهم أعضاء اتحاد وهى اسمه « اتحاد المزارعين والتقدميين » لإصدار منشور بعنوان « فوق العادة (بيان اتحاد المزارعين والتقدميين) » والمنشور كله تعريض بملك الشعراء بهار ، وجنح كاتبوه إلى التعريض بپروين بسبب المقدمة التى كتبها بهار للطبعة الأولى من ديوانها ، وقد ورد فى البيان الذى نشر فى شهر مهر عام ١٣٢٢ ش (١٩٤٣ م) ، ما يلى :

« . وقد قام جنابكم العالى الذى يعرف نفسه بأنه أستاذ فن الإنشاء (يقصدون بهار) بتقريظ شعر أفضل شاعر متصوف إيرانى ناسبا إياه إلى السيدة پروين .

(١) (الأصل الألمانى) Rypka, p. 379.

فهل تعرفون هذا الشاعر ؟

الشخص الذى يعتبر نفسه أستاذ فن الإنشاء ويكون عاجزاً عن تمييز أشعار ... من أشعار فتاة تعلمت بمدرسة أمريكية ، هل يكون جديراً بالتدخل فى التقسيم مادام لا يملك سمات الأستاذية ؟ »[١].

وملاحظتنا على هذه الفقرة أن كاتب البيان لم يصرح باسم الشاعر الذى ادعى أن الشعر الصوفى الذى قالته پروين يرجع إليه واكتفى بوضع نقاط مكان الاسم ..

ولم تمض فترة طويلة على صدور هذا البيان حتى انبرى عدد من الأدباء والصحفيين بالرد على كاتبه ، ومن هؤلاء على أصغر فراسيون الذى عنف كاتب المنشور ومن يساندونه[٢] ، وكذلك الدكتور شكيبى الذى نشر مقالة عنوانها ، « پروين اعتصامى أعظم شاعرة متصوفة فى إيران » وقد طالب فيها بهار بأن يدافع عن مقام پروين ويبين حقيقة هذا الافتراء[٣].

وأخيرا نشر بهار ملك الشعراء رده على بيان اتحاد المزارعين وذلك بمقالة عنوانها : « فساد فكر أعوان الاستعمار » وفيه أشار إلى أن كاتب البيان يعمل معلما للتاريخ بإحدى المدارس الوطنية وأنه لجهله لم يصرح باسم الشاعر الذى أخذت عنه پروين شعرها الصوفى كما ادعى ذلك ، وقال إن كاتب

---

(١) مجموعه مقالات ... ص : ٥٠ .

(٢) نشرت مقالته بعنوان « فوق العادة » فى صحيفة « إيران ما » العدد (٨٣) بتاريخ ١٢ / ٨ / ١٣٢٢ ش ، وقد أورد نصها ناشر كتاب « مجموعه مقالات .. ص ٥١ — ٥٢ .

(٣) تم نشرها فى صحيفة « إيران ما » العدد (٩٠) بتاريخ ١٣٢٢/٨/٢١ ش ، المرجع السابق ص ٥٣ — ٥٥ .

البيان أخذ يدافع عن نفسه بعد أن نشرت المقالتان السابقتان قائلا بأن واحدة من قطع ديوان پروين ترجم إلى شاعر آخر ولكنه لم يذكر اسم هذا الشاعر، ثم ذكر بهار أن القطعة المقصودة هي قطعة الأنوري التي كانت مترجمة إلى لغة أجنبية، فقام والد الشاعرة بترجمتها إلى الفارسية نثرا دون أن يعرف أنها للأنوري، ثم قامت ابنته بنظمها، وجاءت بلا قصد على نفس قافية القطعة الأصلية مع اختلاف في الوزن(١).

وفي رأيي أن ما جاء في بيان المزارعين كان نعمة بالنسبة لپروين أكثر مما هو نقمة، فلولا هذه الاساءة لما انبرى عدد من الأدباء والصحفيين للرد على هذا الافتراء، مدافعين عن مكانة پروين، معلين من قدرها، فتحقق المثل القائل: رب ضارة نافعة.

ولكن الشيء الذي يثير الدهشة حقا، هو تهجم هذا الاتحاد المزعوم على پروين فلو كان أفراده من المزارعين والمهتمين بشئون الفلاحين حقا، لاهتموا غاية الاهتمام بشعر پروين، ولرفعوا من مكانة الشاعرة، فهي المتحدثة باسمهم، المدافعة عن فقرهم وعدمهم، وهي الداعية لإصلاح القرية عن طريق إصلاح حال ساكنيها، ولا يمكن أن يفسر هذا الهجوم إلا على أنه هجوم موجة ضد الشاعر بهار أولا وأخيرا، وقد حاول كاتب البيان أن يتصيد لبهار أي خطأ يتوهم وقوعه فيه حتى يحط من شأنه، لذا اتخذ من المقدمة التي كتبها ملك الشعراء لديوان پروين وسيلة للتعريض به، وإن

---

(١) تم نشرها في صحيفة «نوبهار» العدد (٨٥) بتاريخ ١٣٢٢/٨/٢٣ ش، المرجع السابق ص ٥٦ — ٥٩.

تضمن هذا التعريض تعريضا ببروين ولكنه فى رأيى تعريض غير مقصود بالنسبة لبروين، ولكنه متعمد بالنسبة لملك الشعراء بهار.

* * *

بعد أن عرضت ما قاله النقاد وأدباء عصرها حول مكانة الشاعرة، بقى أن أحكم عن هذه المكانة حكما مستمدا من واقع إنتاجها لنعرف لم استحقت تكريم كل من كتبوا عنها وعن شعرها:

كانت بروين تتسم بالاتزان فى شخصيتها،، وبالتعقل فى اتجاهاتها، فقد ساد العصر الذى عاشت فيه الشاعرة تيارات أدبية متعددة أهمها تيار ينزع إلى التجديد متخذا الآداب الأوربية وقوالبها وأنماطها نموذجا يسير على منواله، وقد أدى ذلك إلى أن أكثر أنصار هذه الدعوة من استعمال الألفاظ الأوربية فى إنتاجهم، ثم ثاروا على ضروب الشعر المتوارثة وبحوره وتيار آخر ينزع إلى الوراء وإحياء أساليب الأقدمين وعدم الالتفات إلى دعوة التجديد، لا فى الصورة ولا فى المعنى، ولكن بروين المتزنة العاقلة أخذت بأحسن ما فى الدعوتين، فقد حافظت على ضروب الشعر القديمة، وعلى فصاحة لغتها وسلاستها ثم أخذت من الجديد جدة الأفكار وواقعيتها وصلتها بحياة مجتمعها، فضمنت بذلك حب أنصار القديم الذين وجدوا بغيتهم فى الصورة وفى بعض أساليبها، وحب أنصار الجديد الذين وجدوا بغيتهم فى معانيها وأفكارها العصرية، ووضوح أفكارها.

كما كانت بروين إيرانية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان وحب لوطنها، فقد هالها ما يعيش فيه مجتمعها من تخلف اجتماعى، فكانت مصلحة اجتماعية اتسمت دعوتها بالاعتدال والاتزان، فلم تطالب إلا بما فى الإمكان

تحقيقه كالترغيب فى العمل والاهتمام بالتعليم ، كما اتسمت دعوتها لنصرة المرأة الشرقية بالتعقل، فلم تنس وهى تدافع عنهن أن تبصرهن بأن الحرية التى ينشدنها تحمل فى طياتها واجبات ولا تعنى حقوقا فقط ، كما تكلمت بلسان الفلاح المظلوم وبلسان العامل المسكين، ودعت إلى مساعدة الفقير والأخذ بيد اليتيم، كل هذا بإحساس رقيق وشعور مرهف لمس أوتار الحنان فى قلوب الإيرانيين جميعا ، فأكبروها وأقبلوا على ديوانها يقرأونه كشىء نابع من وجدانهم معبرا عن أحاسيسهم بل وأحاسيس كل شرقى فى ذلك الوقت وحتى اليوم .

كما أن اتسام أسلوبها بالسهولة مع الجزالة ، جعل الديوان فى متناول الجميع قراءته وفهمه ، وقد تساوى فى ذلك العالم الأجل والقليل الحظ من الثقافة والتعليم ، فأقبل الجميع عليه يقتنونه حتى وصلت نسخ الديوان إلى ثلاثة وخمسين ألف نسخة ، ولولا الإقبال الشديد على اقتنائه ، ما طبعت كل هذه الأعداد الكبيرة من النسخ .

ولعل إكبار النقاد لها ومحاولتهم إعلاء شأنها يرجع قسط كبير منه إلى كونها إمرأة برزت فى مضمار كل البارزين فيه من جنس الرجال ، فهذا الأمر قد دفع الكثيرين لقراءة ديوانها ليروا ماذا يمكن أن تقوله امرأة شاعرة ، كما أن رحيلها السريع المفاجىء جعل الناس يشعرون تجاهها بما يشعر به الخلق دواما تجاه كل مصلح مات فى ريعان الشباب، فيبكونه ويحيطونه بهالة من التعظيم والتقدير لا على ما وصل إليه من مكانة حقة ، بل على ما كانوا يتوقعون له أن يصل ، وهذا ما حدث بالنسبة لپروين ، فلو عمرت أكثر لكان حكم النقاد على إنتاجها أكثر صدقا وموضوعية ، ولما تأثر هذا الحكم بالنواحى العاطفية .

وأخيرا ماتت پروين وخلفت لنا ديوانها الوحيد الذى كان يبشر بمستقبل أكثر نضجا وباستقلال أكثر وضوحا ، ماتت وكأنها شعلة ما أن أضيئت لتنير ما حولها حتى هبت عاصفة هوجاء فاطفأتها قبل أن يتبلور نورها ، وتتضح قوة مداه ، وعلى كل حال فهى تستحق منا أن نقرأ على روحها الفاتحة ويس كما طلبت منا ذلك فى قولها :

اليوم تسألك من هذه أقوالها
أن تقرأ الفاتحة ويس على روحها[1] .

* * *

---

(١) الأصل الفارسى :
صاحب آنهمه گفتار امروز — سائل فاتحة وياسين است
(قطعة رقم ٢٠٩)

المراجع

(ا) مراجع فارسية :

١ ـ أبو الفتح اعتصامی : مجموعهٔ مقالات وقطعات أشعار كه بمناسبت در گذشت واولین سال وفات خانم پروین اعتصامی ، تهران ١٩٤٤ م .

٢ ـ بابا طاهر العريان : الديوان، تصحيح وحيد دستگردی ، تهران ١٣٣٣ش

٣ ـ بديع الزمان بشرويهٔ خراسانی : سخن وسخنوران حـ١ چاپ دوم ، ١٣١٨ ش .

٤ ـ پروین اعتصامی : الديوان ، چاپ سوم ، تهران ١٩٤٤ م ، چاپ پنجم تهران ١٩٦٢ م .

٥ ـ تقی الدين بهرامی (دكتور) : جغرافياى كشا ورزى ايران ، تهران ٣٣٣ ش .

٦ ـ حافظ الشيرازى : الديوان ، باهتمام سيد عبد الرحيم خلخالى ، طهران ١٣٠٦ ش .

٧ ـ حسين گلبايگانى : گلى چند از ديوان پروين اعتصامى طهران ١٣٣٣ ش

٨ ـ حسين مكى : مقدمة ديوان فرخى اليزدى، چاپ پنجم طهران ١٣٤١ ش

٩ ـ حمد الله مستوفى قزوينى : نزهة القلوب ، ليدن ١٩١٢ م .

١٠ ـ ذبيح الله صفا : گنج سخن ، ج ٣ تهران ١٣٤٠ ش .

١١ ـ رشید یاسمی : ادبیات معاصر ، طهران ١٣١٦ ش .
١٢ ـ سعدی الشیرازی : متن کامل دیوان شیخ اجل سعدی شیرازی : گلستان وبوستان ومجالس باهتمام : مظاهر مصفا ، طهران ١٣٤٠ ش .
١٣ ـ سعید نفیسی : تاریخ اجتماعی وسیاسی ایران در دورهٔ معاصر ج ٢ ـ طهران ١٣٤٤ ش .
١٤ ـ سلیم نیساری : تاریخ ادبیات ایران ج ٢ چاپ سوم طهران ١٣٢٨ ش
١٥ ـ سید عبد الحمید خلخالی : تذکرهٔ شعرای معاصر ایران ج ١ چاپ اول تهران ١٣٤٤ ش .
١٦ ـ سید محمد علی جمال زاده : گنج شایگان یا اوضاع اقتصادی ایران . برلین ١٣٣٥ هـ .
١٧ ـ شبلی النعمانی : شعر العجم ، یا تاریخ ادبیات ایران ، ترجمهٔ محمد تقی فخر داعی گیلانی ، طهران ١٣١٨ش .
١٨ ـ عبد الله رازی همدانی : تاریخ ایران از ازمنهٔ باستانی تا سال ١٣١٦ ش ، تهران ١٣١٧ ش .
١٩ ـ علی أکبر بینا (دکتور) : تاریخ سیاسی ودبلوماسی ایران ج ١ طهران ١٣٣٢ ش .
٢٠ ـ علی أکبر (مشیر سلیمی) : زنان سخنور ، چاپ دوم (ثلاثة أجزاء) .
٢١ علی زاهدی (مهندس) صنایع ایران بعد از جنگ ، طهران ١٣٢٣ ش .
٢٢ ـ محمد اسحق : سخنوران ایران در عصر حاضر ج ١ دهلی ١٣٥٥ .

٢٣ ـ محمد بهار (ملك الشعراء) : تاريخ مختصر احزاب سياسى (انقراض قاجارية) ج ١ ١٣٢٣ ش .

٢٤ ـ محمد بهار (ملك الشعراء) : سبك شناسى ج ٢ .

٢٥ ـ محمد رضا شاه : مأموريت براى وطنم ، چاب دوم .

٢٦ ـ مسعود كيهان : جغرافياى مفصل ايران ، طهـــران ١٣١١ ش (ثلاثة أجزاء) .

٢٧ ـ مهدى توحيد پور : گلهاى جاويدان در بوستان ادب ايران ، تقديم وتصحيح غلامحسين جواهر وجدى ، چاب سوم .

٢٨ ـ مهدى مجتهدى : رجال آذربيجان در عصر مشروطيت ، تهران ١٣٢٧ ش .

٢٩ ـ مهدى ملكزاده (دكتور) : تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ج ١ تهران ١٣٢٨ ش .

٣٠ ـ ناصر خسرو : ديوان قصائد ومقطعات طهران ١٣٠٤ — ١٣٠٧ ش .

٣١ ـ يحيى آرين پور : ازصبا تانيما ج ٢ .

٣٢ ـ يحيى نورى : حقوق زن در اسلام وجهان ، چاب سوم ، طهران

مقالات صحفية :

٣٣ ـ عباس اقبال : انحطاط ادبيات در حال حاضر : (مجلة يادگار) ، العدد السابع ، السنة الرابع ١٣٢٧ ش .

٣٤ ـ محمد قزوينى : وفيات معاصرين : (مجلة يادگار) العدد الثالث ، السنة الثالثة ، طهران ١٣٢٥ ش .

(ب) مراجع عربية :

١ — إبراهيم أمين الشواربى (دكتور) : حافظ الشيرازى ، القاهرة ١٩٤٤ م .

٢ — براون (ا . ج) تاريخ الأدب من الفردوسى إلى السعدى ، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، القاهرة ١٩٥٤ م .

٣ — الجاحظ (أبو عثمان عمرو) البيان والتبيين جـ ٣ القاهرة ١٩٤٧ م .

٤ — الجرجانى (على بن محمد) : كتاب التعريفات القاهرة ١٣٢١ هـ .

٥ — دونالد ولبر : ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة الدكتور عبد النعيم حسنين ، القاهرة ١٩٥٨ م .

٦ — عبد النعيم حسنين (دكتور) : نظامى الكنجوى . شاعر الفضيلة : عصره وبيئته وشعره ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٤ م .

٧ — الغزالى (أبو حامد) : إحياء علوم الدين ، طبعة كتاب الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ م .

٨ — فلكس مينارد : ثورة الهند أو المرأة الصابرة ، ترجمة يوسف اعتصامى القاهرة ١٩٠٠ م .

٩ — ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ليبزج ١٨٦٨ م .

جـ — مراجع أوربية :

1- Bertels : Otcherk Ostori Persidskoy Literaturi, Leningrad, 1928.

2- Browne (E.G.) : A Literary History of Persia IV, 3rd ed. Cambridge, 1930.

3- Browne (E.G.) : The Persian Revolution 1905—1909, 2nd ed., London, 1966.

4- Percy Sykes : A History of Persia, 3rd ed., London, 1951.

5- Rypka (Von Jan) : Iranishe Literaturgeschichte, Lepzig, 1959,

وكذلك الترجمة الإنجليزية بعنوان :

A History of Iranian Literature, Holand, 1968.

6- Tarbiat (Moh. Ali) : The Press and Poetry of Modern Persia, Translated by ; Browne (E.G.), Cambridge, 1914.

الفهرس

تصويب الأخطاء

وقعت بعض الأخطاء المطبعية التى لايخفى إدراكها على فطنة القارىء ، وهذا ثبت بأهم هذه الأخطاء وتصويبها :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	٤	القرن	القرن العشرين
٣٠	٢٣	كلى چبد	كلى چند
٣٢	٧	تتضع	تتضح
٤٥	٧	تنالوا	تناولوا
٤٦	٦	المتصفع	المتصفح
١٣٢	٨	وود	وودع
١٥٩	١٥	سير	بى نظير
١٥٩	١٧	خوه ر	خواه را
١٦٠	١١	الغرر	الغرور
١٦٦	٢	ذهبت	ذهب
١٦٦	٢٠	اير	ايد
١٦٨	٣	قتلى	قتلوا
١٨٤	٢	حافاة	حافة
١٩٢	١	الـكلا	الـكلام
١٩٧	١٢	امثالى	امثال
٢٠١	٧	فالثياب	فالثوب
٢١٩	٥	أحل معنى	أحل معى
٢٨٦	١٠	مضاهات	مضاهاة